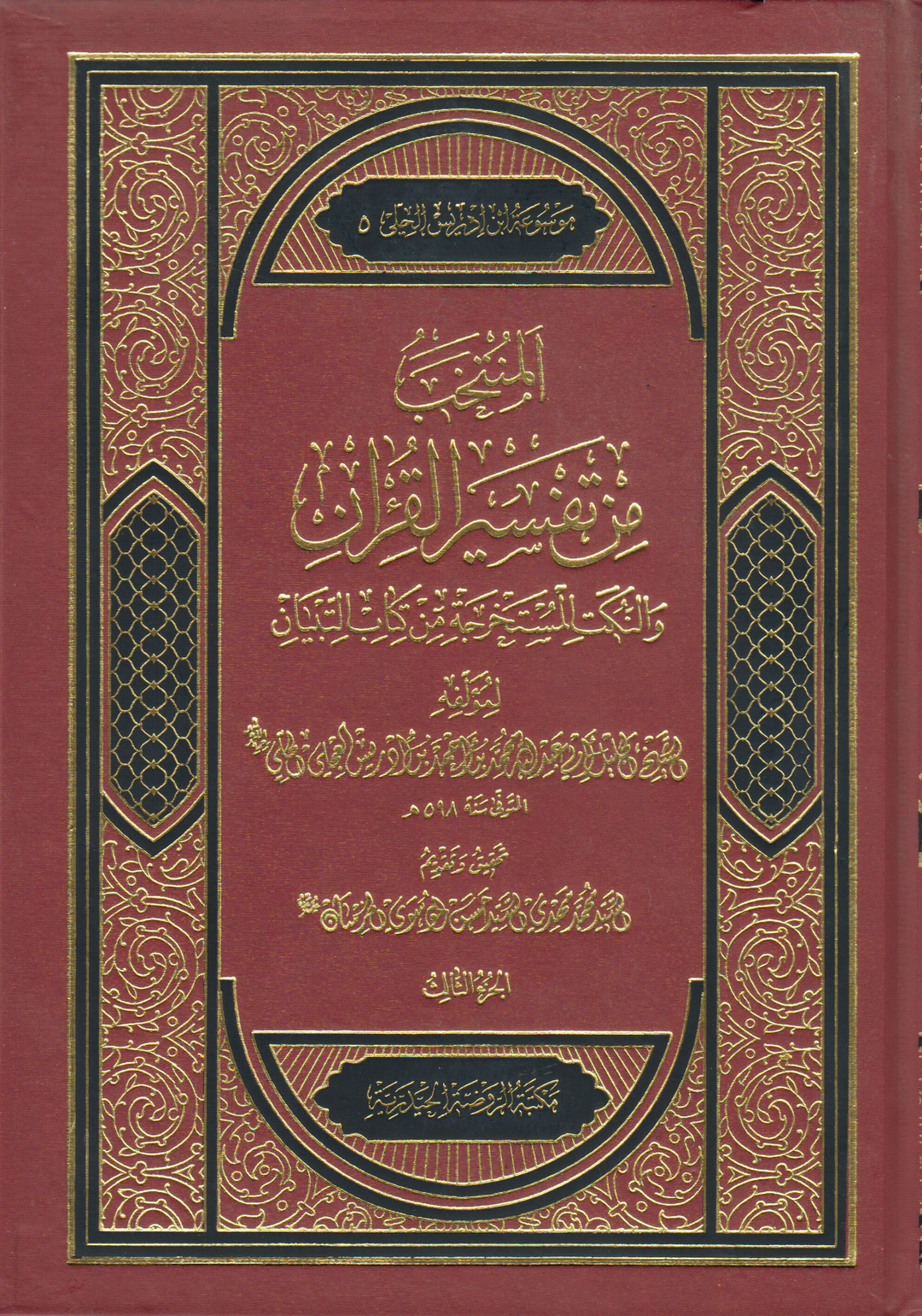
موسوعة ابن إدريس الحلي ٥
المنتخب
من تفسير القرآن
والنكت المستخرجة من كتاب التبيان
لمؤلفه
الشيخ الجليل أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي رحمه الله
المتوفى سنة ٥٩٨ هـ
تحقيق وتقديم
السيد محمد مهدي السيد أحسن الموسوي الخرسان عفي عنه
الجزء الثالث
مكتبة الروضة الحيدرية

مكتبة الروضة الحيدرية
٧

موسوعة ابن إدريس الحلي ٥

المنتخب من تفسير القرآن

والنكت المستخرجة من كتاب التبيان

لمؤلفه
الشيخ الجليل أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي رحمه الله
المتوفى سنة ٥٩٨ هـ

تحقيق وتقديم
السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان

الجزء الثالث

▼
موسوعة ابن إدريس الحلّي ٥
المنتخب من تفسير القران و النّكت المستخرجة من كتاب التّبيان الجزء الثالث
لمؤلفة: الشيخ الجليل أبي عبدالله محمد بن احمد بن إدريس العجلي الحلّى ﷺ
تحقيق و تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان
منشورات: دليل ما
اعداد: مكتبة الروضة الحيدرية
الطبعة: الاولى
سنة النشر: ١٤٢٩ هـ ق - ١٣٨٧ هـ ش
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
ردمك: ١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ISBN ٩٧٨
ردمك الدورة في ١٤ مجلداً: ٠ ـ ٣٥٢ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ISBN ٩٧٨
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalilema.com
info@Dalilema.com
انتشارات دليل ما

مركز التوزيع:
١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٣٢، منشورات دليل ما، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣
٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقر العلوم ﷺ، الهاتف ٠٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه : إبن إدريس، محمد بن احمد، ٥٤٣ ـ ٥٩٨ق.
عنوان و پديدآور : موسوعة إبن إدريس الحلّي / تأليف محمد مهدى السيد حسن الموسوى الخرسان.
مشخصات نشر : قم: دليل ما، ١٣٨٦.
مشخصات ظاهرى : ١٤ ج.
فروست : مكتبة الروضة الحيدرية.
شابک : (ج. ٥) ؛ 1 - 342 - 397 - 964 - ISBN 978
(دوره) ؛ 0 - 352 - 397 - 964 - ISBN 978
وضعيت فهرست نويسى : فيپا.
يادداشت : عربى.
هر جلد عنوان خواص خود را دارد.
مندرجات : ج. ١. مقدمه تفسير منتخب التبيان. ـ ج. ٢. إكمال النقصيان من تفسير منتخب التبيان. ـ ج. ٣ و ٤ و ٥. المنتخب من تفسير القرآن و النكت المستفرجة من كتاب التبيان. ـ ج. ٦. حاشية إبن إدريس على الصحيفة السجادية. ـ ج. ٧. اجوبة مسائل و رسائل في مختلف فنون المعرفة. ـ ج. ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣. كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي. ـ ج. ١٤. مستطرفات السرائر (باب النوادر).
موضوع : فقه جعفرى ـ قرن ٦ ق.
موضوع : تفاسير شيعه ـ قرن ٦ ق.
موضوع : اسلام ـ متون قديمى تا قرن ١٤ ق.
شناسه افزوده : خرسان، محمدمهدى، ١٩٢٨ ـ م. Khaarsan, Muhammad Mahdi، گردآورنده و مصحح.
رده بندى كنگره : BP ١٨١ / ٧ / الف ١٦ م ٨ ١٣٨٦
رده بندى ديويى : ٢٩٧ / ٣٤٢
شماره كتابشناسى ملى : ١١٧٤٥٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق من الجزء الثامن من التبيان في تفسير القرآن
يشتمل على سورة السجدة، والأحزاب، وسبأ، والملائكة، ويس، والصافات، وص، والزمر، والمؤمن، وحم السجدة، وحم عسق، والزخرف، وحم الدخان، الجاثية، والأحقاف، سورة محمّد عليه السلام، الفتح، الحجرات، ق، وبعض الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة

فصل

قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الآية: ٤.

أي: اخترعهما وأنشأهما، وخلق ما بينهما في ستة أيّام، أي: فيما قدره ستة أيّام، لأنّه قبل خلق الشمس لم يكن ليل ولا نهار[1].

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: استولى عليه بالقهر والاستعلاء[2]، وقد فسّرناه فيما مضى، ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ على ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وإن كان مستعلياً على الأشياء قبلها، كما دخلت ﴿حَتَّى﴾ في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾.

وتقديره: ثم صح معنى استولى على العرش بإحداثه، وكذلك حتى يصح معنى ﴿نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ أي معنى وصفهم بهذا، وذلك لا يجوز إلاّ بعد وجود الجهاد من جهتهم[3].

---

١. قارن٨: ٢٩٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن٨: ٢٩٤، والآية في سورة محمّد: ٣١.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ﴾ نفيٌ منه تعالى أن يكون للخلق ناصر ينصرهم من دون الله، أو شفيع يشفع لهم، كما كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى.

ثم قال: ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فيما قلناه، وتعتبرون به، فتعلموا صحّة ما بيّناه لكم[١].

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ معناه: انّ الله الّذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في هذه المدّة، يدبر الأمور كلّها ويقدرّها على حسب إرادته ممّا بين السماء والأرض، وينزّله مع الملك إلى الأرض[٢].

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ يعني الملك يصعد إلى المكان الّذي أمره الله تعالى أن يعرج إليه، كما قال إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾[٣] أي أرض الشام التي أمرني ربّي، ولم يكن الله بأرض الشام، ومثله قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٤] يريد إلى المدينة ولم يكن الله في المدينة[٥].

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس والضحاك: معناه في يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة ممّا يعده البشر[٦].

وقيل: معناه خمسمائة عام نزول وخمسمائة عام صعود فذلك ألف سنة[٧].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. الصافات: ٩٩.

٤. النساء: ١٠٠.

٥. قارن ٨: ٢٩٤.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقيل: انّ معناه أنّ كلّ يوم من الأيّام الستة التي خلق فيها السماوات، كألف سنة من أيّام الدنيا[١].

فصل

قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾ الآية: ٧ – ٩.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ باسكان اللام، الباقون بفتحها، من سكّن اللام فعلى تقدير الّذي أحسن خلق كلّ شيء، أي جعلهم يحسنونه، والمعنى أنّه ألهمهم جميع ما يحتاجون إليه[٢].

ومن فتح اللام جعله فعلاً ماضياً، ومعناه: أحسن الله كلّ شيء خلقه على ارادته ومشيئته، وأحسن الإنسان وخلقه في أحسن صورة[٣].

ومعنى ذلك في جميع ما خلقه الله تعالى وأوجده، فيه وجه من وجوه الحكمة، وليس فيه وجه من وجوه القبح، وذلك يدلّ على أنّ الكفر والضلال وسائر القبائح ليست من خلقه[٤].

ولفظة ﴿كُلَّ﴾ وإن كانت شاملة للأشياء كلّها، فالمراد به الخصوص ها هنا، لأنّه أراد ما خلقه تعالى من مقدوراته دون مقدور غيره، ونصب قوله: ﴿خَلَقَهُ﴾ بالبدل من قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ كما قال الشاعر:

---

١. قارن ٨: ٢٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٢٩٦.

وظعني إليك الليل حضنيه انّني لتلك إذا هاب الهدان فعول[١]

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ يعني نسل الإنسان الّذي هو آدم وولده ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ وهي الصفوة التي تنسل من غيرها خارجة، قال الشاعر:

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين[٢]

فصل

قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الآية: ١١.

أي: يقبض أرواحكم، قال قتادة: يتوفّاكم ومعه أعوان من الملائكة[٣].

والتوفي[٤] أخذ الشيء على تمام، قال الراجز:

ان بني الأدرم ليسوا من أحد ولا توفاهم قريش في العدد[٥]

ويقال: استوفى الدين إذا قبضه على كماله[٦].

وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقتضي أنّ روح الإنسان هي الإنسان[٧].

وقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي بما فعلتم فعلَ من نسي لقاء جزاء هذا اليوم، فتركتم ما أمركم الله به وعصيتموه ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي فعلنا معكم جزاءاً على ذلك فعل من نسيكم من ثوابه، وترككم من نعيمه، والنسيان

---

١. قارن ٨: ٢٩٦، والبيت نسبه الجوهري في الصحاح إلى حميد بن ثور (طعن) وكذا في اللسان وتاج العروس.

٢. قارن ٨: ٢٩٧، والبيت من شعر حسان بن ثابت كما في ديوانه: ٤٢٢ شرح البرقوقي .

٣. قارن ٨: ٢٩٧ .

٤. قارن ٨: ٢٩٩ .

٥. قارن ٨: ٢٩٩، والرجز نسبه ابن عطية في تفسيره إلى منظور الوبري، وكذا في لسان العرب (وفى) .

٦. قارن٨: ٢٩٩ .

٧. نفس المصدر .

الترك ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[١].

فصل

قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية: ١٧.

قولهم: (قرّت عيناه) أي فرّحهما الله، لأنّ المستبشر الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من شؤونه، والباكي جزعاً يخرج من عينيه ماء سخن من الكبد، ومنه قولهم: (سخِنت عينه) بكسر الخاء[٢] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات[٣].

فصل

قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الآية: ٢١.

قيل: العذاب الأدنى هو العذاب الأصغر، وهو عذاب الدنيا بالقتل، والسبي والقحط، والفقر، والمرض، والسقم، وما جرى هذا المجرى، وقيل: هو الحدود، وقيل: عذاب القبر[٤].

وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام: إنّ العذاب الأدنى هو القحط، والأكبر خروج المهدي بالسيف[٥].

---

١. قارن ٨: ٣٠١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٣٠٤.

٥. نفس المصدر.

والعذاب الأكبر عند المفسّرين هو عذاب الآخرة بالنار التي تستفزع الإنسان بالآلام[١].

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إخبار منه تعالى أنّه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الأدنى، ليرجعوا عن معاصي الله إلى طاعاته ويتوبوا منها، وهو قول عبد الله وأبي العالية[٢].

ثم أخبر تعالى فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة ﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ يعني لقاء موسى ليلة الإسراء بك إلى السماء، على ما ذكره ابن عباس[٣].

وقيل: فلا تكن في مرية من لقاء موسى في الآخرة[٤].

فصل

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ الآية: ٢٧.

الأرض الجرز هي الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، وهو مشتق من قولهم سيف جراز أي: قطّاع لا يلقى شيئاً إلاّ قطعه، وناقة جراز إذا كانت تأكل كلّ شيء، لأنّها لا تبقي شيئاً إلاّ قطعته بفيها[٥].

---

١. قارن ٨: ٣٠٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن٨: ٣٠٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٠٩.

سورة الأحزاب

فصل

قوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ الآية: ٤.

قال ابن عباس: كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان فأكذبهم الله[١].

وقال مجاهد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس: أنّه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه، وهو أبو معمر جميل بن أسد، فنزلت الآية فيه[٢].

وقال الحسن: كان رجل يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه هذه الآية[٣].

وقال الزهري: ((هو مَثَل)) في أنّ هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرك ابنك[٤].

وروي عن جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً ويحب بهذا أعداءهم[٥].

---

١. قارن٨: ٣١٣.

٢. قارن ٨: ٣١٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٣١٤، وما بين القوسين من المصدر.

٥. قارن ٨: ٣١٤.

ولا يمكن أن يكون لإنسان واحد قلبان في جوفه، لأنّه كان يمكن أن يوصل إنسانان فيجعلان إنساناً واحداً.

وقد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا إنسانين، وليس ذلك إلاّ من جهة القلب الواحد، أو القلبين، لأنّه إذا جعل قلبان يريد أحدهما بقلبه ما لا يريد الآخر، ويشتهي ما لا يشتهي الآخر، ويعلم ما لا يعلم الآخر، فهما حيان لا محالة وليسا حياً واحداً[١].

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي ليس نساؤكم وأزواجكم إذا قلتم لهنّ: أنتنّ عليَّ كظهر أمي يصرن أمهاتكم على الحقيقة، لأنّ أمهاتكم على الحقيقة هنّ اللائي ولدنكم أو أرضعنكم[٢].

وقال قتادة: إذا قال لزوجته أنت عليّ كظهر أمي، فهو مظاهر وعليه الكفارة[٣]، وعندنا أنّ الظهار لا يقع إلاّ أن تكون المرأة طاهراً ولم يقربها بجماع، ويحضر شاهدان رجلان مسلمان، ثم يقول لها: أنتِ عليَّ كظهر أمي ويقصد التحريم، فإذا قال ذلك حرم عليه وطؤها حتى يكفّر، وإن اختل شيء من شرائطه فلا يقع ظهار أصلاً[٤].

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ قال قتادة ومجاهد وابن زيد: نزلت في زيد بن حارثة، فإنّه كان يدعى ابن رسول الله[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣١٥.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

والأدعياء جمع دعي، وهو الّذي تبنّاه الإنسان، وبيّن الله تعالى أنّ ذلك ليس بابن على الحقيقة، ولذلك قال في آية أخرى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية[1].

فصل

قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ [مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا * وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا * لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠]﴾ الآيات: ٦ – ١٠.

أخبر تعالى أنّ النبيّ أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، بمعنى أحق بتدبيرهم، وبأن يختاروا ما دعاهم إليه، وأحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به في

---

١. نفس المصدر.

نفسه، لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله، وهو أولى في ذلك وأحق من نفس الإنسان، لأنّها ربما دعته إلى اتباع الهوى، ولأنّ النبيّ عليه السلام لا يدعو إلاّ إلى طاعة الله، وطاعة الله أولى أن تختار على طاعة غيره[١].

وواحد الأنفس نفس، وهي خاصة الحيوان الحساسة التي هي أنفس ما فيه[٢]، ويحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس وهو التروح، لأنّ من شأنها التنفّس، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من النفاسة، لأنّها أجل ما فيه وأكرمه[٣].

ثم قال: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ والمعنى أنّهنّ كالأمهات في وجوب الحرمة وتحريم العقد عليهنّ[٤].

ثم قال: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ فأولوا الأرحام أولوا الأنساب، لما ذكر الله أنّ أزواجه أمهاتهم في الحكم من جهة عظم الحرمة، قال: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ أي إلاّ ما بيّن الله في كتابه مما يجوز لأزواج النبيّ عليه السلام أن يدعين أمهات المؤمنين[٥].

وقال قتادة: كان الناس يتوارثون بالهجرة، فلا يرث الأعرابي المسلم من المهاجر حتى نزلت الآية[٦].

وقيل: إنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولة، ثم نسخ ذلك، فبيّن الله تعالى أنّ أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، أي: من كان قرباه أقرب، فهو أحق بالميراث من الأبعد[٧].

---

١. قارن ٨: ٣١٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨: ٣١٨.

٧. نفس المصدر.

وظاهر ذلك يمنع أن يرث مع البنت والأم أجد من الأخوة والأخوات، لأنّ البنت والأم أقرب من الأخوة والأخوات، وكذلك يمنع أن يرث مع الأخت أحد من العمومة وأولادهم لأنّها أقرب[١].

والخبر المروي في هذا الباب ((أن ما أبقت الفرائض فلأولي عصبة ذكر)) خبر واحد مطعون على سنده، لا يترك لأجله ظاهر القرآن الّذي بيّن فيه أنّ أولي الأرحام، الأقرب منهم أولى من الأبعد في كتاب الله من المؤمنين[٢].

قوله: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ قال مجاهد: معناه فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الّذي أجاب به أممكم[٣].

ويجوز أن يحمل على عمومه في كلّ صادق ويكون فيه تهديد للكاذب، فإنّ الصادق إذا سئل عن صدقه على أيّ وجه فيجازي بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب[٤].

وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي نأت عن أماكنها من الخوف والحناجر: جمع حنجرة وهي الحلق، قيل لأنّ الرئة عند الخوف تصعد حتى تلحق بالحلق[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣١٨، والخبر روي في التهذيب: في باب ابطال العول والعصبة من كتاب الفرائض الحديث ٩٧١ وفي سنده عبد الله بن طاووس ـ وكان على خاتم سليمان بن عبد الملك وكان يحمل على بني هاشم حملاً شديداً ـ وهو يرويه عن ابنه عن ابن عباس، وقد ذكرت الرواية عند ابن عباس وطاووس وأنكرا ذلك، راجع معجم رجال الحديث للخوئي ١١: ٢٤١ ترجمة عبد الله بن طاووس.

٣. قارن ٨: ٣١٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٢٠.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ قال الحسن: كانت الظنون مختلفة، فظن المنافقون أنّه يستأصل، وظن المؤمنون أنّه سينصر[١].

فصل

قوله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية: ١١.

لما وصف الله تعالى شدّة الأمر يوم الخندق وخوف الناس، وأنّ القلوب بلغت الحناجر من الرعب قال: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي اختبروا ليظهر بذلك حسن إيمانهم وصبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه، و ((هنا)) للقريب من المكان و ((هنالك)) للبعيد، و ((هناك)) للوسط بين القريب والبعيد، وسبيله سبيل ذا وذاك وذلك[٢].

وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ معناه: وحُرّكوا بهذا الامتحان تحريكاً عظيماً، والشدّة قوة تدرك بالحاسة، لأنّ القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة وإنّما تعلم بالدلالة، فلذلك يوصف تعالى بأنّه قوي ولا يوصف بأنّه شديد[٣].

فصل

قوله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ الآية: ١٦.

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٢١.

٣. قارن ٨: ٣٢١، وممّا يلاحظ في المقام قول الشيخ ((فلذلك يوصف تعالى بأنّه قوي ولا يوصف بأنّه شديد)) مع أنّ الآية الكريمة في سورة الأنفال: ٥٢ وصفته تعالى بهما معاً ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وكذلك الآية: ٢٢ من سورة غافر ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سوى ما جاء في ذلك نحو قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ النجم: ٥، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فصلت: ١٥.

الفرار الذهاب عن الشيء خوفاً منه، وإنّما فرّق الله بين الموت والقتل لأنّ القتل غير الموت، والقتل نقض بنية الحيوانية، والموت ضد الحياة عند من أثبته معنى، والقتل يقدر عليه غير الله، والموت لا يقدر عليه غيره[١].

فصل

قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا * مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا * لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا]﴾ الآيات: ٢١ – ٢٥.

أي: اقتداء حسن، في جميع ما يقوله ويفعله، متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً، والمراد بذلك الحثّ على الجهاد، والصبر عليه في حروبه، والتسلية لهم ممّا ينالهم من المصائب، فإنّ النبيّ عليه السلام شجّ رأسه وكسرت رباعيته في يوم أحد وقتل عمه حمزة، فالتأسّي به في الصبر على جميع ذلك من الأسوة الحسنة[٢].

---

١. قارن ٨: ٣٢٥.

٢. قارن ٨: ٣٢٨.

وذلك يدلّ على أنّ الاقتداء بجميع أفعال النبيّ عليه السلام حسن جائز، إلاّ ما قام الدليل على خلافه، ولا يدلّ على وجوب الاقتداء به في أفعاله، وإنّما يعلم ذلك بدليل آخر[١].

فالأسوة حال لصاحبها يقتدي بها غيره فيما يقول به، فالأسوة تكون في إنسان وهي أسوة لغيره، فمن تأسّى بالحسن ففعله حسن[٢].

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي منهم من صبر حتى قتل في سبيل الله وخرج إلى ثواب ربه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ أي: لم يبدلوا الإيمان بالنفاق ولا العهد بالحنث[٣].

وروي أنّ الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعلي ابن أبي طالب، والّذي قضى نحبه حمزة وجعفر، والّذي ينتظر عليّ عليه السلام[٤].

قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ لا يدلّ على أنّ ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لأنّ على مذهبنا إنّما جاز ذلك لأنّه لا يجب إسقاط العقاب بالتوبة عقلاً، وإنّما علمنا ذلك بالسمع، وأنّ الله يتفضّل بذلك[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٢٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٢٩، وقد روى نزول الآية في الحمزة وجعفر وعليّ عليهم السلام عن عبد الله بن عباس الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ١٢ روى بسنده عن عبد الله بن عباس في قول الله تعالى: ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ يعني عليّاً وحمزة وجعفر: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ يعني حمزة وجعفراً: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ يعني عليّاً عليه السلام، كان ينتظر أجله، والوفاء لله بالعهد، والشهادة في سبيل الله، فوالله لقد رزق الشهادة (شواهد التنزيل ٢: ٢ ط بيروت).

وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: إن شاء قبل توبتهم وأسقط عقابهم إذا تابوا، وإن شاء لم يقبل، وذلك إخبار عن مقتضى العقل، وأما مع ورود السمع، وهو قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ فنقطع على أنّه تعالى يغفر مع حصول التوبة[١].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يؤكّد ذلك، لأنّه إنّما يكون فيه مدح إذا غفر ما له المؤاخذة به، ويرحم من يستحق العقاب، فأما من يجب غفرانه وتجب رحمته فلا مدح في ذلك[٢].

والنحب النذر، أي: قضى نذره الّذي كان نذره فيما عاهد الله عليه[٣].

وقال مجاهد: ﴿قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي عهده، وقيل: إنّ المؤمنين كانوا نذروا إذا لقوا حرباً مع رسول الله أن يثبتوا ولا ينهزموا[٤].

وقال الحسن: قضى نحبه أي مات على ما عاهدوا[٥].

النحب الموت كقول ذي الرمة:

قضى نحبه في ملتقى الموت هو بر[٦]

أي: منيته، وهو بر اسم رجل.

---

١. قارن٨: ٣٢٩، والآية في سورة الشورى: ٢٥ .

٢. قارن ٨: ٣٣٠ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. قارن ٨: ٣٣٠، والشطر من بيت لذي الرمة في ديوانه ٢: ٦٤٧ ط مجمع اللغة العربية بدمشق وتتمته ((عشية فرّ الحارثيون بعد ما)) .

وقوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة، وقيل: وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ عليه السلام، وهي قراءة ابن مسعود، وكذلك هو في مصحفه في قتله عمرو بن عبدود، وكان ذلك سبب هزيمة القوم[1].

فصل

قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ [وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ

١ـ روى الحافظ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٣ بسنده عن ابن مسعود أنّه كان يقرأ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعليّ بن أبي طالب، وهذا رواه ابن عساكر أيضاً في ترجمة الإمام من تاريخ دمشق ٢: ٤٢٠، ورواه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ٢٣٤ وقال: وذكره غير واحد من أصحاب التفاسير والسير، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٢، والآلوسي في روح المعاني ٢١: ١٥٦، وقال الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أيضاً، ثم روى بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ قال: كفاهم القتال يوم الخندق بعليّ بن أبي طالب حين قتل عمرو بن عبدود، وهذا يعني أنّه كان يقول ذلك تأويلاً، راجع عليّ إمام البررة ٣: ٥٦ ط الأولى بيروت.

مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الآيات: ٢٦ – ٣٣.

الصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدها صيصية، ويقال: جذ الله صيصية فلان، أي: حصنه الّذي يمتنع به، والصيصية قرن البقرة، وهي شوكة الديك أيضاً، وهو شوكة الحائك أيضاً، قال الشاعر:

كوقع الصياصي في النسيج الممدد[1]

كان الحسن لا يرى التخيير شيئاً، وقال: إنّما خُيّرن بين الدنيا والآخرة لا في الطلاق، وكذلك عندنا أنّ الخيار ليس بشيء، غير أنّ أصحابنا قالوا: إنّما كان ذلك للنبيّ عليه السلام خاصة، ولما خيّرهنّ لو اخترن أنفسهنّ لبنّ، فأمّا غيره فلا يجوز له ذلك[2].

---

١. قارن٨: ٣٣٣ والشطر من بيت لدريد بن الصحة، وهو من قصيدة طويلة يرثي بها أخاه عبد الله من شعر الحماسة وفيها:

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممّدد

وراجع تفسير القرطبي ١٤: ١٦١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢: ١٦١.

٢. قارن ٨: ٣٣٥.

ثم قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ إنّما قال: ﴿كَأَحَدٍ﴾ ولم يقل كواحدة، لأنّ أحداً نفي عام للمذكر والمؤنث، والواحد والجماعة، أي: لا يشبهكنّ أحد من النساء في جلالة القدر وعظم المنزلة، ولمكانكنّ من رسول الله، بشرط أن تتقين عقاب الله واجتناب معاصيه وامتثال أوامره[١].

وإنّما شرط ذلك بالاتقاء لئلا يعوّلن على ذلك، فيرتكبن المعاصي، ولولا الشرط كان يكون اغراء لهنّ بالمعاصي، وذلك لا يجوز على الله تعالى[٢].

وقوله: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ قال قتادة: التبرّج التبختر والتكبر.

وقال غيره: هو إظهار المحاسن للرجال[٣].

ومعنى الجاهلية الأولى، وهو ما كان قبل الإسلام، وقيل: ما كان بين آدم ونوح، وقيل: ما كان بين موسى وعيسى، وقيل: ما كان بين عيسى ومحمد[٤].

وقيل: ما كان يفعله أهل الجاهلية، لأنّهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلاً وخلاً، فللزوج النصف السفلاني وللخلّ الفوقاني من التقبيل والمعانقة، فنهى الله تعالى عن ذلك أزواج النبيّ عليه السلام، وأمّا الجاهلية الأخرى، فهو ما يعمل بعد الإسلام بعمل أولئك[٥].

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

١. قارن ٨: ٣٣٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٣٩.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

تَطْهِيرًا﴾ روى أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة وواثلة بن الأسقع أنّ الآية نزلت في النبيّ عليه السلام وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[١].

واستدلّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ في جملة أهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط، وأنّ إجماعهم لا يكون إلاّ صواباً، بأن قالوا: ليس يخلو إرادة الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنّه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح[٢].

والأوّل لا يجوز أن يكون مراداً، لأنّ هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلّفين، فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك، ولا خلاف أنّ الله تعالى خصّ بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيره، فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص، ويخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومزية على غيرهم[٣].

على أنّ لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ تجري مجرى ليس، وقد دللنا على ذلك فيما

---

١. قارن٨: ٣٣٩ وقد ورد نزول الآية في أهل البيت خاصة كما روى الطبري وابن أبي حاتم والطبراني والبزار وعنهم السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٧ وغيرهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنزلت هذه الآية في خمسة، فيَّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ راجع تفسير الطبري ٢٢: ٥ وورد نحو ذلك عن عليّ عليه السلام راجع الدر المنثور للسيوطي ٥: ١٩٨.

ونحو ذلك عن الحسن بن عليّ عليه السلام راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ٣١، وممّن قال باختصاص الآية بهم عليهم السلام: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، راجع حديثهما في عليّ إمام البررة ١: ٣٧٤ – ٣٧٧ وفيه تجد أسماء صحابة آخرين رجالاً ونساءاً ممّن روى ذلك فيهم خاصة وراجع ١: ٣٨٢ – ٣٩٩ فثمة قائمة بأسماء المصادر تتضمّن ١١٦ مصدراً كلّها مصادر سنّيّة .

٢. قارن ٨: ٣٤٠ .

٣. نفس المصدر .

تقدّم، وحكيناه عن جماعة من أهل اللغة كالزجاج وغيره[١].

فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد الله إذهاب الرجس على هذا الحد إلاّ عن أهل البيت، فدلّ ذلك على أنّ إذهاب الرجس قد حصل فيهم، وذلك يدلّ على عصمتهم، وإذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه[٢].

وقال عكرمة: هي أزواج النبيّ خاصة وهذا غلط، لأنّه لو كانت الآية فيهنّ خاصة، لكنّى عنهنّ بكناية المؤنث، كما فعل في جميع ما تقدّم من الآيات، نحو قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ﴾، ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ﴾، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ﴾، ﴿وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث، فكان يجب أن يقول: إنّما يريد الله ليذهب عنكنّ الرجس أهل البيت ويطهركنّ، فلما كنّى بكناية المذكر دلّ على أنّ النساء لا مدخل لهنّ فيها[٣].

وفي الناس من حمل الآية على النساء، ومن ذكرناه من أهل البيت هرباً ممّا قلناه، وقال: إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فكنّى عنهم بكناية المذكر[٤].

وهذا يبطل بما بيّناه من الرواية عن أم سلمة، وما يقتضيه من كون من تناولته معصوماً، فالنساء خارجات عن ذلك، وقد استوفينا الكلام في هذه الآية في كتاب الإمامة، من أراده وقف عليه من هناك[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٤١.

فصل

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ [وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا * مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا * ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا * مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا]﴾ الآيات: ٣٦ – ٤٠.

بيّن الله تعالى في الآية أنّه لم يكن ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ بمعنى الزاماً وحكماً به ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم أن يتخيّروا مع أمر رسول الله بشيء يدرك ما أمره به إلى ما لم يأذن فيه، والخيرة إرادة اختيار الشيء على غيره[1].

---

١. قارن ٨: ٣٤٣.

وفي ذلك دلالة على فساد مذهب المجبّرة في القضاء والقدر، لأنّه لو كان الله تعالى قضى المعاصي، لم يكن لأحد الخيرة ولوجب عليه الوفاء به، ومن خالف في ذلك كان عاصياً، وذلك خلاف الإجماع[١].

ثم خاطب النبيّ عليه السلام فقال: واذكر يا محمّد حين ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالهداية إلى الإيمان ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: احبسها ولا تطلّقها، لأنّ زيداً جاء إلى النبيّ عليه السلام مخاصماً زوجته بنت جحش على أن يطلّقها، فوعظه النبيّ عليه السلام فقال له: لا تطلّقها وأمسكها ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في مفارقتها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ فالذي أخفى في نفسه أنّه إن طلّقها زيد تزوّجها، وخشي من إظهار هذا للناس[٢].

وكان الله تعالى أمره أن يتزوّجها إذا طلّقها زيد، فقال الله تعالى له: إن تركت إظهار هذا خشية الناس، فترك إضماره خشية الله أحق وأولى[٣].

وقال الحسن: معناه وتخشى عيب الناس[٤].

وروي عن عائشة أنّها قالت: لو كتم رسول الله شيئاً من الوحي لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[٥].

وقيل: انّ زيداً لما جاء مخاصماً زوجته، فرآها النبيّ عليه السلام فاستحسنها وتمنّى أن يفارقها زيد حتى يتزوّجها فكتم.

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٤٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٤٤.

قال البلخي: وهذا جائز، لأنّ التمنّي هو ما طبع عليه البشر، فلا شيء على أحد إذا تمنّى شيئاً استحسنه[١].

١ـ قارن ٨: ٣٤٤، وقول البلخي من السخف بمكان، إذ جعل النبيّ ﷺ استحسن زينباً وتمنى أن يفارقها زيد حتى يتزوّجها فكتم ؟ كيف يتصوّر ذلك في حقه ؟ ألم يكن هو الّذي زوّجها من مولاه زيد ؟ ألم تكن هي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب ؟ وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات السابقات ؟ فمن كانت منه بهذه المثابة من القرب والقربى يقال في حقه: ((استحسن زينباً وتمنّى أن يفارقها زيد حتى يتزوّجها فكتم))؟ كأنّه لم يرها من قبل، ثم لو كان زواجه ﷺ منها لأنّه استحسنها، فأين كان عنها قبل أن يتزوّجها زيدا ؟ فهل طرأ حسن زائد على زينب بعد زواجها من زيد لم يره النبيّ ﷺ من قبل؟ إنّها عثرة لا تقال . بل كان تزويجها بأمر من السماء صرّحت به الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وذكر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن١٤: ١٩٠ – ١٩١ قال: وروي عن عليّ بن الحسين: أنّ النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم كان قد أوحى الله تعالى إليه أنّ زيداً يطلّق زينب، وأنّه يتزوّجها بتزويج الله إياها، فلما تشكّى زيد للنبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم خُلُقَ زينب، وأنّها لا تطيعه، وأعلمه أنّه يريد طلاقها، قال له رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم على جهة الأدب والوصية: «اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك» وهو يعلم أنّه سيفارقها ويتزوّجها، وهذا هو الّذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنّه سيتزوّجها، وخشي رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوّج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له، بأن قال: أمسك مع علمه بأنّه يطلّق، وأعلمه أنّ الله أحق بالخشية، أي في كلّ حال . ثم قال القرطبي:

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الّذي عليه أهل التحقيق من المفسّرين والعلماء الراسخين، كالزهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ إنّما هو إرجاف المنافقين بأنّه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوّج بزوجة ابنه .

فأما ما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه (وآله) وسلم هوى زينب امرأة زيد ـ وربما أطلق بعض المُجّان لفظ العشق ـ فهذا إنّما يصدر عن جاهل بعصمة النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم عن مثل هذا، ومستخفّ بحرمته .

قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول: وأسند إلى عليّ بن الحسين قوله ـ فعليّ بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهراً من الجواهر، ودرّاً من الدرر ـ أنّه إنّما عتب الله عليه في أنّه قد أعلمه ←

ثم قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نزلت في زيد بن حارثة، لأنّهم كانوا يسمّونه زيد بن محمّد، فبيّن الله تعالى أنّ النبيّ عليه السلام ليس بأبي أحد منهم من الرجال، وإنّما هو أبو القاسم والطيب المطهر وإبراهيم، وكلهم درجوا في الصغر، ذكره قتادة[1].

ثم قال: ﴿وَلَكِنْ﴾ هو ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ ومن استدلّ بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ على أنّه لم يكن الحسن والحسين عليهما السلام أبناءه فقد أبعد، لأنّ الحسن والحسين كانا طفلين، كما أنّه كان أبا إبراهيم عليه السلام وإنّما نفى أن يكون أباً للرجال البالغين[2].

فصل

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ

← أن ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد أمسك عليك زوجك وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوّج امرأة ابنه، والله أحق أن تخشاه . راجع الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٩٠ – ١٩١ ط دار احياء التراث العربي بيروت .

١. قارن ٨: ٣٤٦ .

٢. نفس المصدر .

خَٰلِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا]﴾ الآيات: ٤٩ – ٥٠.

خاطب الله تعالى بالآية المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه بأنّه إذا نكح واحد منهم مؤمنة نكاحاً صحيحاً، ثم طلقها قبل أن يمسّها، بمعنى قبل أن يدخل بها، بأنّه لا عدّة عليها منه، ويجوز لها أن تتزوّج بغيره في الحال، وأمرهم أن يمتّعوها ويسرّحوها سراحاً جميلاً إلى بيت أهلها[١].

وهذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهراً، وإن كان سمّى مهراً لزمه نصفه ويستحب المتعة مع ذلك، وفيه خلاف[٢].

وقال ابن عباس: إن كان سمّى لها صداقاً فليس لها إلاّ نصف المهر، وإن لم يكن سمّى لها صداقاً متّعها على قدر عسره أو يسره، وهو السراح الجميل، وهذا مثل قولنا سواء[٣].

ثم قال: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فروي عن ابن عباس أنّه لا تحلّ امرأة بغير مهر، وإن وهبت نفسها إلاّ للنبي عليه السلام، وإنّما كان ذلك للنبيّ عليه السلام خاصّة[٤].

---

١. قارن ٨: ٣٥١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

وقال قوم: يصحّ، غير أنّه يلزم المهر إذا دخل بها، وإنّما جاز بلا مهر للنبيّ خاصّة[١].

والّذي يبيّن صحّة ما قلناه قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فبيّن أنّ هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين[٢].

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني على المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ قال قتادة: معناه أي لا نكاح إلاّ بوليّ وشاهدين وصداق وألاّ يتجاوز الأربع[٣].

وقال مجاهد: ﴿مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ألاّ يتزوّجوا بأكثر من أربعة[٤].

وقال قوم: ﴿مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من النفقة والقسمة وغير ذلك[٥].

وعندنا أنّ الشاهدين ليسا من شرط صحّة انعقاد العقد، ولا الولي إذا كانت المرأة بالغة رشيدة لأنّها وليّة نفسها[٦].

والمعنى على مذهبنا: أنّا قد علمنا ما فرضنا على الأزواج من مهرهنّ ونفقتهنّ، وغير ذلك من الحقوق[٧].

---

١. قارن ٨: ٣٥٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قولـــه: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ [وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا * إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا * لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ

أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ الآيات: ٥١ – ٥٥.

قال ابن عباس: خيّره الله بين طلاقهنّ وإمساكهنّ[١].

وقال قوم: معناه تترك نكاح من شئت، وتنكح من تشاء من نساء أمتك[٢].

وقال مجاهد: معناه تعزل من شئت من نسائك، فلا تأتيها وتأتي من شئت من نسائك، فلا تقسم لها[٣].

فعلى هذا يكون القَسَم ساقطاً عنه، فكان ممن أرجى ميمونة وأم حبيبة وجويرية وصفية وسودة، فكان يقسم ((لهنّ)) من نفسه وماله ما شاء، وكان ممن يأوي عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب، فكان يقسم بينهنّ نفسه وماله بالسوية[٤].

وقال زيد بن أسلم: نزلت في اللاتي وهبن أنفسهنّ، فقال الله له: تزوّج من شئت منهنّ وتترك من شئت، وهو اختيار الطبري، وهو أليق بما تقدّم[٥].

والإرجاء هو التأخير، وهو من تبعيد وقت الشيء عن وقت غيره، ومنه الإرجاء في فساق أهل الصلاة، وهو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله[٦].

---

١. قارن٨: ٣٥٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ فالإيواء ضم القادر غيره من الأحياء الذين من جنس ما يعقل إلى ناحيته، تقول: آويت الإنسان آويه إيواءاً، وأوى هو يأوي أوياً إذا انضم إلى مأواه[١].

وقوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ قال ابن عباس والحسن: يعني بعد التسع اللاتي كنّ عنده واخترنه مكافأة لهنّ على اختيارهنّ الله ورسوله[٢].

وقال أبي بن كعب: (لا يحل لك من بعد) أي حرم عليك ما عدا اللواتي ذكرن بالتحليل في ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الآية، وهنّ ست أجناس: النساء اللاتي هاجرن معه وإعطائهنّ مهورهنّ، وبنات عمه، وبنات عماته، وبنات خاله، وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، ومن وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد، لا يحلّ له من غيرهنّ من النساء[٣].

وقال مجاهد: لا يحلّ لك النساء من أهل الكتاب، ويحلّ لك المسلمات[٤].

وروي أنّ حكم هذه الآية نسخ، وأبيح له من النساء ما شاء أي جنس أراد وكم أراد، فروي عن عائشة أنّها قالت: لم يخرج النبيّ عليه السلام من دار الدنيا حتى حلّل له ما أراد من النساء، وهو مذهب أكثر الفقهاء، وهو المروي عن أصحابنا في أخبارنا[٥].

﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ قال ابن زيد: معناه أن تعطي زوجتك

---

١. قارن ٨: ٣٥٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٣٥٦.

٥. نفس المصدر.

لغيرك وتأخذ زوجته، لأنّ أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات[١].

ثم قال: ﴿وَلا﴾ يحلّ لكم أيضاً ﴿أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ لأنّهنّ صرن بمنزلة أمهاتكم في التحريم[٢].

وقال السدي: لما نزل الحجاب قال رجل من بني تيم: أنحجب من بنات عمنا، فإن مات عرّسنا بهنّ، فنزل قوله: ﴿وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ الآية إنّ ذلك إن فعلتم كان عند الله عظيماً[٣].

ثم استثنى لأزواج النبيّ عليه السلام من يجوز لها محادثتهم ومكالمتهم، فقال: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ ولم يذكر العم والخال، لأنّه مفهوم من الكلام، لأنّ قرباهم واحدة، لأنّهنّ لا يحللن لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه، فهنّ محرم لهم[٤] ﴿وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٥٨.

٣. قارن٨: ٣٥٨، والرجل الّذي لم يسمّه من بني تيم هو طلحة بن عبيد الله كما ورد في الدر المنثور ٥: ٢١٤ نقلاً عن ابن أبي حاتم عن السدي رحمه الله قال: بلغنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا، ويتزوّج نساءنا من بعدنا، لئن حدث به حدث لنتزوجنّ نساءه من بعده، فنزلت هذه الآية.
أقول: ولم يكن السدي وحده روى ذلك، فقد ذكر السيوطي فقال: وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رحمه الله قال: قال طلحة بن عبيد الله: لو قبض النبيّ صلى الله عليه وآله تزوّجت عائشة فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ الآية.
وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنّه قال: إذا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّجت عائشة.

٤. قارن ٨: ٣٥٨.

قوم: من النساء والرجال، وقال آخرون: من النساء خاصة. وهو الأصح[١].

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا * [إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا *لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا]﴾ الآيات: ٥٦ – ٦٠.

يقول الله تعالى مخبراً أنّه يصلّي وملائكته على النبيّ ﷺ، وصلاة الله تعالى عليه، هو ما يفعل به من كراماته وتفضيله وإعلاء درجاته ورفع منازله وثنائه عليه، وغير ذلك من أنواع إكرامه، وصلاة الملائكة مسألتهم الله تعالى أن يفعل به عليه السلام مثل ذلك[٢].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٥٩.

وزعم بعضهم أنّ ﴿يُصَلُّونَ﴾ فيه ضمير الملائكة دون اسم الله، مع أفراده بأنّ الله يصلّي على النبيّ، لكنّه يذهب في ذلك إلى أنّ في افراده بالذكر تعظيماً، ذكره الجبائي[١].

ثم أمر تعالى المؤمنين المصدّقين بوحدانيته، المقرّين بنبوة نبيه أن يصلّوا أيضاً عليه، وهو أن يقولوا: ((اللّهمّ صل على محمّد وآل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم)) في قول ابن عباس[٢].

ثم أمر المؤمنين أيضاً بأن يسلّموا لأمره تعالى، وأمر رسوله تسليماً في جميع ما يأمرهم به، والتسليم هو الدعاء بالسلامة، كقولهم: سلّمك الله، والسلام عليك ورحمة الله، وكقولك: السلام عليك يا رسول الله[٣].

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ والجلابيب جمع جلباب، وهو خمار المرأة، وهي المقنعة تغطي جبينها ورأسها إذا خرجت لحاجة، بخلاف خروج الإماء اللاتي يخرجن مكشّفات الرؤوس والجباه في قول ابن عباس ومجاهد[٤].

وقال الحسن: الجلابيب الملاحف تدليها المرأة على وجهها ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ من الإماء ومن أهل الريبة ﴿فَلا يُؤْذَيْنَ﴾[٥].

﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ فالإرجاف إشاعة الباطل للاغتمام به، فالمرجفون هم الذين كانوا يطرحون الأخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن٨: ٣٦٠، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٦٠.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٦١.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ الآية: ٦٧.

فالسادة جمع سيد وهو المالك المعظم، الّذي يملك تدبير السواد الأعظم، ويقال للجمع الأكثر السواد الأعظم، يراد به السواد المنافي لشدّة البياض والضياء الأعظم[١].

فصل

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الآية: ٧٢.

الأمانة هي العقد الّذي يلزم الوفاء به، ممّا من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، وقد عظّم الله شأن الأمانة في هذه الآية وأمر بالوفاء بها، وهو الّذي أمر به في سورة المائدة، وعناه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٢].

وقيل في قوله: ﴿عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ مع أنّ هذه الأشياء جمادات لا يصحّ تكليفها أقوال:

أحدها: أنّ المراد عرضنا على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال[٣].

---

١. قارن ٨: ٣٦٤.

٢. قارن ٨: ٣٦٧.

٣. نفس المصدر.

وثانيها: أنّ المعنى في ذلك تفخيم شأن الأمانة وتعظيم حقها، وأنّ من عظم منزلتها أنّها لو عرضت على الجبال والسماوات مع عظمها، وكانت تعلم بأمرها لأشفقت منها، غير أنّه خرج مخرج الواقع، لأنّه أبلغ من المقدّر[١].

وقيل: الأمانة ما خلق الله تعالى في هذه الأشياء من الدلائل على ربوبيته، فظهور ذلك منها كأنّهم أظهروها، والإنسان جحد ذلك وكفر به[٢].

((وإنّما قال: ﴿فَأَبَيْنَ﴾ ولم يقل فأبوا حملاً على اللفظ، ولم يرده إلى معنى الآدميين، كما قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٣] ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[٤] حملاً على المعنى دون اللفظ))[٥].

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. يوسف: ٤.

٤. الشعراء: ٤.

٥. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس ظاهراً ولم يرد في المصدر.

سورة سبأ

فصل

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية: ١.

الحمد هو الشكر، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، ونقيضه الذم، وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير، ولا يستحق الحمد إلاّ على الإحسان[١].

فلما كان إحسان الله لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين، فكذلك لا يستحق الحمد أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه، وكذلك يبلغ شكره إلى حد العبادة، ولا يستحق العبادة سوى الله تعالى، وإن استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد[٢].

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ في الأولى يعني في الدنيا بما أنعم على خلقه من فنون الإحسان ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ (بما) يفعل بهم من الثواب والعوض وضروب التفضّل[٣].

---

١. قارن٨: ٣٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٧٣، وما بين القوسين من المصدر.

والآخرة وإن كانت ليست دار تكليف، فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى، بل العباد ملجأون إلى فعل ذلك، لمعرفتهم الضرورية بنعم الله تعالى عليهم[١].

وما يفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضاً احسان، لما للمكلّفين به في دار الدنيا من الالطاف والزجر عن المعاصي، يفعل الله تعالى العقاب بهم لكونه مستحقاً على معاصيه في دار الدنيا[٢].

ومن حمد أهل الجنة قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ وقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾[٣].

وقيل: إنّما يحمده أهل الآخرة من غير تكليف، على وجه السرور به[٤].

فصل

قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ الآية: ١٢.

قال قتادة: كان مسيرها به إلى انتصاف النهار في مقدار مسير شهر، ورواحها شهر من انتصاف النهار إلى الليل في مقدار مسير شهر[٥].

وقال الحسن: كان يغدو من الشام إلى بيت المقدس، فيقيل باصطخر من أرض اصبهان، ويروح منها فيكون بكابل[٦].

---

١. قارن ٨: ٣٧٤.

٢. قارن ٨: ٣٧٤، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٧٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن٨: ٣٨٢.

٦. نفس المصدر.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس وقتادة: أذبنا له النحاس، والقطر النحاس[١].

فصل

قوله: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ﴾ الآية: ١٦.

لما أخبر الله تعالى عن سبأ، وهي القبيلة من اليمن أنّه أنعم عليهم بالجنتين وبالبلدة الطيبة، وأمرهم بشكر نعمه ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن ذلك، جازاهم الله على ذلك بأن أرسل عليهم سيل العرم، وسلبهم تلك النعمة، وأنزل بهم البلية[٢].

والسيل الماء الكثير الّذي لا يمكن ضبطه ولا دفعه[٣].

وقيل: العرم ماء كثير أرسله الله في السد، فشقه وهدمه، قال الراجز:

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغله[٤]

وقيل: انّ العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة، وهو مأخوذ من عرامة الماء، وهو ذهابه كلّ مذهب، قال الأعشى:

ففي ذلك للمؤتسي اسوة ومأرب قفى عليه العرم

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٨٧.

٣. نفس المصدر.

٤. الرجز ورد في اللسان (غلل) والصحاح (حرد) غير منسوب، وكذا في جملة من التفاسير كالرازي والقرطبي والطبري والسمعاني وغيرهم.

رخـــام بنتـــه لـــه حميـــر إذا جـــاء مـــاؤهم لـــم يـــرم[١]

وقيل: كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا به[٢].

وقيل: كان سببه نقب جرذ بثق عليهم السكر[٣]، وقيل: العرم السكر[٤].

وقيل: المطر الشديد[٥]، وقيل: هو اسم واد[٦]، وقيل: هو الجرذ الّذي نقب السكر[٧].

والأكل جني الثمار الّذي يؤكل، والخمط كلّ نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، في قول الزجاج، وقال أبو عبيدة: هو كلّ شجر ذي شوك، وقال ابن عباس والحسن: هو شجر الأراك وهو معروف[٨].

والاثل الطرفا، قال قتادة: بدلوا بخير الشجر شر الشجر، فالخمط شجر له ثمر مر، والاثل ضرب من الخشب مثل الطرفا إلاّ أنّه أكبر[٩].

فصل

قوله: ﴿ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۞

---

١. ديوان الأعشى الكبير: ٤٣ ط النموذجية بمصر شرح وتعليق الدكتور م . محمّد حسين .

٢. قارن ٨: ٣٨٧ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. نفس المصدر .

٧. نفس المصدر .

٨. قارن٨: ٣٨٨ .

٩. نفس المصدر .

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الآية: ٢٣ – ٢٤.

قوله: ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ أي الله المستعلي على الأشياء بقدرته، لا من علو المكان ﴿الْكَبِيرُ﴾ في أوصافه دون ذاته، لأنّ كبر الذات من صفات الأجسام[١].

ثم قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

وقيل: إنّما قال: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشك، كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب وإن كان هو عالماً بالكاذب[٢]، وعلى هذا قال أبو الأسود الدؤلي يمدح أهل البيت:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدهر ما تنسى علياً

بنو عم النبيّ وأقربوه ... أحب الناس كلّهم إليا

فإن يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطئ إن كان غياً[٣]

---

١. قارن ٨: ٣٩٤.

٢. نفس المصدر.

٣. الأبيات من جملة ١٣ بيتاً في ديوانه: ١٧٦ – ١٧٩ تحـ عبد الكريم الدجيلي ط بغداد سنة ١٣٧٣ هـ وقد علّق على البيت كما هو في المتن نقلاً عن أنباه القفطي ((ولست بمخطئ إن كان غياً)) فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في قولك فإن يك حبهم الخ فقال: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾، وحكي في ص١٧٩ عن تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران عن أبي بكر الهذلي: كتب معاوية إلى عبيد الله بن زياد: إن عرفت أبا الأسود وإلاّ فاسأل عنه ثم أخبره أنّه قد شك في دينه، فإذا قال: بماذا ؟ فأخبره بقوله: فإن يك حبّهم رشدا الخ، فبعث عبيد الله إلى أبي الأسود وأخبره بمقالة معاوية، فقال أبو الأسود: اقرأه السلام وأخبره بأنّي قلت كما قال العبد الصالح: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ أفتراه شك في دينه ؟ !

ولم يقل هذا مع أنّه كان شاكاً في محبتهم، وأنّه هدى وطاعة.

وقال أكثر المفسّرين: انّ معناه أنا لعلى هدى وإياكم لعلى ضلال[١].

وقال أبو عبيدة: ﴿أوْ﴾ بمعنى الواو، كما قال الأعشى:

أثعلبـــة الفـــوارس أو رياحـــا عـدلت بهـم طهيّـة والخشـابا [٢]

فصل

قوله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ الآية: ٥٠.

أي: إن عدلت عن الحقّ ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ لأنّ ضرره يعود عليَّ، لأنّي أؤاخذ به دون غيري ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾ إلى الحقّ ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ أي يسمع دعاء من يدعوه قريب إلى إجابته[٣].

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبّرة، لأنّه قال: ﴿إِنْ ضَلَلْتُ﴾ فأضاف الضلال إلى نفسه، ولم يقل فبقضاء ربي وإرادته[٤].

---

١. قارن ٨: ٣٩٤.

٢. قارن ٨: ٣٩٤، والبيت ليس للأعشى لم أقف عليه في ديوان الأعشى الكبير تحـ الدكتور م محمّد حسين، وهو من شعر جرير كما في ديوانه: ٦٦ تحـ الصاوي، ومجاز القرآن ٢: ١٧٥.

٣. قارن ٨: ٤٠٧.

٤. نفس المصدر.

سورة الملائكة[1]

فصل

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ الآية: ١١.

هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق من البشر أنّه خلقهم من تراب، ويريد أنّه آدم الّذي هو أبوهم، ومنه انتسلوا خلقه من تراب، ومنه توالدوا[2].

---

١. هكذا وردت تسمية السورة مع أنّ الشيخ الطوسي سمّاها سورة فاطر كما هو معروف في جميع المصاحف المطبوعة من نسخ القرآن، نعم قد وردت التسمية للسورة بسورة الملائكة في جملة من المصادر القديمة ففي مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت /٢١٠) ٢: ١٥٢ تحـ سزكين ط مصر الأولى، وتفسير عبد الرزاق(ت: ٢١١) ٣: ٦٨ ط دار الكتب العلمية وردت التسمية بذلك، وكذا في كتاب متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) ق / ٢ / ٥٧١ تحـ زرزور ط دار التراث بمصر وردت التسمية بذلك في جملة من التفاسير كتفسير البيضاي ومجمع البيان للطبرسي وتفسير الصافي للفيض الكاشاني وذكر الشيخ طاهر الجزائري في كتاب التبيان: ١٢٧ ط المنار سنة ١٣٣٤فقال: سورة فاطر وتسمّى بسورة الملائكة، فعلى هذا لا يستغرب القارئ من المؤلف اختار تسمية السورة بسورة الملائكة .

٢. قارن ٨: ٤١٨ .

وقيل: انّ المراد به جميع الخلق، لأنّهم إذا خلقهم من نطفة، والنطفة تستحيل من الغذاء، والغذاء يستحيل من التراب، فكأنّه خلقهم من تراب، ثم جعل التراب نطفة بتدريج[١].

وعلى الأوّل يكون قوله: ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ معناه: ثم خلق أولاد آدم من نطفة إلاّ من استثناه من عيسى في قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أي أشكالاً، لأنّ الزوج هو الّذي معه آخر من شكله، فالاثنان زوجان[٣].

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ ﴾ معناه ليس تحمل الأنثى من حمل بولد، ولا تضعه لتمام أو لغير تمام، والله تعالى عالم به، لا أنّ علمه آلة في ذلك، ولا يدلّ ذلك على أنّ له علماً يعلم به، لأنّ المراد ما ذكرناه، من أنّه لا يحصل شيء من ذلك إلاّ وهو عالم به[٤].

وقوله: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ﴾ فالعمر مدّة الأجل للحياة، وهو تفضّل من الله تعالى على خلقه، يختلف مقداره بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، كما يختلف الغنى والفقر والقوة والضعف[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤١٨، والآية في سورة آل عمران: ٥٩.

٣. قارن ٨: ٤١٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الآية: ١٩.

معناه: لا يتساوى الأعمى عن طريق الحقّ والعادل عنها، والبصير الّذي يهتدي إليها قط، لأنّ الأوّل يستحق العقاب، والثاني يستحق الثواب[١].

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الآية: ٣٢.

الاصطفاء الاختيار باخراج الصفوة من العباد[٢].

ومعنى الآية أنّ الله تعالى أورث علم الكتاب الّذي هو القرآن الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، والأئمة المجتبين، الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح، ولا صغيراً ولا كبيراً، ويكون قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ راجعاً إلى عباده[٣].

---

١. قارن ٨: ٤٢٣.

٢. قارن ٨: ٤٢٩.

٣. قارن ٨: ٤٣٠.

وتقديره: فمن عبادنا ظالم لنفسه، ومن عبادنا مقتصد، ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأنّ من اصطفاه الله تعالى لا يكون ظالماً لنفسه، ولا يجوز أن يرجع الكناية إلى الذين اصطفينا[١].

وقال ابن عباس: الذين أورثهم الله الكتاب هم أمة محمّد، ورثهم الله كلّ كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسبه حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب، وبه قال ابن مسعود وكعب الأحبار، ومعنى الإرث انتهاء الحكم إليهم[٢].

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٣٠.

سورة يس

فصل

قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ * [لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ]﴾ الآيات: ٦ – ٨.

معناه: أنّه أنزل القرآن ليخوف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم، قيل: أراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمّد[١].

وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال عكرمة: معناه لتنذر قوماً مثل الّذي أنذر آباؤهم.

الثاني: قال قتادة: معناه لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم، يعني في زمان الفترة بين عيسى ومحمّد عليهما السلام ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عمّا تضمّنه القرآن وعمّا أنذر الله به من نزول العذاب[٢].

ومثل الغفلة السهو، وهو ذهاب المعنى عن النفس، ومثله النسيان، وهو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها[٣].

وقوله: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه[٤].

---

١. قارن ٨: ٤٤٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٤٤٣.

٤. نفس المصدر.

وقيل: هو المقنع، وهو الّذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع، والقمح من هذا رفع الشيء إلى الفم، والبعير القامح هو الّذي إذا أورد الماء في الشتاء رفع رأسه وشال به نصباً لشدة البرد[١]، قال الشاعر:

ونحـــن علـــى جوانبهـــا قعـــود نغض الطرف كالابل القماح[٢]

فصل

قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الآية: ١٢.

معناه: أحصينا كلّ شيء أحصيناه في كتاب ظاهر، وهو اللوح المحفوظ[٣].

والوجه في احصاء ذلك في إمام مبين اعتبار الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور، وكان فيه دليل على معلومات الله على التفصيل[٤].

فصل

قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الآية: ٤٠.

يعني الشمس والقمر والكواكب يسبحون في الفلك، وإنّما جمعه بالواو والنون لما أضاف إليها أفعال الآدميين[٥].

وقيل: الفلك مواضع النجوم من الهواء الّذي يجري فيه ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون فيه بانبساط، وكلّ ما انبسط في شيء فقد سبح، ومنه السباحة في الماء[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٤٣، والبيت لبشر بن أبي خازم الأسدي كما في مجاز القرآن ٢: ١٧٥، قاله وهو يصف سفينة كما في تفسير القرطبي ١٥: ٨.

٣. قارن ٨: ٤٤٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن٨: ٤٦٠.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * [قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ الآيات: ٥١– ٥٣.

قيل: انّ الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل، فيخرج من جوفه صوت عظيم تميل العباد إليه، لأنّه كالداعي لهم إلى نفسه[١].

وقال أبو عبيدة: الصور جمع صورة مثل بسرة وبسر، وهو مشتق من الميل، صاره يصوره صوراً إذا أماله، ومنه قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي أملهنّ إليك ومنه الصورة لأنّها تميل إلى مثلها بالمشاكلة[٢].

ثم حكى ما يقول الخلائق إذا حشروا، فإنّهم يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ أي من حشرنا من منامنا الّذي كنّا فيه نياماً، ثم يقولون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أخبرونا عن هذا المقام وعن البعث[٣].

فإن قيل: هذا ينافي قول المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذّب في قبره، لأنّه لو كان معذّباً لما كان في المنام[٤].

---

١. قارن ٨: ٤٦٦.

٢. قارن ٨: ٤٦٦، والآية في سورة البقرة: ٢٦٠.

٣. قارن ٨: ٤٦٦.

٤. نفس المصدر.

قيل: يحتمل أن يكون العذاب في القبر، و ((لا)) يتصل إلى يوم البعث[١]، فتكون النومة بين الحالين[٢].

ويحتمل لو كان متصلاً أن يكون ذلك عبارة عن عظم ما يشاهدونه ويحضرون فيه يوم القيامة: فكأنّهم كانوا قبل ذلك في مرقد، وإن كانوا في عذاب لما كان قليلاً بالإضافة إلى الحاضر[٣].

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا ۖ [أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ]﴾ الآيات: ٦٢ – ٦٥.

يعني: أضلّ عن الدين الشيطان ﴿مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي خلقاً كثيراً، واضلاله إياهم هو اغواؤه لهم، كما أضلّ السامري قوم موسى لما دعاهم إلى عبادة العجل، فكان الإضلال على هذا الوجه قبيحاً[٤].

فأمّا إضلال الله تعالى للكفار عن طريق الجنة إلى طريق النار، أو إضلالهم بمعنى الحكم عليهم بالضلال، فهو حسن، وأمر الشيطان بالضلال الّذي يقع معه القبول إضلال، كما يسمّى الأمر بالاهتداء الّذي يقع عنده القبول هدى[٥].

---

١. قارن٨: ٤٦٦، وما بين القوسين من المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٦٦.

٣. قارن ٨: ٤٦٧.

٤. قارن ٨: ٤٧٠.

٥. نفس المصدر.

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبّرة في إرادة الله تعالى إضلالهم، لأنّ ذلك أضرّ عليهم من إرادة الشيطان وأشدّ عليهم في إيجاب العداوة[١].

ثم أخبر تعالى بأنّه يختم على أفواه الكفّار يوم القيامة، فلا يقدرون على الكلام والنطق ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وقيل في معنى شهادة الأيدي قولان:

أحدهما: أنّ الله تعالى يخلقها خلقة، يمكنها أن تتكلّم وتنطق وتعترف بذنوبها[٢].

والثاني: أن يجعل الله فيها كلاماً ونسبه إليها لما ظهر من جهتها[٣].

وقال قوم: أنّه يظهر فيها من الإمارات ما يدلّ على أنّ أصحابنا عصوا بها وجنوا بها أقبح الجنايات، فسمّى ذلك شهادة، كما يقول القائل: عيناك تشهد بسهرك، قال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني[٤]

وكلّ ذلك جائز.

فصل

قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * [لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ]﴾ الآيات: ٦٩ – ٧٠.

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٧١.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن٨: ٤٧١، والبيت من أبيات الشواهد ولم ينسب في جملة المصادر التي رأيتها.

معناه: ما علّمناه الشعر، لأنّا لو علّمناه لدخلت به الشبهة على قوم فيما أتى به من القرآن، وأنّه قدر على ذلك بما ((في)) طبعه من الفطنة للشعر[١].

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ قيل: معناه من كان مؤمناً، لأنّ الكافر شبهه ومثله بالأموات في قوله ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[٢].

فصل

قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ الآية: ٨٠.

فبيّن أنّ من قدر على أن يجعل في الشجر الأخضر الّذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع تضاد النار للرطوبة، حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض، وهو المرخ والعفار فمن قدر على ذلك لا يقدر على الإعادة ؟![٣].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ والمعنى بذلك الإخبار عن سهولة الفعل عليه، وأنّه إذا أراد فعل شيء فعله، بمنزلة ما يقول للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ في الحال، وهو مثل قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدرتا بالدر لما يثقب

وإنّما أخبر عن سرعة دمعه دون أن يكون قولاً على الحقيقة[٤].

---

١. قارن ٨: ٤٧٣.

٢. قارن ٨: ٤٧٤، والآية في سورة النحل: ٢١.

٣. قارن ٨: ٤٧٩.

٤. قارن ٨: ٤٧٩، والبيت من الشواهد ولم أقف على قائله في جملة المصادر.

سورة الصافات

فصل

قوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۞ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۞ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ الآيات:١ – ٣.

وقال مسروق وقتادة والسدي: انّ الصافات صفاً هي الملائكة مصطفّون في السماء[١].

﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾ قال السدي ومجاهد: هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصي زجراً، يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد، كما يوصل مفهوم اغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف، وقيل: إنّها تزجر السحاب في سوقه[٢].

وقوله: ﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: قال مجاهد والسدي هم الملائكة تقرأ كتب الله تعالى[٣].

فصل

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ الآية: ٩.

---

١. قارن٨: ٤٨٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: معناه أنّ لهم مع ذلك أيضاً عذاب دائم يوم القيامة، ومنه قوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[١] أي: دائماً، قال أبو الأسود:

لا أشتري الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر أجمع واصباً[٢]

فصل

قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ الآية: ١١.

والمراد أنّ خلق آدم من طين، وأنّ هؤلاء نسله وذريته، فكأنّهم خلقوا من الطين[٣].

ومعنى ﴿لازِبٍ﴾ لازم، وقال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد، وقال قتادة: هو الّذي يلتزق باليد[٤].

ومن قال معنى ﴿لازِبٍ﴾ لازم، قال: أبدلت من الميم الباء، لأنّها مخرجها، يقولون: طين لازم وطين لازب، قال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب[٥]

فصل

قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ الآية: ٢٨.

---

١. قارن ٨: ٤٨٤، والآية في سورة النحل: ٥٢.

٢. قارن ٨: ٤٨٤، والبيت في ديوان أبي الأسود: ١٠١ تحـ آل يس.

٣. قارن ٨: ٤٨٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن٨: ٤٨٦، والبيت في ديوان النابغة الذبياني من الستة دواوين: ٣.

حكاية ما يقول الكفّار لمن قبلوا منهم: انّكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمين والبركة، فلذلك اغتررنا بكم، والعرب تتيمن بما جاء من جهة اليمين[١].

وقال الفراء: معناه أنّكم كنتم تأتوننا من قبل اليمين، فتخدعونا من أقوى الوجوه، واليمين القوة، ومنه قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي بالقوة[٢].

فصل

قوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ الآية: ٣١.

أخبروا أيضاً وقالوا: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ أيضاً، أي وجب علينا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ فانّا لا نؤمن، ونموت على الكفر، أو وجب علينا قول ربّنا بالعذاب الّذي يستحق على الكفر والاغواء[٣].

﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ العذاب، بمعنى انّا ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق[٤].

فصل

قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الآية: ٤٧.

معناه: لا يكون في ذلك الشراب ﴿غَوْلٌ﴾ أي فساد يلحق العقل خفياً، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره، ومنه الغيلة وهي القتل سراً[٥].

---

١. قارن ٨: ٤٩١.

٢. قارن ٨: ٤٩١، والآية في سورة الصافات: ٩٣.

٣. قارن ٨: ٤٩٢.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٤٩٥.

وقال ابن عباس: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾ معناه لا يكون فيها صداع ولا أذى، كما يكون في خمر الدنيا، قال الشاعر:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأوّل الأوّل[١]

فهذا من الغيلة، أي نصرع واحد بعد واحد ﴿وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي ولا يسكرون، والنزيف السكران لأنّه ينزف عقله[٢].

فصل

قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ الآية: ٥٣.

معناه: لمجزيون، مشتق من قولهم ((كما تدين تدان)) أي كما تجزي تجزى، والدين الحساب، ومنه الدَين لأنّ جزاءه القضاء[٣].

وقال ابن عباس: القرين الّذي كان شريكاً له كان من الناس[٤].

وقال مجاهد: كان شيطاناً[٥].

فصل

قوله: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ * أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ

---

١. قارن ٨: ٤٩٦، والبيت من الشواهد في تفسير القرطبي ١٥: ٧٩، والطبري ٢٢: ٦٤، ومجمع البيان ٨: ٣٠٤ وغيرها.

٢. قارن ٨: ٤٩٦.

٣. قارن ٨: ٤٩٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ الآيات: ٦١ – ٧٠.

يقول الله تعالى في تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا﴾ يعني لمثل ثواب الجنة ونعيمها ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ في دار التكليف، ويحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الّذي تدعو إليه الحكمة من وجوب أو ندب[١].

قال الرماني: ألا ترى أنّه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو إليه الحكمة لاستحق الثواب إذا خلص من الإحباط[٢].

وهذا الّذي ذكره غير صحيح، لأنّ القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه، فإن عرض في القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن، فإنّه لا يعتد بها[٣].

فإن علمنا فيما ظاهره القبح أنّه وقع على وجه يستحق به الثواب، علمنا أنّه خرج من كونه قبيحاً، ومثال ذلك إظهار كلمة الكفر عند الإكراه عليها، أو الإنكار لكون نبيّ بحضرته لمن يطلبه ليقتله، فإنّ هذا وإن كان كاذباً في الظاهر، فلابدّ أن يوري المظهر بما يخرجه عن كونه كاذباً، ومتى لم يحسن التورية منع الله من إكراهه عليها[٤].

---

١. قارن ٨: ٥٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٥٠١.

وفي الناس من يقول: يجب عليه الصبر على القتل ولا يحسن منه الكذب[١]، ومتى كان ممن يحسن التورية ولم يور كان القول منه كذباً وقبيحاً ولا يستحق به الثواب[٢].

فأمّا الإكراه على أخذ مال الغير، أو إدخال ضرر عليه دون القتل، فمتى علمنا بالشرع وجوب فعل ذلك عند الإكراه أو حسنه، علمنا أنّه خرج بذلك من كونه قبيحاً، وأنّ الله ضمن من العوض عليه ما يخرجه عن كونه قبيحاً، كما نقول في ذبح البهائم، ومتى لم يعلم بالشرع ذلك، فإنّه يقبح إدخال الضرر على الغير وأخذ ماله[٣].

فأمّا إدخال الضرر على نفسه ببذل مال، أو عمل جراح ليدفع بذلك عن نفسه ضرراً أعظم منه، فإنّه يحسن لأنّه وجه يقع عليه الإثم، فيصير حسناً، وهذا باب أحكمناه في كتاب الأصول، لا يحتمل هذا الموضع أكثر منه[٤].

وقوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ إنّما جاز ذلك مع أنّه لا خير في الزقوم لأمرين:

أحدهما: على الحذف، بتقدير أسبب هذا الّذي أدى إليه خير، أم سبب ذلك النار، كأنّهم قالوا فيه خير لما عملوا ما أدّى إليه[٥].

والنزل الفضل طعام له نزل، ونزل، أي فضل ريع[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن٨: ٥٠٢.

والزقوم قيل: هو ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم ((تزقم هذا الطعام)) إذا تناوله على تكره ومشقة شديدة، وقيل: شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة[١].

وقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ قيل: في تشبيه ذلك برؤوس الشياطين مع أنّ رؤوس الشياطين لم تر قط ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ قبح صورة الشيطان متصوّر في النفس، ولذلك يقولون لشيء يستقبحونه جداً كأنّه شيطان، وقال امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[٢]

فشبه بأنياب أغوال وهي لم تر، ويقولون: كأنّه رأس شيطان وانقلب عليّ كأنّه شيطان[٣].

والثاني: أنّه شبّه برأس حية تسمّيها العرب شيطاناً[٤].

الثالث: أنّه شبّه بنبت معروف برؤوس الشياطين[٥].

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الآيات: ٧٥ – ٧٦.

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥٠٢، والبيت في ديوان امرئ القيس: ١٤١ ط مصر تحـ السندوبي.

٣. قارن ٨: ٥٠٢.

٤. قارن٨: ٥٠٣.

٥. نفس المصدر.

فالنجاة هو الرفع من الهلاك، وأصله الرفع، فمنه النجوة المرتفع من المكان، ومنه النجا النجا كقولهم الوحا الوحا، والاستنجاء رفع الحدث[١].

والكرب الحزن الثقيل على القلب، والكراب تحرير الأرض باصلاحها للزراعة، والكَرب هو الّذي يحمي قلب النخلة باحاطته بها وصيانته لها[٢].

فصل

قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ * وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الآيات: ٨١ – ٨٣.

الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصار بالعرف عبارة عن شيعة عليّ عليه السلام الذين معه على أعدائه[٣].

وقيل: من شيعة نوح إبراهيم، يعني أنّه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحقّ[٤].

فصل

قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ الآيات: ٨٨ – ٨٩.

قيل: معناه ﴿نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ أنّه استدلّ بها على وقت حمى كانت تعتاده ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ومن أشرف على شيء جاز أن يقال: انّه فيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[٥] ولم يكن نظره في النجوم على حسب نظر

---

١. قارن ٨: ٥٠٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٥٠٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٥٠٩، والآية في سورة الزمر: ٣٠.

المنجمين طلباً للأحكام، لأنّ ذلك فاسد[١]، ومثله قول الشاعر:

أسهري ما سهرت أم حكيم واقعدي مرة لذاك وقومي

وافتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم[٢]

وقال الزجاج: نظر في النجوم كنظرهم، لأنّهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهّموا هم أنّه يقول مثل قولهم، فقال عند ذلك: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فتركوه ظنّاً منهم أنّ نجمه يدلّ على سقمه[٣].

وقال أبو مسلم: معناه أنّه نظر فيها نظر مفكّر، فاستدلّ بها على أنّها ليست آلهة له، كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ تمام الآيات، وكان هذا منه في زمان مهلة النظر[٤].

وهذا الّذي ذكره يمنع منه سياق الآية، لأنّ الله تعالى حكى عن إبراهيم أنّه جاء ربه بقلب سليم، يعني سليم من الشرك، وذلك لا يليق بزمان مهلة النظر.

ثم أنّه قال لقومه على وجه التقبيح لفعلهم: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا كلام عارف بالله مستبصر، فكيف يحمل على زمان مهلة النظر[٥].

وقيل: في معنى قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي سقيم القلب فيما أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدولكم عن عبادته، مع وضوح الدلالة الدالّة على توحيده، واستحقاقه للعبادة منفرداً بها[٦].

---

١. قارن ٨: ٥٠٩.

٢. قارن ٨: ٥٠٩، والشعر من الشواهد ولم يعرف قائله.

٣. قارن ٨: ٥٠٩.

٤. قارن ٨: ٥٠٩، والآية في سورة الأنعام: ٧٦.

٥. قارن ٨: ٥٠٩.

٦. نفس المصدر.

وقيل: معناه أي سأسقم في المستقبل[١].

فأمّا من قال: إنّه لم يكن سقيماً، وإنّما كذب فيه ليتأخّر عن الخروج معهم إلى عيدهم ليكسر أصنامهم، وأنّه يجوز الكذب في المكيدة والتقية، فقوله باطل لأنّ الكذب قبيح لا يحسن على وجه[٢].

فأمّا ما يروونه من أنّ النبيّ عليه السلام قال: ما كذب أبي إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ولم يكن كذلك، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ وقوله في سارة أنّها أختي وكانت زوجته[٣].

فأول ما فيه أنّه خبر واحد لا يعوّل على مثله، والنبيّ عليه السلام أعرف بما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز من كلّ أحد[٤].

وقد دلّت الأدلّة العقلية على أنّ الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا فيما يؤدّونه عن الله، من حيث أنّه كان يؤدّي إلى أن لا يثق بشيء من أخبارهم، وإلى أن لا تنزاح علّة المكلّفين، ولا في غير ما يؤدّونه عن الله، من حيث أنّ تجويز ذلك ينفر عن قبول قولهم، فاذن يجب أن يقطع على أنّ الخبر لا أصل له[٥].

ولو سلم لجاز أن يكون المعنى ما ظاهره ظاهر الكذب، وإن لم يكن في الحقيقة كذباً، لأنّ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قد بيّنا الوجه فيه، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ بيّناه في موضعه.

---

١. قارن ٨: ٥١٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله في سارة أنّها أختي، معناه أنّها أختي في الدين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فجعلهم أخوة وإن لم يكونوا بني أب واحد[1].

فصل

قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * [فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ]﴾ الآيات: ٩٣ – ١٠١.

---

١. قارن٨: ٥١٠، والآية في سورة الحجرات: ١٠.

والخبر المشار إليه أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وربما غيرهم عن أبي هريرة، فأحدث بلبلة لدى المفسّرين في توجيهه ولكلّ وجهة هو موليها، غير أنّ الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ٧: ١٥١ ط العامرة العثمانية ذكر وجوهاً منها الوجه السابع قال بعضهم: ذلك القول عن إبراهيم عليه السلام كذبة ورووا فيه حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ما كذب إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات، قلت لبعضهم: هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل، لأنّ نسبة الكذب إلى إبراهيم لا تجوز، فقال ذلك الرجل: فكيف يحكم بكذب الرواة العدول ؟ فقلت: لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي وبين نسبته إلى الخليل عليه السلام، كان من المعلوم بالضرورة أنّ نسبته إلى الراوي أولى، ثم نقول: لم لا يجوز أن يكون المراد بكونه كذباً خبراً شبيهاً بالكذب، انتهى ما قاله الرازي، وهو جيّد ووجيه.

أقول: ومراده بكونه كذباً خبراً شبيهاً بالكذب، يعني المعاريض، وهو أن يقول الرجل شيئاً يقصد به غيره، ويفهم منه غير ما يقصده، ولا يكون ذلك كذباً، فإنّ الكذب قبيح لعينه، ولا يجوز ذلك على الأنبياء، لأنّه يرفع الثقة بقولهم، جلّ أمناء الله تعالى وأصفياؤه عن ذلك، وقد ورد في الخبر: أنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب باقتباس عن مجمع البيان ٤: ٤٥٠ ط صيدا، على أنّ في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٤١ ينفي كلّ ما رواه أبو هريرة في هذا وهو أولى بالكذب، فقد أكذبه عمر وعلي وعائشة راجع كتاب أبو هريرة للسيّد شرف الدين، وكتاب شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية رحمها الله تعالى تجد نماذج من كذبه.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه مال عليهم بيده اليمنى، لأنّها أقوى على العمل من الشمال.

الثاني: بالقسم ليكسّرنّها، لأنّه كان قال: ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[١].

وقال الفراء: اليمين القوة، ومنه قول الشاعر:

تلقّاهـــا عرابـــة بـــاليمينْ[٢]

قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الألف ألف استفهام ومعناها الإنكار، ووجه التوبيخ أنّه كيف يصحّ أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده، فإنّهم كانوا الذين ينحتون الأصنام بأيديهم، فكيف تصحّ عبادة من هذه حاله، مضافاً إلى كونها جماداً[٣].

ثم نبّههم فقال: ﴿وَاللَّهُ﴾ تعالى هو الّذي ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وخلق الّذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فيه من الأصنام، لأنّها أجسام، والله تعالى هو المحدث لها، وليس للمجبّر أن يتعلّق بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيقول: ذلك يدلّ على أنّ الله خالق لأفعالنا، لأمور[٤]:

أحدها: أنّ موضوع كلام إبراهيم مبنيّ على التقريع لهم لعبادتهم الأصنام، فلو كان ذلك من فعله تعالى لما توجّه عليهم العتب، بل كان لهم أن يقولوا: ولم يوبّخنا على عبادتنا للأصنام والله الفاعل لذلك، وكانت تكون الحجة لهم لا عليهم[٥].

---

١. قارن٨: ٥١٢، والآية في سورة الأنبياء: ٥٧.

٢. قارن٨: ٥١٢، والبيت من الشواهد وصدره: (إذا ما راية رفعت لمجد)، من شعر الشماخ بن ضرار.

٣. قارن ٨: ٥١٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

الثاني: أنّه قال لهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ونحن نعلم أنّهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الّذي هو فعلهم، وإنّما كانوا يعبدون الأصنام التي هي الأجسام، وهي فعل الله بلا شك، فقال لهم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وخلق هذه الأجسام.

ومثله قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[١] ومثله قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ وعصى موسى لم تكن تلقف إفكهم، وإنّما كانت تلقف الأجسام التي هي العصيّ والحبال[٢].

ومنها أنّ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخلو أن تكون بمعنى ((الّذي)) أو مع ما بعدها بمنزلة المصدر، فإن كانت بمعنى الّذي فـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ صلتها، ولابدّ لها من عائد يعود إليها، وليس لهم أن يقدّروا فيها ضمير الهاء ليصح ما قالوه، لأنّ لنا أن نقدّر ضميراً فيه فيصح ما نقوله[٣].

ويكون التقدير: وما يعملون فيه، والّذي يعملون فيه هي الأجسام، وإن كانت مصدرية، فإنّه يكون تقديره: والله خلقكم وعملكم، ونفس العمل يعبّر به عن المعمول فيه، بل لا يفهم في العرف إلاّ ذلك، يقولون: فلان يعمل الخوص، وفلان يعمل السروج، وهذا الباب من عمل النجار، والخاتم من عمل الصائغ، ويريدون بذلك كلّه ما يعملون فيه[٤].

فعلى هذا تكون الأوثان عملاً لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر، على أنّه تعالى أضاف العمل إليهم بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فكيف يكون ما هو مضاف إليهم مضافاً إلى الله تعالى، وهل يكون ذلك إلاّ متناقضاً[٥].

---

١. الأعراف: ١١٦.

٢. قارن ٨: ٥١٣، والآية في سورة طه: ٦٩.

٣. قارن ٨: ٥١٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ومنها أنّ الخلق في أصل اللغة: هو التقدير للشيء وترتيبه، فعلى هذا لا يمتنع أن نقول: انّ الله خالق أفعالنا، بمعنى أنّه قدّر لها الثواب والعقاب، فلا تعلّق للقوم على حال[١].

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ [قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ]﴾ الآيات: ١٠٢ – ١١١.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ مع أبيه ﴿السَّعْيَ﴾ يعني في طاعة الله، قال الحسن: سعى للعمل الّذي تقوم به الحجة[٢]، وقال مجاهد: ﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ معناه أطاق أن يسعى معه ويعينه على أموره، وهو قول الفراء[٣]، وقال ابن زيد: السعي في العبادة[٤].

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ وكان الله تعالى أوحى إلى إبراهيم في حال اليقظة، وتعبّده أن يُمضي ما يأمره به في حال

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥١٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

نومه، من حيث أنّ منامات الأنبياء لا تكون إلاّ صحيحة، ولو لم يأمره به في اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات، أحب أن يعلم حال ابنه في صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته، فلذلك قال له: ﴿مَاذَا تَرَى﴾ وإلاّ فلا يجوز أن يوآمر في المضي في أمر الله ابنه، لأنّه واجب على كلّ حال[١]، ولا يمتنع أن يكون فعل ذلك بأمر الله أيضاً، فوجده عند ذلك صابراً مسلماً لأمر الله[٢].

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ يعني إبراهيم وابنه أي استسلما لأمر الله ورضيا به أخذ إبنه ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ معنى تلّه صرعه، والجبين ما عن يمين الجبهة أو شمالها، وللوجه جبينان الجبهة بينهما، وقال الحسن: معنى تلّه أضجعه[٣].

واختلفوا في الذبيح، فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب والحسن في احدى الروايتين عنه والشعبي: انّه كان إسماعيل وهو الظاهر في روايات أصحابنا، ويقويه قوله بعد هذه القصة وتمامها ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فدلّ على أنّ الذبيح كان إسماعيل[٤].

ومن قال: انّه بشّر بنبوة إسحاق دون مولده فقد ترك الظاهر، لأنّ الظاهر يقتضي البشارة باسحاق دون نبوته[٥].

ويدلّ عليه أيضاً قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[٦] ولم يذكر إسماعيل، فدلّ على أنّه كان مولوداً قبله، وأيضاً فإنّه بشّره بإسحاق

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥١٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٥١٨.

٦. هود: ٧١.

وأنّه سيولد له يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك، وأجابوا عن ذلك بأنّ الله لم يقل أنّ يعقوب يكون من ولد إسحاق، وقالوا أيضاً: يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب[١].

والأوّل هو الأقوى على ما بيّناه، وقد روي عن النبيّ عليه السلام أنّه قال: «أنا ابن الذبيحين» ولا خلاف أنّه كان من ولد إسماعيل، والذبيح الآخر عبد الله أبوه[٢].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥١٨، والحديث بهذا اللفظ أورده غير واحد في جملة من التفاسير كما في تفسير القرطبي ١٥: ١١٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥: ٢٨١، وتفسير الطبري في ٢٣: ٥٤، وتفسير الكشاف: ١٤١، وتفسير الرازي ٧: ١٥٥وغيرهم، ومع ذلك قال الزيلعي في نصب الراية وابن حجر في الهداية في تخريج أحاديث نصب الراية: لم نجده بهذا اللفظ وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: حديث ابن الذبيحين رواه الحاكم في المناقب من المستدرك وساق حديث الاعرابي الّذي شكا الفاقة للنبي صلى الله عليه وآله فقال: فعد عليّ ممّا أفاء الله عليك يا بن الذبيحين. فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكر عليه.

وقال القسطلاني في المواهب والزرقاني في شرحها: وعند الحاكم في المستدرك وابن جرير وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم ... والحديث حسن بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولابن تيمية رسالة القول المليح في تعيين الذبيح رجح فيها القول بأنّ الذبيح إسماعيل.

ويعجبني قول أبي عمرو بن العلاء في هذا المقام وقد سأله الأصمعي عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عقلك ومتى كان إسحاق بمكة، وإنّما كان إسماعيل بمكة، وهو الّذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة.

وأمّا الذبيح الثاني فهو عبد الله بن عبد المطلب، قد نذر أبوه إن آتاه الله عشرة من البنين الذكور ينحر واحداً منهم، ولما رزقه الله ما تمنّاه أراد أن يفي بنذره، ودعا أولاده وأخبرهم ودعاهم إلى الوفاء فأطاعوه، فأقرع بينهم، فكان عبد الله الّذي يخرج عليه السهم ثلاث مرات، وكان أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة، فمنعه أخواله بني مخزوم وقالوا له ارض ربك وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة، راجع جنى الجنتين للمحبي: ٥١ ط الشرقي بدمشق سنة ١٣٤٨، وكشف الخفاء للعجلوني ١: ١٩٩ ط القدسي بمصر، وموسوعة أطراف الحديث النبوي وغيرها.

وفي الناس من استدلّ بهذه الآية على جواز النسخ قبل وقت فعله، من حيث أنّ الله تعالى كان أمره بذبح ولده، ثم نسخ عنه قبل أن يفعله[١].

ولا يمكننا أن نقول: انّ الوقت كان قد مضى، لأنّه لو أخّره عن الوقت الّذي أمره به فيه لكان عاصياً، ولا خلاف أنّ إبراهيم لم يعص بذلك، فدلّ على أنّه نسخ عنه قبل وقت فعله[٢].

ومن لم يجز النسخ قبل وقت فعله، أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة[٣]:

أحدها: أنّ الله أمر إبراهيم أن يقعد منه مقعد الذابح، ويشد يديه ورجليه ويأخذ المدية ويتركها على حلقه، وينتظر الأمر بامضاء الذبح على ما رأى في منامه، وكلّ ذلك فعله ولم يكن أمراً بالذبح، وإن سمي مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه، وغلبة الظن أنّه سيؤمَر بذلك على ضرب من المجاز[٤].

الثاني: أنّه أمره بالذبح وذبح، وكلما فرى جزء من حلقه وصله الله بلا فصل حتى انتهى إلى آخره، فاتصل به، وصل الله تعالى قدر فعل ما أمره به، ولم يبن الرأس ولا انتفى الروح[٥].

الثالث: أنّه أمر بالذبح بشرط التخلية والتمكين، فكان كما روي أنّه كلّما اعتمد بالشفرة، انقلبت وجعل على حلقه صفيحة من نحاس[٦].

---

١. قارن ٨: ٥١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٥١٩.

٦. نفس المصدر.

وهذا الوجه ضعيف، لأنّ الله تعالى لا يجوز أن يأمر بشرط، لأنّه عالم بالعواقب وإنّما يأمر الواحد منّا بشرط ذلك، لأنّه لا يعلم العواقب، ولأنّ فيه أنّه أمر بما منع منه وهذا عبث[١].

وأما شبهة من قال: انّه فداه بذبح، فدلّ ذلك على أنّه كان مأموراً بالذبح على الحقيقة، اعتراضاً على الوجه الأوّل، لأنّ من شأن الفداء أن يكون من جنس المفدي، فليس بشيء، لأنّه لا يلزم ذلك[٢].

ألا ترى أنّ من حلق رأسه وهو محرم يلزمه دم، وكذلك إذا لبس ثوباً مخيطاً أو شمّ طيباً أو جامع، وإن لم يكن جميع ذلك من جنس المفدي[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾ أي الاختبار الظاهر، وقيل: هو النعمة الظاهرة، وتسمّى النعمة بلاء والنقمة أيضاً بلاء، من حيث أنّها سمّيت بسببها المؤدي إليها، كما يقال لأسباب الموت هو الموت بعينه[٤].

والفداء جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه، ومنه فداء المسلمين بالمشركين لدفع ضرر الأسر عنهم، فكذلك فدا الله ولد إبراهيم بالكبش ليدفع ضرر الذبح عنه[٥].

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: على إبراهيم ﴿فِي الآخِرِينَ﴾ يعني أثنينا عليه الثناء الحسن في أمة محمّد لأنّهم آخر الأمم بأن قلنا: ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٦].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ٨: ٥٢٠ .

٦. نفس المصدر .

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ]﴾ الآيات: ١٢٣ – ١٢٥.

من أضاف أراد به على آل محمّد عليهم السلام لأنّ يس اسم من أسماء محمّد على ما حكيناه [١]، وقال بعضهم: أراد آل الياس عليه السلام [٢].

وقال الجبائي: أراد أهل القرآن، ومن لم يضف أراد إلياس، وقال: إلياسين، لأنّ العرب تغيّر الأسماء الأعجمية بالزيادة كما يقولون: ميكائيل وميكائين وفي إسماعيل اسمعين [٣]، قال الشاعر:

يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا [٤]

أي: إسرائيل.

قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ قال الحسن والضحاك وابن زيد: المراد بالبعل ها هنا صنم كانوا يعبدونه [٥].

والبعل في لغة أهل اليمن هو الربّ، يقولون: من بعل هذا الثوب ـ أي من ربّه ـ وزوج المرأة بعلها، والنخل والزرع إذا استقى بماء السماء فهو بعل وهو العذي [٦].

---

١. قارن ٨: ٥٢٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. البيت من شواهد زاد المسير لابن الجوزي ١: ٦٠، وفيه: وقال أعرابي صاد ضبّاً فأتى به أهله. وفي تفسير البحر المحيط لم ينسبه لأحد.

٥. قارن ٨: ٥٢٥.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿إِذ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * [فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ * فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ]﴾ الآيات: ١٤٠ – ١٤٨.

معناه: حين هرب إلى السفن المملوءة، فاللآبق الفار إلى حيث لا يهتدي إليه طالبه، يقال: أبق العبد يأبق اباقاً فهو آبق إذا فرّ من مولاه، والآبق والهارب والفار واحد[١].

وقوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ قال ابن عباس: معناه قارع، وهو قول السدي[٢].

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ قال مجاهد: يعني من المسهومين، والمساهمة المقارعة، فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه، فألقي في البحر فالتقمه الحوت فكان من المدحضين، قال الحسن: كان من المقروعين[٣].

قيل: إنّما تساهموا لأنّهم أشرفوا على الغرق، فرأوا أنّ طرح واحد أيسر من غرق الجميع[٤].

---

١. قارن ٨: ٥٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٥٢٩.

وقيل: لا بل رأوا الحوت قد تعرّضت لهم، قالوا: فينا مذنب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به في البحر[١].

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ومعناه ابتلعه[٢].

وقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ معناه: تكنه من حر الشمس، واليقطين كلّ شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف فهي يقطين، وقال ابن عباس وقتادة: هو القرع[٣].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: كلّ شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ والدبا ـ وهو القرع ـ فهو يقطين، وهو تفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة راسخ، كالنخل والزيتون ونحوه[٤].

والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت ((مثل العدس الخُلّر والحمص واحدها قُطنية وقِطنية وقطنية، سمّيت بذلك لقطونها البيت))[٥].

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: انّ قوم يونس لما رأوا إمارات العذاب، ولم يكونوا قد بلغوا حد الإلجاء واليأس من البقاء آمنوا وقبل الله إيمانهم، لأنّه لو كانوا حصلوا في العذاب لكانوا ملجئين، ولما صح إيمانهم على وجه يستحق به الثواب[٦].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٨: ٥٣٠ .

٤. نفس المصدر .

٥ـ ما بين القوسين من زيادات ابن إدريس، والخلّر كسكّر نبات، أو الفول أو الجلبان، أو الماش (القاموس).

٦. قارن ٨: ٥٣٠ .

وقوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل في معنى ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أقوال[١]:

أحدها: أن يكون بمعنى الواو، وتقديره إلى مائة ألف وزيادة عليهم[٢].

الثاني: أن يكون بمعنى ((بل)) على ما قال ابن عباس[٣].

الثالث: أن يكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنّه قال: أرسلناه إلى إحدى العدتين[٤].

١. قارن ٨: ٥٣١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

سورة ص

فصل

قوله: ﴿[بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ]﴾ الآية:٢ - ٣.

الشقاق الخلاف.

ومعنى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ حين فرار من العقاب، وقيل: المناص المنجاة[١].

فصل

قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ الآية: ٦.

معناه هذا الّذي يدّعيه محمّد ويدعونا إليه، لشيء يراد به أمرٌ ما، من الاستعلاء علينا، والرئاسة فينا، والقهر لنا[٢].

فصل

قوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ الآية: ١١.

والجند جمع معد للحرب، وجمعه أجناد وجنود وجنَّد الأجناد، أي:

---

١. قارن ٨: ٥٤٢.

٢. قارن ٨: ٥٤٥.

جيَّش الجيوش، ومنه قوله: ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)) [١].

فصل

قوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ الآية: ١٦.

يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفّار الذين وصفهم بأنّهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب الله: ((يا ربّنا عجّل لنا قطنا)) أي قدّم لنا نصيبنا من العذاب [٢].

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: طلبوا حظّهم من العذاب تهزّئاً بخبر الله وشكّاً فيه [٣].

وقيل: إنّما سألوا أن يعجل كتبهم التي يقرؤنها في الآخرة استهزاءاً منهم بهذا الوعيد، والقط الكتاب [٤]، قال الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطي القطوط ويأفق [٥]

فصل

قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ

١ـ قارن ٨: ٥٤٧، والحديث في مسند أحمد ٢: ٢٩٥، وعلل الشرائع للصدوق باب ٧٩: ٢ وقد عقد البخاري في صحيحه ٤: ١٠٤ باب الأرواح جنود مجندة وكذلك مسلم في صحيحه ٨: ٤١ أخرج الحديث وغيرهم آخرون.

٢. قارن ٨: ٥٤٨.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٥٤٩.

٥. قارن ٨: ٥٤٩، والبيت في ديوان الأعشى الكبير: ٢١٩، ط النموذجية بمصر.

بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ * إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ الآيات: ٢١ – ٢٥.

يعني: حين صعدوا المحراب.

والخصم هو المدّعي على غيره حقاً من الحقوق المنازع له فيه، ويعبّر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد، لأنّ أصله المصدر، ولذلك قال: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ لأنّه أراد المدّعي والمدّعى عليه ومن تبعهما، فلا يمكن أن يتعلّق به في أنّ أقلّ الجمع إثنان[١].

والتسوّر الإتيان من جهة السور، يقال: تسوّر فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها، وكانوا أتوه من أعلى المحراب، فلذلك فزع منهم[٢].

والمحراب مجلس الأشراف، الّذي يحارب دونه لشرف صاحبه، ومنه سمّي المصلّى محراباً، وموضع القبلة أيضاً محراب[٣].

---

١. قارن ٨: ٥٥١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ لأنّهما كانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا بغى أحدهما على الآخر، وإنّما هو على المثل[١].

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾ معناه: ولا تجاوز الحقّ، وقال أبو مسلم محمّد بن بحر الاصبهاني: الخصمان من ولد آدم ولم يكونا ملكين[٢].

وقوله فقال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال وهب بن منبه: يعني أخي في ديني، وقال أكثر المفسّرين: انّه كنى بالنعاج عن تسع وتسعين امرأة كانت له، وانّ الآخر له نعجة واحدة يعني امرأة واحدة[٣].

وقال الحسن: لم يكن له تسع وتسعون امرأة وإنّما هو على وجه المثل[٤].

وقال أبو مسلم محمّد بن بحر الاصفهاني: أراد النعاج بأعيانها[٥] وهو الظاهر، غير أنّه خلاف أقوال المفسّرين وقال: هما خصمان من ولد آدم ولم يكونا ملكين وإنّما فزع منهما، لأنّهما دخلا عليه في غير الوقت المعتاد، وهو الظاهر، غير أنّه خلاف أقوال المفسّرين على ما بيّناه[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ معناه اجعلني كفيلاً بها، أي ضامناً لأمرها، ومنه قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[٧]، وقال أبو عبيدة: معناه ضمّها إليه[٨].

---

١. قارن ٨: ٥٥٢.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.
٧. آل عمران: ٣٧.
٨. قارن٨: ٥٥٣.

وقال ابن عباس وابن مسعود معنى ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ أنزل لي عنها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني[١].

فقال له داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ومعناه: إن كان الأمر على ما تدّعيه، لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فأضاف السؤال إلى المفعول به وهي النعجة وإن أضيف إليها[٢].

ثم أخبر أنّ كثيراً من الشركاء والخلطاء ليبغي بعضهم على بعض فيظلمه.

وقال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أن قال للخصم: لقد ظلمك من غير أن يسأل خصمه عن دعواه، وفي أدب القضاء: ألاّ يحكم بشيء ولا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به، وهذا ترك الندب في ذلك[٣].

وفي الناس من قال: انّ ذلك كانت صغيرة منه وقعت مكفّرة، والشرط الّذي ذكرناه لابدّ فيه، لأنّه لا يجوز أن يخبر النبيّ أنّ الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع، وإنّما يجوز مع تقدير الشرط الّذي ذكرناه[٤].

فصل

قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ [الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ الآيات: ٣١ - ٣٦.

﴿بِالْعَشِيِّ﴾ يعني: آخر النهار، قال ابن زيد: صفن الخيل قيامها على ثلاث مع رفع رجل واحدة يكون طرف الحافر على الأرض[١]، قال الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنّه ممّا يقوم على الثلاث كسيرا[٢]

قوله: ﴿لا يَنْبَغِي﴾ قال أبو عبيدة: معنى لا ينبغي لا يكون، وأنشد:

في رأس خلقاء من عنقاء مشرقة لا ينبغي دونها سهل ولا جبل[٣]

قال أبو عبيدة: أي لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.

وقوله: ﴿رُخَاءً﴾ قال قتادة: معناه طيبة سريعة، وقال ابن زيد: لينة، وقال ابن عباس مطيعة، وبه قال الضحاك والسدي[٤].

والرخاء الريح اللينة، وهو رخاوة المر وسهولته[٥].

ومعنى قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي والضحاك: معناه حيث أراد، يقول القائل: أصاب الله بك الرشاد، أي أراد الله[٦].

---

١. قارن٨: ٥٥٩.

٢. البيت من الشواهد وهو من شعر امرئ القيس كما في شواهد الكشاف.

٣. البيت في تفسير القرطبي ١١: ١٥٨ نسبه في الصحاح واللسان والتاج إلى ابن أحمر الباهلي (عُنق) يصف جبلاً يقول: لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.

٤. قارن ٨: ٥٦٣.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨: ٥٦٤.

فصل

قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ﴾ الآية: ٤٤.

فالضغث ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك، قال عوف بن الجزع:

وأسفل منّي فهدة قد ربطتها وألقيت ضغثاً من خلا متطيب[١]

فصل

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ [وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ * هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ * جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ * مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ]﴾ الآيات: ٤٨ – ٥٢.

قيل: ذو الكفل ذو الضعف من الثواب، وقيل: كان اسمه ذلك، وقيل: سمّي بذلك لأنّه تكفّل بأمر أنبياء خلّصهم من القتل، وقيل: تكفّل بعمل صالح فسمّي به[٢].

قوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ يعني: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ فما لهنّ في غيرهم بغية، فالقاصر نقيض الماد، يقال: هو قاصر طرفه عن فلان وماد عينه إلى فلان، قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا[٣]

---

١. قارن ٨: ٥٦٨، والبيت في جمهرة أشعار العرب ٢: ٢٢، وقد نسب إلى عوف بن عطية راجع سمط اللئالي: ٣٧٧، ومجاز القرآن ١: ٣١٢.

٢. قارن ٨: ٥٧٢.

٣. قارن ٨: ٥٧٣، والبيت في ديوان امرئ القيس: ٩١ ط مصر سنة ١٣٨٨هـ وهو من الشواهد اللغوية كما في معجم مقاييس اللغة (أتب).

والأتراب الأقران على سن واحد ليس منهنّ هرمة ولا عجوز[١]، قال الفراء: لا يُقال الأتراب إلاّ في الأناث ولا يقال في الذكران[٢]، قال ابن أبي رَبيعة:

أبــرزوها مثــل المهــاة تهــادى بــين عشــر كواعــب أتــراب[٣]

وهو مأخوذ من اللعب با لتراب، وقيل: أتراب على مقدار سن الأزواج من غير زيادة ولا نقصا ن[٤].

فصل

قوله: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ الآية: ٥٧-٥٨.

الحميم الحار الشديد الحرارة، ومنه الحمى لشدّة حرارتها، وحم الشيء إذا دنا، وأحمه لهذا أي أدناه، قال الشاعر:

احــم الله ذلــك مــن لقــاء أحاد احاد في الشهر الحلال[٥]

والغسّاق ما يسيل من صديد أهل النار، وقال كعب: الغسّاق عين في جهنم يسيل إليها سم كلّ ذات حمة من عقرب وحية، وقيل: هو قيح شديد النتن[٦].

ثم قال: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ معناه: أنواع أُخر من شكل العذاب ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أي: أمثال[٧].

---

١. قارن ٨: ٥٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٥٧٣، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٥٩ ط محمّد محي الدين عبد الحميد.

٤. قارن ٨: ٥٧٣.

٥. البيت في شرح أشعار الهذليين ٢: ٥٧٠ وصدره: منت لك أن تلاقيني المنايا، وهو منسوب إلى عمرو ذو الكلب الهذلي كما في اللسان (حمم).

٦. قارن ٨: ٥٧٥.

٧. نفس المصدر.

الشكل بفتح الشين الضرب المتشابه، والشكل بكسر الشين النظير في الحسن وهو الدل[١].

فصل

قوله: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ الآية: ٧٥.

إنّما قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾ على وجه تحقيق الإضافة لخلقه إليه تعالى، لأنّه أمر به، أو كان عن سبب أدّى إليه، والتثنية أشدّ مبالغة، ومثله قولهم: ((هذا ما كسبت يداك)) أي ما كسبته أنت، وقال الشاعر:

أيهـا المبتغـي فنـاء قـريش بيـد الله عمرهـا والفنـاء[٢]

ويحتمل أن يكون على اليمين، كأنّه أقسم فقال: بنعمتي الدينية والدنياوية[٣].

فصل

قوله: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۞ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ الآيات: ٧٧ – ٨٣.

أصل الرجيم المرجوم، وهو المرمي بالحجر ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ﴾ يا إبليس ﴿لَعۡنَتِي﴾ يعني إبعادي لك من رحمتي ﴿إِلَى يَوۡمِ الدِّينِ﴾ يعني يوم القيامة الذي

---

١. نفس المصدر.

٢. البيت في معاني القرآن للفراء ٢: ٤١٢.

٣. قارن ٨: ٥٨١.

هو يوم الجزاء، فقال إبليس عند ذلك يا ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ أي أخّرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي يوم يحشرون للحساب، وهو يوم القيامة[١].

فقال له الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ أي من المؤخّرين ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي اليوم الذي قدّر الله فيه إماتتك، فعلى هذا لا يلزم إبليس أن يكون مغرىً بالقبائح لعلمه بأنّه يبقى، لأنّه لا وقت إلاّ وهو يجوز أن يخترم فيه ولا يقدر على التوبة، فالزجر حاصل له[٢].

ومن قال: إنّه أجابه إلى يوم القيامة يقول: كما أعلمه أنّه يبقيه إلى يوم يبعثون، أعلمه أيضاً أنّه من أهل النار لا محالة، وأنّه لا يتوب، وصحّ مع ذلك تكليفه، لأنّه يلزمه بحكم العقل أن لا يفعل القبيح من حيث أنّه متى فعله زاد عقابه، ويضاعف على ما يستحق له، وتخفيف العقاب عن النفس واجب بحكم العقل، كما يجب إسقاط العقاب جملة[٣].

ثم حكى تعالى ما قال إبليس، فإنّه أقسم و ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ يا إلهي ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فالعزّة القدرة التي يقهر بها غيره من القادرين[٤].

والاغواء التخييب، فإبليس يغوي الخلق بأن يزيّن لهم القبيح ويرغّبهم فيه والغيّ خلاف الرشد وهو الخيبة[٥].

---

١. قارن ٨: ٥٨٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة الزمر

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ * [لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ]﴾ الآيات: ٣ ـ ٤.

معناه: أنّه تعالى لا يهديه إلى طريق الجنة، أو لا يحكم بهدايته إلى الحقّ ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ على الله في أنّه أمره باتخاذ الأصنام، كافر بما أنعم الله عليه، جاحد لاخلاص العبادة، ولم يرد الهداية إلى الأيمان، لأنّه قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[1].

ثم قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ على ما يقول هؤلاء من أنّ الملائكة بنات الله، أو على ما يقوله النصارى من أنّ عيسى ابن الله، أو يقوله اليهود أنّ عزير ابن الله ﴿لاصْطَفَى﴾ أي لاختار ممّا يخلق ما يشاء[2].

فصل

قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ الآية: ٧.

---

١. قارن٩: ٥، والآية في سورة فصلت: ١٧.

٢. قارن ٩: ٦.

وفي ذلك دلالة على أنّ الكفر ليس من فعل الله ولا بإرادته، لأنّه لو كان مريداً له لكان راضياً به، لأنّ الرضا هي الإرادة إذا وقعت على وجه[١].

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه لا يؤاخذ بالذنب إلاّ من يفعله ويرتكبه ولا يؤاخذ به غيره وذلك نهاية العدل[٢].

وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبّرة في أنّ الله يعذّب أطفال الكفّار بكفر آبائهم[٣].

فصل

قوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ الآية: ٢٣.

معناه: متشابهاً في الحِكَم التي فيه من الحجج والمواعظ والأحكام التي يعمل عليها في الدين، وصلاح التدبير، فيشبه بعضه بعضاً لا تناقض فيه[٤].

﴿مَّثَانِيَ﴾ أي يثنى فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان ويثنى أيضاً في التلاوة، فلا يمل بحسن مسموعه في القراءة[٥].

فصل

قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الآية: ٣٣.

قال قتادة وابن زيد: الّذي جاء بالصدق محمّد ﷺ وصدّق به المؤمنون[٦].

---

١. قارن ٩: ٩.

٢. قارن ٩: ١٠.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٢١.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٢٦.

وقال السدي: الّذي جاء بالصدق وصدّق به هم المؤمنون جاؤوا بالصدق الذي هو القرآن وصدّقوا به، وهو حجتهم في الدنيا والآخرة[١].

وقال الزجاج: الذي هاهنا والذين بمعنى واحد يراد به الجميع[٢].

والصحيح أنّ قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ من صفة الذي جاء بالصدق، لأنّه لو كان غيره لقال: والّذي جاء بالصدق والّذي صدّق به[٣].

وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني من جاء بالصدق وصدّق به هم المتقون[٤].

فصل

قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ الآية: ٣٦.

يحتمل معناه شيئين:

أحدهما: أنّ من أضلّه الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه إليها[٥].

والثاني: من حكم الله بضلاله وسمّاه ضالاً إذا ضلّ هو عن الحقّ، فليس له من يحكم بهدايته ويسمّيه هادياً[٦].

---

١. هذا ما ذكره الشيخ الطوسي في التبيان ٩: ٢٦ منسوباً إلى ابن مسعود في قراءته، ولم يرد عنده عن السدي في ذلك شيء، وأحسب أنّ ما ذكره ابن إدريس منسوباً إلى السدي هو الصحيح، وأنّ ما وقع في التبيان من غلط النسخة، إذ ليس فيما ذكر شيء من القراءة.

٢. قارن ٩: ٢٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

ثم بيّن عكس ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ وهو يحتمل أيضاً الأمرين:

أحدهما: من يهديه الله إلى طريق الجنة فلا أحد يضلّه عنها[١].

والثاني: من يحكم بهدايته ويسمّيه هادياً، فلا أحد يمكنه أن يحكم بضلاله على الحقيقة[٢].

فصل

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ الآية: ٤١.

معناه: أنزلنا على أنّه حقّ بأنّه حقّ، فهذه فائدة الباء[٣]، وفي ذلك حجة على من زعم أنّه تعالى يريد بإنزاله إضلال الكافرين عن الإيمان، لأنّه لو كان كذلك لم يكن منزلاً بالحق، وإذا كان منزلاً على أنّه حقّ، وجب النظر في موجبه ومقتضاه فما رغب فيه وجب العمل به، وبما حذر منه وجب اجتنابه، وما صحّحه وجب تصحيحه، وما أفسده وجب إفساده، وما دعى إليه فهو الرشد، وما صرف عنه فهو الضلال[٤].

ثم قال: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ يعني بما فيه من الأدلّة ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ لأنّ منفعة عاقبته من الثواب تعود عليه[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٢٧.

٣. قارن ٩: ٣١.

٤. قارن ٩: ٣٢.

٥. نفس المصدر.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عنه وحاد ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يعني على نفسه، لأنّ وخيم عاقبته من العقاب تعود عليه[١].

فصل

قوله: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ [إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]﴾ الآيات: ٥٣ – ٥٥.

معناه: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمّد ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي لا تيأسوا من رحمته، يقال: قنط يقنط قنوطاً إذا يئس ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أنّه هو الغفور الرحيم[٢].

وفي ذلك دلالة واضحة على أنّه يجوز أن يغفر الله بلا توبة تفضّلاً منه، وبشفاعة النبيّ عليه السلام، لأنّه لم يشرط التوبة بل أطلقه، وروي عن فاطمة عليها السلام أنّها قالت: «انّ الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي».

وروي عن عليّ عليه السلام وعن ابن عباس أنّهما قالا: أرجى آية في كتاب الله قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: بل أرجى آية في كتاب الله قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٧.

أَنفُسِهِمْ﴾[١] وهو المروي عن عليّ عليه السلام أيضاً[٢].

وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وإنّما قال: ﴿أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ﴾ لأنّه أراد بذلك الواجبات والنفل التي هي الطاعات دون المباحات والمقبحات التي لا يأمر بها[٣].

وقال قوم: ﴿أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يريد به الناسخ دون المنسوخ، وهذا خطأ، لأنّ المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النسخ وهو قبيح، ولا يكون الحسن أحسن من قبيح[٤].

وقال الحسن: أحسنه أن يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عمّا نهاهم عنه.

فصل

قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ [وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ]﴾ الآيات: ٥٦- ٥٩.

النفس نفس الإنسان، والفرق بين النفس والروح، أنّ النفس من النفاسة والروح من الريح، فأنفس ما في الحيوان نفسه، وهو جسم رقيق روحاني من الريح، ونفس الشيء هو الشيء بعينه[٥].

---

١. قارن ٩: ٣٧، والآية في سورة الرعد: ٦.

٢. قارن ٩: ٣٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٣٩.

والتفريط إهمال ما يجب أن يتقدّم فيه حتى يفوت وقته، ومثله التقصير، وضده الآخذ بالحزم، يقال: فلان حازم وفلان مفرط[١].

وقوله: ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ معناه: فرّطت في طاعة الله، أو في أمر الله، إلاّ أنّه ذكر الجنب، كما يقال: هذا صغير في جنب ذلك الماضي، أي في أمره وفي جهته، وإذا ذكر هذا دلّ على الاختصاص به من وجه قريب من معنى صفته[٢].

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ قال قتادة والسدي: معناه المستهزئين بالنبي والكتاب الّذي معه[٣]، وقيل: معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني إلى الإيمان[٤].

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥].

وفي ذلك دليل على بطلان مذهب المجبرة في أنّ الكافر لا يقدر على الإيمان، لأنّه لو كان إذا رُد لا يقدر على الإيمان لم يكن لتمنّيه معنى[٦].

فصل

قوله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٠.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الآيات: ٦٣ – ٦٦.

المقاليد المفاتيح، واحده مقليد، كقولك منديل ومناديل، ويقال في واحده أيضاً اقليد وجمعه أقاليد، والمعنى: له مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه على من يشاء[١].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآيات.

ليس في ذلك ما يدلّ على صحّة الإحباط، على ما يقوله أصحاب الوعيد، لأنّ المعنى في ذلك: لئن أشركت بعبادة الله غيره من الأصنام، لوقعت عبادتك على وجه لا يستحق عليها الثواب[٢].

ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها الثواب، فلذلك وصفها بأنّها محبطة، وبيّن ذلك بقوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي وجّه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام[٣].

فصل

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ الآية ٦٧.

---

١. قارن ٩: ٤٣.

٢. قارن ٩: ٤٤.

٣. نفس المصدر.

يقول الله تعالى مخبراً عن حال الكفّار أنّهم ما عظّموه حقّ عظمته إذ دعوك إلى عبادة غيره[١].

ومعنى الآية أنّ الأرض بأجمعها في مقدوره، كما يقبض عليه القابض فيكون في قبضته، وكذلك قوله: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ معناه أي في مقدوره طيّها[٢].

وذكرت اليمين مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك، وقيل: اليمين القوة[٣]، قال الشاعر:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقاها عرابةُ باليمين[٤]

فصل

قوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ [حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ

---

١. قارن ٩: ٤٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٦.

٤. قارن ٩: ٤٦، والبيت من الشواهد في جملة من التفاسير وهو للشماخ بن ضرار يمدح عرابة الأوسي، وكان قدم المدينة فأوقر له راحلته تمراً فقال:

رأيت عرابة الأوسي ينمى إلى الخيرات منقطع القرين

ثم البيت الشاهد. راجع طبقات ابن سعد ٤: ٣٧٠ ذكر عرابة بن أوس.

زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۞ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۞ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآيات: ٧١-٧٥.

الزمر جمع زمرة، وهي الجماعات، لها صوت كصوت المزمار، ومنه مزامير داود عليه السلام، يعني أصوات كانت له مستحسنة[١].

وقوله: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: تسبيحهم ذلك الوقت على سبيل التنعم والتلذّذ ثواباً لهم على أعمالهم لا على وجه التعبد، لأنّه ليس هناك تكليف[٢].

وقيل: الوجه في ذلك تشبيه حال الآخرة بحال الدنيا، فإنّ السلطان الأعظم إذا أراد الجلوس للمظالم والقضاء بين الخلق قعد على سريره، وأقام حشمه وجنده قدّامه وحوله تعظيماً لأمره، فلذلك عظّم الله أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظّمين له تعالى مسبّحين، وإن لم يكن تعالى على العرش، لأنّ ذلك يستحيل عليه، لكونه غير جسم، والجلوس على العرش من صفات الأجسام[٣].

---

١. قارن ٩: ٤٨.

٢. قارن ٩: ٥١.

٣. نفس المصدر.

سورة غافر[1]

فصل

قوله: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ [مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ]﴾ الآيات ١ – ٣.

قال قتادة والحسن: حم اسم السورة[2]. وقال شريح بن أوفى العبسي:

يـذكرني حـم والـرمح شـاجر فهـلا تلاحـم قبـل التقـدم[3]

وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ معنى ﴿قَابِلِ التَّوْبِ﴾ أنّه يقبل توبة من تاب إليه من المعاصي، بأن يثيب عليها، ويسقط عقاب معاصي ما تقدّمها تفضّلاً منه،

---

١. في الرضوية: سورة المؤمن، وهو من أسماء السورة.

٢. قارن ٩: ٥٣.

٣. قارن ٩: ٥٣، والبيت قاله لما قتل محمّد بن طلحة في حرب الجمل من جملة أبيات ذكرها ابن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة محمّد بن طلحة أولها:

وأشعـث قـوّام بآيـات ربّـه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

ضممـت إليـه بالقنـاة قميصـه فخـرّ صريعـاً لليديـن وللفـم

على غير ذنب غير أن ليس تابعاً علـياً ومـن لا يتبـع الحـق يظلـم

ثم البيت الشاهد.

ولذلك كان صفة مدح، ولو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح[١].

والتوب يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون جمع توبة، كدوم ودومة وعوم وعومة، والثاني: أن يكون مصدر تاب يتوب توباً[٢].

فصل

قوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ [فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ * هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ * فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ]﴾ الآيات: ١١– ١٥.

قال السدي: الإماتة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ إذا أحيي للمساءلة قبل البعث يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي والبلخي[٣].

---

١. قارن ٩: ٥٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٦٠.

والعلي: القادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه، ولا من هو مساو له في مقدوره، وجاز وصفه تعالى بالعلي لأنّ الصفة بذلك نقلت من علوّ المكان إلى علوّ الشأن، يقال: استعلى عليه بالقوة، واستعلى عليه بالحجة[١].

وقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ معناه: رفيع طبقات الثواب التي يعطيها الأنبياء والمؤمنين في الجنة[٢].

وقوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ قيل: الروح القرآن.

وقيل: معنى الروح ها هنا الوحي، لأنّه يحيي به القلب بالخروج من الجهالة إلى المعرفة[٣].

فصل

قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ الآية: ١٦.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه تعالى يقرّر عباده فيقول: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ﴾؟ فيقول المؤمنون والكفار: بأنّه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

والثاني: أنّه القائل لذلك وهو المجيب لنفسه، ويكون في الإخبار بذلك مصلحة للعباد في دار التكليف[٤].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي لا تشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره فحساب جميعهم على حد واحد[٥].

---

١. قارن ٩: ٦١.

٢. قارن ٩: ٦٢.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٦٣.

٥. قارن ٩: ٦٤.

فصل

قوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ الآية: ١٨.

نفي من الله أن يكون للظالمين شفيع يطاع[١]، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفّار، فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع أصلاً[٢]، وإن حملنا على عموم كلّ ظالم من كافر ومؤمن، جاز أن يكون إنّما أراد نفي شفيع يطاع، وليس في ذلك نفي شفيع يجاب[٣].

ويكون المعنى أنّ الذين يشفعون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنّما يشفعون على وجه المسألة إليه والاستكانة إليه، ((لا أنّه يجب على الله أن يطيعهم فيه، وقد يُطاع الشافع بأن يكون الشافع فوق المشفوع إليه)) ولذلك قال النبيّ عليه السلام لبريرة: «إنّما أنا شافع» فكونه فوقها في الرتبة لم يمنع من إطلاق اسم الشفاعة على سؤاله[٤].

فصل

قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * [يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ]﴾ الآيات: ٣١ - ٣٣.

---

١. قارن ٩: ٦٥.

٢. قارن ٩: ٦٥.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من النسخة الرضوية.

أخبر أنّه تعالى لا يريد ظلماً لعباده ولا يؤثره لهم، وذلك دال على فساد قول المجبّرة الذين يقولون انّ كلّ ظلم في العالم بإرادة الله[١].

و ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ قيل: هو اليوم الذي ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور، لما يرى من سوء عاقبة الكفر والمعصية له[٢].

وقيل: انّه اليوم الذي ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُم رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[٣] وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[٤].

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا [لَّعَلِّيَ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ]﴾ الآيات: ٣٦ – ٣٧.

((قيل: انّ هامان أول من طبخ الآجر لبناء الصرح))[٥] والصرح البناء العالي الظاهر الّذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، وهو من التصريح بالأمر، وهو إظهاره بأتم الإظهار[٦].

---

١. قارن ٩: ٧٥.

٢. نفس المصدر.

٣. الأعراف: ٤٤.

٤. الأعراف: ٥٠.

٥ـ ما بين القوسين من كلام ابن إدريس، وأحسب أنّ ذكر هارون من سهو القلم وغلط النسخة والصواب هامان فهو الّذي بنى الصرح كما هو صريح الآية، ولم يتنبه له محقق النسخة المطبوعة.

٦. قارن ٩: ٧٨.

ومعنى الأسباب قال ابن عباس: أراد به منزل السماء، وقال قتادة: معناه أبواب طرق السماء[١].

وقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ يعني: في هلاك، والتباب: الهلاك بالانقطاع، ومنه قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسرت بانقطاع الرجاء، ومنه قوله: تباً له[٢].

فصل

قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيَ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية: ٤٣.

قال الزجاج: هو رد الكلام، كأنّه قال: لا محالة أنّ لهم النار[٣].

وقال الخليل: لا جرم لا يكون إلاّ جواباً، تقول: فعل فلان كذا، فيقول المجيب: لا جرم، وقال المبرد: معناه حقّ واستحق[٤].

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية: ٦٠.

يعني: أستجب لكم إذا اقتضت المصلحة إجابتكم، ومن يدعو الله ويسأله فلابدّ أن يشترط المصلحة، أما لفظاً أو إضماراً، وإلاّ كان قبيحاً، لأنّه إذا دعا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاءها كان قبيحاً[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٧٩.

٣. قارن ٩: ٨١.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٨٩.

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ الآية: ٦٧.

العلقة هي القطعة من الدم، لأنّها تعلق بما تمر به، لظهور أثرها فيه وخلقكم منها[١].

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أي أطفالاً واحداً واحداً، فلهذا ذكره بالتوحيد، كما قال: ﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ لأنّ لكلّ واحد منهم أعمالاً قد خسر بها[٢].

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ الآية: ٧٢.

السجر إلقاء الحطب في معظم النار، كالتنور الذي يسجر بالوقود[٣]، فهؤلاء الكفّار لجهنم كالسجار للتنور[٤].

فصل

قوله: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الآية: ٧٦.

إنّما أطلق عليه اسم بِئْسَ مع كونه حسناً، لأنّ الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل من القبيح بالذم عليه، فحسن لهذه العلّة إطلاق اسم بِئْسَ عليه[٥].

---

١. قارن ٩: ٩٣.

٢. قارن ٩: ٩٣، والآية في سورة الكهف: ١٠٣.

٣. قارن ٩: ٩٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٩٧.

فصل

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ الآيات: ٧٩ – ٨٠.

الأنعام من الإبل والبقر والغنم، واللام في قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ لام الغرض، فإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام، وأراد أن ينتفع خلقه بها، وكان تعالى لا يريد القبيح ولا المباح، فلابدّ أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة إليه[١].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ اخر من ألبانها وأصوافها وأشعارها[٢].

١. قارن ٩: ٩٨.

٢. قارن ٩: ٩٩.

سورة فصلت[1]

قيل في وجه الاشتراك في أسماء هذه السور السبعة بـ (حم) انّه للمشاكلة التي بينها بما يختصّ به ليس لغيرها، لأنّه اسم علم أجري على الصفة الغالبة بما يصحّ فيه الاشتراك، والتشاكل الّذي أختصت به هو أنّ كلّ واحد منها استفتح بصفة الكتاب، مع تقاربها في الطول والقصر، ومع شدّة تشاكل الكلام في النظام[2].

وقوله: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي هو كتاب، وإنّما وصف القرآن بأنّه كتاب، وإن كان المرجع فيه إلى كلام مسموع، لأنّه ممّا ينبغي أن يكتب ويدوّن، لأنّ الحافظ ربما نسيه، أو نسي بعضه فيتذكر، وغير الحافظ فيتعلّم منه[3].

وقوله: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ معناه ميّزت دلائله، وإنّما وصفه بالتفصيل دون الإجمال، لأنّ التفصيل يأتي على وجه البيان، لأنّه يفصل جملة عن جملة ومفرد عن مفرد، ومدار أمر البيان على تفصيل التمييز فيما يحتاج إليه من أمور الدين[4]، إذ العلم علمان: علم دين وعلم دنيا، وعلم الدين أجلّهما وأشرفهما لشرف النفع به[5].

---

١. في الرضوية: سورة حم السجدة .

٢. قارن ٩: ١٠٤ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ٩: ١٠٥ .

فصل

قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * [ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ]﴾ الآيات: ٦ – ١٠.

قال الفراء: الزكاة في هذا الموضع أنّ قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم، فحرموا ذلك على من آمن بمحمّد ﷺ[١].

وقال قوم: إنّما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم، لأنّهم متعبدون بجميع العبادات ويعاقبون على تركها، وهو الظاهر[٢].

وقال الزجاج: الزكاة معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأنّ الزكاة واجبة، وإنّما خصّ الزكاة بالذكر تقريعاً لهم على شحّهم الذي يأنف منه أهل الفضل[٣].

وقد بيّنا أنّ الأقوى قول من قال: الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم، لأنّ هذا هو حقيقة هذه اللفظة[٤].

وقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ قال أبو عبيدة: الأقوات جمع قوت، وهي أرزاق الخلق، قيل: إنّما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في

---

١. قارن ٩: ١٠٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ١٠٧، وما بين القوسين من المصدر.

هذه الأربعة أيّام لتعتبر به الملائكة[١]، وقيل: بل لاعتبار العباد في الأخبار عن ذلك إذا تصوّروه على تلك الحال[٢].

وقال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التأنّي في الأمور وأن لا يستعجل فيها[٣]، فإنّ الله تعالى كان قادراً على أن يخلق ذلك في لحظة، لكن خلقها في هذه المدّة لما قلناه[٤].

وقال قوم: إنّما خلق ذلك في هذه المدّة، لتعتبر بذلك على أنّها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام، إذ لو كان صادراً عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة[٥].

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ [فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ

---

١. قارن ٩: ١٠٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الآيات: ١١ – ١٥.

قال السدي: معناه ثم استوى أمره ولطفه إلى السماء[١].

وقال غيره: معنى الاستواء إلى السماء العمد والقصد إليها، كأنّه قال: ثم قصد إليها، وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له[٢].

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٣] معناه: ثم استوى تدبيره بتقدير القادر عليه.

وقيل: إنّ الاستواء بمعنى الاستيلاء كما قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[٤]

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ يفيد أنّه خلق السماء بعد خلق الأرض وخلق الأقوات فيها، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ لأنّ ذلك يفيد أنّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة، فلمّا خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض فسطحها[٥].

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ إنّما قال

---

١. قارن ٩: ١٠٩، وفيه نسب القول إلى الحسن.

٢. قارن ٩: ١٠٩.

٣. الأعراف: ٥٤.

٤. البيت من الشواهد في كتب التفسير وهو للبعيث، ونسب للأخطل يمدح بشراً أخا عبد الملك بن مروان حين ولاه العراق كما في البداية والنهاية لابن كثير ٩: ٧.

٥. قارن ٩: ١١٠، والآية في سورة النازعات: ٢٧ و٢٨ و٣٠.

﴿طَائِعِينَ﴾ ولم يقل طائعتين، لأنّه لما أسند إليهما ما يكون من العقلاء أخبر عنهما بالياء والنون[١].

وقال قطرب: لأنّ المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء[٢].

فإن قيل: قوله: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وخلق الجبال والأقوات في أربعة أيّام، وخلق السماوات في يومين يكون ثمانية أيّام، وذلك مناف لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٣].

قلنا: لا تنافي بين ذلك، لأنّه خلق الأرض وخلق الجبال والأشجار والأقوات في تمام أربعة أيّام منها اليومان المتقدّمان[٤]، كما يقول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيّام، ثم إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي: في تمام هذه المدّة[٥].

ويكون قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ تمام ستة أيّام، وهو الذي ذكره في قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وزال الإشكال[٦].

فصل

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الآية: ١٩.

أي: يمنعون من التفرق، ويحبسون ويكفّون، يقال: وزعت الرجل إذا منعته،

---

١. قارن ٩: ١١١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ١١٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

ومنه قول الحسن: لابدّ للناس من وزعة، وقوله: ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني، وقول الشاعر:

وانّـى بهـا يـا ذا المعـارج مـوزع

أي: مولع[1].

فصل

قولـه: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ [وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ]﴾ الآيات: ٢١ – ٢٥.

النطق إدراة اللسان في الفم بالكلام، ولذلك لا يوصف تعالى بأنّه ناطق، وإن وصف بأنّه متكلّم، والفائدة في الإخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم فيما ينزل بهم، من الفضيحة بشهادة جوارحهم عليهم بما كان من فواحشهم[2].

وقوله: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾

---

١. قارن ٩: ١١٦.

٢. قارن ٩: ١١٨.

معنى الآية: فإن يصبروا على ما هم فيه فمقامهم في النار ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ أي وإن يطلبوا العتبى وهي الرضا.

﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي ليسوا بمرضي عنهم، لأنّ السخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم وزال التكليف عنهم، فليس لهم طريق إلى الإعتاب[١].

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية: ٢٩.

قيل: أراد به إبليس الأبالسة، وهو رأس الشياطين، وابن آدم الّذي قتل أخاه وهو قابيل، روي ذلك عن عليّ عليه السلام لأنّه أسس الفساد في ولد آدم[٢].

وقيل: هم الدعاة إلى الضلال من الجن والإنس[٣].

فصل

قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآية: ٣٤.

أمر للنبيّ عليه السلام أن يدفع بالتي هي أحسن، وقيل: معنى الحسنة ها هنا المداراة والسيئة المراد بها الغلظة، فأدب الله عباده بهذا الأدب[٤].

ثم قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ معناه دارِ القومَ، ولا تغلظ عليهم، حتى كأنّ عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك، من حسن

---

١. قارن ٩: ١٢٠.

٢. قارن ٩: ١٢٣.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ١٢٥.

عشرتك وبشرك إياه، ويدعو ذلك عدوّك إلى أن يصير لك كالولي الحميم[١].

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية: ٤٠.

معناه: الذين يميلون عن الحقّ في أدلّتنا، يقال: ألحد يلحد إلحاداً وقيل: لحد يلحد أيضاً[٢].

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * [لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَأَعۡجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ]﴾ الآيات: ٤١ – ٤٤.

سمّي القرآن ذكراً لأنّه تذكر به وجوه الدلائل المؤدية إلى الحقّ، والمعاني التي يعمل عليها فيه، وأصل الذكر ضد السهو، وهو حضور المعنى للنفس[٣].

---

١. قارن ٩: ١٢٦.

٢. قارن ٩: ١٢٩.

٣. قارن ٩: ١٣٠.

قوله: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: أنّه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقضة، فهو الحقّ المخلص الذي لا يليق به الدنس[١].

الثاني: قال قتادة والسدي: لا يقدر الشيطان أن ينتقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً[٢].

الثالث: أنّ معناه لا يأتي بشيء يوجب بطلانه ممّا وجد قبله ولا معه ولا ممّا يوجد بعده[٣].

الرابع: قال ابن عباس معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره[٤].

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ يعني الذكر الذي قدم ذكره ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي مجموعاً بلغة العجم، يقال: رجل أعجمي إذا كان لا يفصح وإن كان عربي النسب، وعجمي إذا كان من ولد العجم وإن كان فصيحاً[٥].

فصل

قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الآية: ٤٦.

إنّما قال: ﴿بِظَلَّامٍ﴾ على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه، مع أنّه لا يفعل مثقال ذرة، لأمرين:

أحدهما: أنّه لو فعل فاعل الظلم وهو غير محتاج إليه مع علمه بقبحه، وبأنّه غني عنه لكان ظلاماً، وما هو تعالى بهذه الصفة لأنّه غني عالم[٦].

---

١. قارن ٩: ١٣١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر وفي الرضوية قال الحسن بدل ابن عباس، والصواب ما في المتن لموافقته المصدر.

٥. قارن ٩: ١٣٢.

٦. قارن ٩: ١٣٥.

الثاني: أنّه على طريق الجواب لمن زعم أنّه يفعل ظلم العباد، فقال: ما هو بهذه الصفة التي يتوهمها الجهال، فيأخذ أحداً بذنب غيره، والظلاّم ((هو الفاعل)) لما هو من أفحش الظلم، والظالم من فعل الظلم وظالم صفة ذم[١].

فصل

قوله: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ الآية: ٥١.

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني إذا ناله مرض أو مصيبة في مال أو نفس ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ قال السدي: يدعو الله كثيراً عند ذلك[٢].

وإنّما قال: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ولم يقل طويل لأنّه أبلغ، لأنّ العرض يدلّ على الطول، ولا يدلّ الطول على العرض، إذ قد يصحّ طويل ولا عرض له، ولا يصحّ عريض ولا طول له، لأنّ العرض الانبساط في خلاف جهة الطول، والطول الامتداد في أيّ جهة كان[٣].

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة أنّه ليس لله على الكافر نعمة، لأنّه أخبر تعالى عنه بأنّه ينعم عليه وأنّه يعرض عن موجبها من الشكر[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٣٧.

٣. قارن ٩: ١٣٨.

٤. نفس المصدر.

سورة الشورى[1]

فصل

قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ الآية: ٦.

معناه أنّك لم توكل بحفظ أعمالهم، فلا يظن ظان هذا، فإنّه ظن فاسد، وإنّما بعثك الله نذيراً لهم وداعياً إلى الحقّ ومبيناً لهم سبيل الرشاد[2].

وقيل: معناه أنّك لم توكل عليهم أن تمنعهم من الكفر بالله، لأنّه قد يكفر بما لا يتهيأ له منعه من كفره بقتله[3].

فصل

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الآية: ١١.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ الكاف زائدة، وتقديره: ليس مثل الله شيء من الموجودات ولا المعدومات[4]، كما قال أوس بن حجر:

---

١. في الرضوية: سورة حم عسق .

٢. قارن ٩: ١٤٥ .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ٩: ١٤٨ .

وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشّاهمْ مسبل منهمر[١]

وقال آخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما ان كمثلهم في الناس من أحد[٢]

الثاني: قال الرماني: انّه أبلغ في نفي التشبيه إذا نفى مثله، لأنّه يوجب نفي الشبه على التحقيق والتقدير، وذلك أنّه لو قدّر له مثل بأن يكون له مثل صفاته، لبطل أن يكون له مثل ولتفرده بتلك الصفات، وبطل أن يكون مثلاً له[٣].

فيجب أن يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لا مثل له أصلاً، إذ لو كان له مثل لم يكن هو بصفاته، وكان ذلك الشيء الآخر هو الذي له تلك الصفات، لأنّها لا تصحّ إلاّ لواحد في الحقيقة، وهذا لا يجوز أن يشبه تشبيه حقيقة ولا بلاغة، فوجب التبعيد من الشبه لبطلان شبه الحقيقة[٤].

الثالث: وجه كان المرتضى عليّ بن الحسين الموسوي رحمة الله عليه جارانا فيه، فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده، وهو أن لا تكون الكاف زائدة، ويكون المعنى أنّه نفى أن يكون لمثله مثل، وإذا ثبت أنّه لا مثل لمثله، فلا مثل له أيضاً، لأنّه لو كان له مثل لكان له أمثال، لأنّ الموجودات على ضربين:

أحدهما: لا مثل له كالقدرة، فلا أمثال لها أيضاً.

---

١. البيت في ديوانه: ٣٠ تحقيق الدكتور محمّد يوسف نجم ط دار صادر و دار بيروت.

٢. البيت لم أقف على قائله وهو من الشواهد في البحر المحيط لأبي حيان والمحرر الوجيز لابن عطية وتفسير الطبري.

٣. قارن ٩: ١٤٩.

٤. نفس المصدر.

والثاني: له مثل كالسواد والبياض وأكثر الأجناس، فله أمثال أيضا، وليس في الموجودات ما له مثل واحد فحسب، فعلم بذلك أنّ المراد أنّه لا مثل له أصلاً من حيث لا مثل لمثله[١].

فصل

قوله: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الآية: ١٦.

حجتهم داحضة وهي شبهة، وإنّما سمّاها حجة على اعتقادهم، فلشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها[٢].

و ﴿دَاحِضَةٌ﴾ معناه: باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٣].

فصل

قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآية: ٢٣.

اختلفوا في قوله: ﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام وسعيد ابن جبير وعمرو بن شعيب: معناه إلاّ أن تودّوا قرابتي، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[٤].

وقوله: ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي يثبت الحقّ بأقواله التي ينزلها على أنبيائه[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٥٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ١٥٨.

٥. قارن ٩: ١٦٠.

فصل

قوله: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ الآية: ٣٠.

قال الحسن: ذلك خاص في الحدود التي تستحق على وجه العقوبة[١].

وقال قتادة: هو عام[٢].

وقال قوم: ذلك خاص، وإن كان مخرجه مخرج العموم، لما يلحق من مصائب الأطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين[٣].

وقال قوم: هو عام بمعنى أنّ ما يصيب المؤمنين والأطفال، فإنّما هو من شدّة محنة تلحقهم، وعقوبة للعاصين، كما يهلك الأطفال والبهائم مع الكفّار بعذاب الاستئصال، لأنّه قد يكون فيه استصلاح[٤].

فصل

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ الآية: ٣٩.

يعني: ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا فيها، فيقتلوا غير القاتل ويجنوا على غير الجاني، وفيه ترغيب في إنكار المنكر[٥].

---

١. قارن ٩: ١٦٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ١٦٨.

فصل

قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ الآية: ٤١ – ٤٢.

إخبار من الله سبحانه أنّ من انتصر لنفسه بعد أن كان ظلم وتعدّي عليه، فأخذ لنفسه بحقه فليس عليه سبيل[١].

قال قتادة: بعد ظلمه فيما يكون فيه القصاص بين الناس في النفس أو الأعضاء أو الجراح، فأمّا غير ذلك فلا يجوز أن يفعل لمن ظلمه[٢].

وقال قوم: معناه أنّ له أن ينتصر على يد سلطان عادل، بأن يحمله إليه ويطالبه بأخذ حقه منه، لأنّ السلطان هو الذي يقيم الحدود ويأخذ من الظالم للمظلوم[٣].

ويمكن أن يستدل بذلك على أنّ من ظلمه غيره، بأخذ ماله، كان له إذا قدر أن يأخذ من ماله بقدره ولا إثم عليه، والظالم هو الفاعل للظلم[٤].

فصل

قولـــه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ الآية: ٥١.

---

١. قارن ٩: ١٧٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

يكون كلام الله لعباده على ثلاثة أقسام[١]:

أولها: أن يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب، كما خاطب الله به موسى عليه السلام[٢].

الثاني: بوحي يأتي به الملك إلى النبيّ من البشر كسائر الأنبياء[٣].

الثالث: بتأدية الرسول إلى المكلّفين من الناس[٤].

وقيل في الحجاب ثلاثة أقوال:

أحدها: حجاب عن إدراك الكلام لا المكلّم وحده.

الثاني: حجاب لموضع الكلام.

الثالث: انّه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب[٥].

﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ معناه أنّ ذلك الرسول الّذي هو الملك يوحي إلى النبيّ من البشر، بأمر الله ما يشاءه الله ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ معناه أنّ كلامه المسموع منه لا يكون بمخاطبه يظهر فيها المتكلّم بالرؤية، لأنّه العليّ عن الإدراك بالأبصار[٦].

---

١. قارن ٩: ١٧٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة الزخرف

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ الآية: ٤.

يعني القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾ يعني اللوح المحفوظ، الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة، لما فيه من مصلحة ملائكته بالنظر فيه، وللخلق فيه من اللطف بالاخبار عنه، وأم الكتاب أصله، لأنّ أصل كلّ شيء أمه[1].

فصل

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ الآية: ٩ – ١٠.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني الكفّار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ بأن أنشأها واخترعها لم يكن جوابهم في ذلك، إلاّ أن يقولوا ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ يعني السماوات والأرض ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يقهر ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالح الخلق وهو الله تعالى، لأنّه لا يمكنهم أن يحيلوا في ذلك على الأجسام والأوثان لظهور فساد ذلك[2].

وليس في ذلك ما يدلّ على أنّهم كانوا عالمين بالله ضرورة، لأنّه لا يمتنع أن يكونوا عالمين بذلك استدلالاً، وإن دخلت عليهم شبهة في أنّه يستحق العبادة سواه[3].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٨٤.

٣. نفس المصدر.

وقال الجبائي: لا يمتنع أن يقولوا ذلك تقليداً، لأنّهم لو علموه ضرورةً، لعلموا أنّه لا يجوز أن يعبد معه غيره، وهو الذي يليق بمذهبنا في الموافاة[١].

فصل

قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الآيات: ١٦ – ١٨.

أخبر الله تعالى عن الكفّار أنّهم جعلوا له من عباده جزءاً، ثم فسّر ذلك وهو أنّهم قالوا: بل ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ وفي هذا القول حجة عليهم، لأنّه ليس بحكيم من يختار لنفسه أدون المنزلتين ولغيره أعلاهما، فلو كان على ما يقول المشركون من جواز اتخاذ الولد عليه، لم يتخذ لنفسه البنات ويصفيهم بالبنين[٢].

ثم قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَثَلاً﴾ يعني إذا ولد لواحد منهم بنت حسب ما أضافوها إلى الله، ونسبوها إليه على وجه المثل لذلك ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي يتغيّر ممّا يلحقه من الغم بذلك حتى يسود وجهه ويربد ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٣].

وفي هذا أيضاً حجة عليهم، لأنّ من اسودّ وجهه لما يضاف إليه ممّا لا يرضى، فهو أحق أن يسودّ وجهه بإضافته مثل ذلك إلى من هو أجلّ منه، فكيف إلى ربه[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٨٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ثم قال تعالى على وجه الإنكار لقولهم: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ قال ابن عباس: أو من ينشّؤ في الحلية المرأة، وبه قال مجاهد والسدي[١].

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا﴾ يعني هؤلاء الكفّار ﴿الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ﴾ متذلّلون له خاضعون ﴿إِنَاثًا﴾ فقال لهم على وجه الإنكار: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ بذلك ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عن صحتها[٢].

وفائدة الآية أنّ من شهد بما لا يعلم، فهو حقيق بأن يوبّخ ويذم على ذلك، وشهادته بما هو متكذب به على الملائكة أعظم من الفاحشة، للإقدام على تنقّصهم في الصفة وإن كانوا في ذلك على جهالة[٣].

ثم حكى عنهم أنّهم قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَانُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ كما قالت المجبّرة بأنّ الله تعالى أراد كفرهم، ولو لم يشأ ذلك لما كفروا، فقال الله لهم على وجه التكذيب: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ليس يعلمون صحّة ما يقولونه، وليس هم إلاّ كاذبين[٤].

ففي ذلك إبطال مذهب المجبّرة في أنّ الله تعالى يريد القبيح من أفعال العباد، لأنّ الله تعالى قطع على كذبهم في أنّ الله يشأ عبادتهم للملائكة، وذلك قبيح لا محالة، وعند المجبّرة فالله شاء له، وقد نفاه تعالى عن نفسه وكذّبهم في قولهم فيه[٥].

فصل

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الآية: ٣١.

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٩٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

حكى الله تعالى عن الكفّار أنّهم قالوا: لو كان القرآن حقاً هلاّ نزّل ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ يعني بالقريتين مكة والطائف[١].

ويعنون بالرجل العظيم من أحد القريتين في قول ابن عباس: الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي[٢].

وقال مجاهد: يعني بالذي من أهل مكة عقبة بن أبي ربيعة، والذي من أهل الطائف ابن عبد ياليل[٣].

وقال قتادة: الّذي من أهل مكة يريدون الوليد بن المغيرة، والّذي من أهل الطائف عروة بن مسعود الثقفي[٤].

((وقوله: (على أمة) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني على ملّة، وقُرئ على إمّة بكسر الهمزة والمراد به الطريقة)).

فصل

قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ الآية: ٣٦.

---

١. قارن ٩: ١٩٥ .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٩: ١٩٥ قال الرازي في تفسيره ٧: ٤٤١ ط القاهرة استانبول: قال المفسّرون: والّذي بمكة هو الوليد بن المغيرة، والّذي بالطائف هو عروة بن مسعود .

وقال القرطبي في تفسيره ١٦: ٨٣ ط دار إحياء التراث العربي بيروت: والرجلان: الوليد بن المغيرة ... والّذي بالطائف أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي قاله قتادة، وقيل: عمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف، وعتبة بن ربيعة من مكة، وهو قول مجاهد، وعن ابن عباس: أنّ عظيم الطائف حبيب بن عمرو الثقفي، وقال السدي: كنانة بن عبد بن عمرو .

٤. قارن ٩: ١٩٥، وما بين القوسين من الرضوية .

يقال: عشا إلى النار إذا تنورها فقصد لها، وعشىء عنها إذا أعرض عنها قاصداً لغيرها، كقولهم مال إليه ومال عنه[١].

وقوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن: نخل بينه وبين الشيطان الذي يغويه، ويدعوه إلى الضلالة، ولا يمنعه منه[٢].

((الثاني)) وقيل: نجعل له شيطاناً قريناً، يقال: قيض له كذا وكذا أي سهل له ويسر[٣].

الثالث: قال قتادة: نقيّض له شيطاناً في الآخرة يلزمه حتى يصير به إلى النار فحينئذٍ يتمنّى البعد منه[٤].

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الآية: ٤٤.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّ هذا القرآن شرف لك بما أعطاك الله ﷻ من الحكمة، ولقومك بما عرضهم له من إدراك الحقّ به، وإنزاله على رجل منهم[٥].

الثاني: أنّه حجة تؤدي إلى العلم لك ولكلّ أمتك، والأوّل أظهر[٦].

وقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ قال قتادة والضحاك: يعني أهل الكتابين التوراة والإنجيل[٧].

---

١. قارن ٩: ١٩٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٢٠٢.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقال ابن زيد: يريد الأنبياء الذين جمعوا له ليلة الاسراء، وهو الظاهر[١].

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ الآيات: ٥٥ – ٥٧.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة وابن زيد: معنى ﴿آسَفُونَا﴾ أغضبونا لأنّ الله تعالى يغضب على العصاة بمعنى يريد عقابهم، ويرضى عن المطيعين بأن يريد ثوابهم بما يستحقّونه من طاعاتهم ومعاصيهم[٢].

وقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ المثل بيان عن أنّ حال الثاني كحال الأوّل بما قد صار في الشهرة كالعلم.

وقوله: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد وضمّها وقد قرئ بهما، وقيل: معنى ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد يضجّون، أي ضجّوا سروراً منهم، ومن ضمّها أراد يعرضون[٣].

وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ يعني: المسيح مثلاً ﴿إِلاَّ جَدَلاً﴾ أي: خصومة ودفعاً لك عن الحقّ، لأنّ المجادلة لا تكون إلاّ وأحد المجادلين مبطلاً، والمناظرة قد تكون بين المحقين، لأنّه قد يعارض ليظهر الحقّ[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٢٠٨.

٣. قارن ٩: ٢١٠.

٤. نفس المصدر.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: جدلون في دفع الحقّ بالباطل[١].

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا [وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ]﴾ الآيات: ٦١ – ٦٣.

الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يحتمل أن يكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، لأنّ ظهوره يعلم به مجيئ الساعة، لأنّه من أشراطها، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد[٢].

وقيل: انّه عليه السلام يعود غير مكلّف في دولة المهدي عليه السلام، وإن كان التكليف باقياً على أهل ذلك الزمان[٣].

وقوله: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال قوم: البعض ها هنا يراد به الكل، كأنّه قال: ولأبيّن لكم جميع ما تختلفون فيه[٤]، وقيل: أراد به من أمر دينكم دون أمر دنياكم[٥].

والاختلاف أصل كلّ عداوة، والوفاق أصل كلّ ولاية، لأنّ الخلاف يوجب البغضة[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢١١.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٢١٣.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾ الآية: ٧٠.

﴿تُحۡبَرُونَ﴾ أي: تسرون فيها، والحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره، وحبرته حسنته بما يظهر أثر السرور به[١].

وقال قتادة وابن زيد: معنى ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ تنعمون[٢].

وقال السدي: معناه تكرمون[٣].

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ الآية: ٧٤ – ٧٥.

أي: آيسون من رحمة الله وفرجه، وهو قول قتادة[٤].

والإبلاس اليأس من الرحمة مع شدّة الحيرة، يقال: أبلس فلان إذا تحيّر عند انقطاع الحجة[٥].

فصل

قوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ * [سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ

---

١. قارن ٩: ٢١٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢١٥.

٤. قارن ٩: ٢١٦.

٥. نفس المصدر.

وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآيات: ٨١.٨٥.

قيل في معنى قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أقوال:

أحدها: فأنا أول الآنفين من عبادته، لأنّ من كان له ولد لا يكون إلاّ جسماً محدثاً، ومن كان كذلك لا يستحق العبادة، لأنّه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة[١]، تقول العرب: عبدت فصمت، قال الفرزدق:

واعبد أن يهجى كليب بدارم[٢]

وقال آخر:

ألا هـذيت أم الوليـد وأصـبحت لما أبصرت في الرأس مني تعبد[٣]

الثاني: ما قاله ابن زيد وابن أسلم وقتادة: إنْ ﴿إِنْ﴾ بمعنى ما وتقديره: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله[٤].

الثالث: هو أنّه لو كان له ولد لعبدته على ذلك، كما تقول: لو دعت الحكمة إلى عبادة غير الله لعبدته، لكنّها لا تدعو إلى عبادة غيره[٥]، وكما تقول: لو دلّ الدليل على أنّ له ولد لقلت به لكنّه لا يدلّ، فهذا تحقيق نفي الولد، لأنّه تعليق محال بمحال[٦].

---

١. قارن ٩: ٢١٨.

٢. الشطر من بيت للفرزدق صدره: أولئك أجلاسي فجئني بمثلهم.

٣. البيت في تفسير الطبري ولم ينسب لأحد.

٤. قارن ٩: ٢١٩.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

إنّما لم يجز على الله تعالى الولد، لأنّه لا يخلو أن يضاف إليه الولد حقيقة أو مجازاً، وحقيقته أن يكون مخلوقاً من مائه أو مولوداً على فراشه، وذلك يستحيل عليه تعالى، ومجازه أن يضاف إليه على وجه التبنّي، وإنّما يجوز ذلك في من يجوز عليه حقيقته، ألا ترى أنّه لا يقال: تبنى شاب شيخاً لما لم يمكن أن يكون له ولداً حقيقة، وإن جاز أن يضاف إلى شيخ شاب أنّه تبنّاه لما كانت حقيقته مقدورة فيه[١].

وإنّما جاز أن يقال: روح الله، ولم يجز أن يقال: ولد الله، لأنّ روح الله بمعنى ملك الله للروح، وإنّما أضيف إليه تشريفاً، وإن كانت الأرواح كلّها لله، بمعنى أنّه مالك لها ولا تعارف مثل ذلك في الولد[٢].

ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ أي تحق له العبادة في السماء وتحق له العبادة في الأرض، وإنّما كرّر لفظ ﴿إِلَهٌ﴾ في قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ لأحد أمرين:

أحدهما: للتأكيد، ليتمكن المعنى في النفس لعظمه في باب الحقّ[٣].

الثاني: أنّ المعنى هو في السماء إله يجب على الملائكة عبادته، وفي الأرض إله يجب على الآدميين عبادته[٤].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ هو مأخوذ من الثبوت، ومعناه جل الثابت الّذي لم يزل ولا يزال، وقيل: معناه جلّ الّذي عمّت بركة ذكره[٥].

---

١. قارن ٩: ٢١٩.

٢. قارن ٩: ٢٢٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة حم الدخان

فصل

قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ الآية: ٧.

يجوز أن يكون المراد إن كنتم موقنين، أي إن كنتم ممن يطلب اليقين فهذا طريقه، واليقين ثلج الصدر بالعلم، وهو حال يجده الإنسان من نفسه عند التعقّل، ولهذا يقال: من وجد برد اليقين ((كان من اليقين)) ولذلك لا يوصف الله تعالى باليقين، وإن وصف بأنّه عالم وعليم[1].

فصل

قوله: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ [إِنَّهُمۡ جُندٌ مُّغۡرَقُونَ * كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ * وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ * وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ]﴾ الآيات: ٢٤ – ٢٧.

---

١. قارن ٩: ٢٢٦، وما بين القوسين من المصدر.

أي: ساكناً على ما هو به من كثرته إذا قطعه، ولا يرده إلى ما كان، ويقال: عيش راه إذا كان خفضاً وادعاً[١].

وقال قوم: معناه اترك البحر يبساً، وقيل: طريقاً يابساً، وقال ابن الأعرابي: معناه واسعاً ما بين الطاقات[٢].

وقوله: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ النَعمة بفتح النون التنعم، وبكسرها منفعة يستحق بها الشكر وإن كانت مشقة، لأنّ التكليف نعمة وإن كان فيها مشقة، والفاكه المتمتع بضروب اللذة، كما يتمتع الآكل بضروب الفاكهة[٣].

١. قارن ٩: ٢٣١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢٣٢.

سورة الجاثية

فصل

قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * [يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]﴾ الآيات: ٧ – ١٠.

الويل قيل: أنّه واد سائل من صديد جهنم، وقيل: انّ الويل كلمة يتلقى بها الكفّار والفساق تتضمن استحقاقهم العقاب، والأفّاك الكذّاب، ويطلق ذلك على من يكثر كذبه[١].

ثم قال: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: من بين أيديهم، يعني يوم القيامة جهنم معد لهم، وإنّما قيل لما بين أيديهم ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ والوراء هو الخلف، لأنّه يكون في مستقبل أوقاتهم بعد تقضيهم، فيصلح لهذه العلّة فيه الوجهان[٢].

---

١. قارن ٩: ٢٥٠.

٢. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ [سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]﴾ الآيات: ٢١ – ٢٣.

الاجتراح الاكتساب، اجترح السيئة اجتراحاً أي اكتسبها من الجراح، لأنّ له تأثيراً كتأثير الجراح، ومثله الاقتراف، وهو مشتق من قرف القرحة، والسيئة هي التي تسوء صاحبها، وهي الفعلة القبيحة[١].

قال الرماني: القبيح ما ليس للقادر عليه فعله، والحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله، وكلّ فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه[٢].

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يا محمّد ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وإنّما سمّى الهوى إلهاً من حيث أنّ العاصي يتبع هواه، ويرتكب ما يدعوه إليه، ولم يرد أنّه يعبد هواه، أو يعتقد أنّه يحق له العبادة، لأنّ ذلك لا يعتقده أحد[٣].

---

١. قارن ٩: ٢٥٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢٥٩.

قال الحسن: معناه اتخذ إلهه بهواه، لأنّ الله تعالى يجب أن يعرف بحجة العقل لا بالهوى[١].

وقال ابن عباس: معناه أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه، لأنّه يتخذه بغير هدى من الله ولا برهان[٢].

وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ معناه حكم بضلاله عالماً بعدوله عن الحقّ[٣]، ويحتمل أن يكون المعنى يعدل الله به عن طريق الجنة إلى طريق النار جزاءاً على فعله عالماً بأنّه يستحق ذلك[٤].

﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ وقد فسّرناه فيما مضى، ومعناه أنّه يجعل عليهما علامة تدلّ على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب، لا أنّه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الإيمان والطاعات[٥].

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة الأحقاف

فصل

قوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ [إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ]﴾ الآيات: ٩ – ١٠.

البدع: الأوّل في الأمر، يقال: هو بدع من قوم أبداع، قال عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري رجالاً عرت من بعد بؤسٍ وأسعد[١]

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معناه ما كنت بأول رسول بعث[٢].

وقوله: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ قال الحسن: معناه لا أدري ما يأمرني الله تعالى فيكم من حرب أو سلم أو تعجيل عقابكم أو تأخيره[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أنّهم لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب.

والثاني: أنّه لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالاً ظالمين[٤].

---

١. البيت في ديوانه، وهو من الشواهد في تفسير الطبري ومجمع البيان والقرطبي.

٢. قارن ٩: ٢٧٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ولا يجوز أن يكون المراد لا يهديهم إلى طريق الحقّ لأنّه تعالى هدى جميع المكلّفين، بأن نصب لهم الأدلّة على الحقّ ودعاهم إلى اتباعه ورغّبهم في فعله، وقد قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فبيّن أنّه هداهم إلى الحقّ، وإن اختاروا هم الضلال[١].

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ الآية: ١٥.

الايزاع المنع من الانصراف عن الشيء، فايزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللطف، ومنه قولهم: يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[٢]، قال النابغة: والشيب وازع[٣] أي: مانع.

وقيل: ايزاع الشكر الهام الشكر، وقيل: الاغراء بالشكر[٤].

فصل

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ الآية: ١٦.

يعني: ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات، لأنّ المباحات وإن كانت حسنة لا يستحق بها الثواب ولا توصف بأنّها متقبلة، لأنّه لا يتقبل إلاّ ما ذكرناه من واجب أو ندب[٥].

---

١. قارن ٩: ٢٧٠، والآية في سورة فصلت: ١٧.

٢. قارن ٩: ٢٧٥، والخبر في الدر المنثور للسيوطي ٤: ١٩٩ منسوباً إلى قول عمر: والله لما يزع الله بالسلطان أعظم ممّا يزع بالقرآن، وقريب منه في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام.

٣. قارن ٩: ٢٧٥ وقول النابغة شطرة من قوله كما في ديوانه ومجاز القرآن ١: ٢٢٧:

فأسبل مني عبرة فرددتها ... على النحر منها مستهل ودامع

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما أصح والشيب وازع

٤. قارن ٩: ٢٧٥.

٥. قارن ٩: ٢٧٧.

فصل

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ الآية: ٢١.

قال ابن عباس: الأحقاف هو واد بين عُمان ومهرة[١].

وقال ابن اسحاق: الأحقاف الرمل فيما بين عُمان إلى حضرموت[٢].

وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة.

فصل

قوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ الآية: ٣٥.

قال قوم: أولوا العزم هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب واجتناب المحارم[٣].

فعلى هذا الأنبياء كلّهم أولوا العزم، ومن قال: ذلك جعل من ها هنا للتبيين لا للتبعيض[٤].

ومن قال: انّ أولي العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون قال من ها هنا للتبعيض[٥].

وهو الظاهر في روايات أصحابنا وأقوال المفسّرين، ويريدون بأولي العزم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدّم من الأنبياء قالوا: وهم خمسة أولهم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمّد ﷺ[٦].

---

١. قارن ٩: ٢٧٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢٨٦.

٤. قارن ٩: ٢٨٧.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة محمّد ﷺ

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۞ [وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۞ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۞ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ]﴾ الآيات: ١ – ٥.

معناه: حكم الله على أعمالهم بالضلال عن الحقّ، والعدول عن الاستقامة، وسمّاها بذلك لأنّها عملت على غير هدى وغير رشاد[1].

---

١. قارن ٩: ٢٨٩.

ومعنى التكفير في السيئات هو الحكم باسقاط المستَحقّ عليها من العقاب، فأخبر تعالى أنّه متى فعل المكلّف الإيمان بالله والتصديق لنبيه، أسقط عقاب معاصيه حتى يصير بمنزلة ما لم يفعل[١].

قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ قال قتادة وابن جريج: الآية منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[٢] وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾[٣].

وقال قوم: ليست منسوخة والإمام مخير بين الفداء والمن والقتل بدلالة الآيات الأخر[٤].

والّذي رواه أصحابنا أنّ الأسير إذا أخذ قبل انقضاء الحرب والقتال والحرب قائمة، فالإمام مخيّر بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويتركهم حتى ينزفوا، وليس له المنّ ولا الفداء[٥].

وإن كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب، كان مخيراً بين المن والفداء: إما بالمال أو النفس، وبين الاسترقاق، فإن أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم[٦].

فصل

قوله: ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية: ٩.

---

١. قارن ٩: ٢٩٠.

٢. قارن ٩: ٢٩١، والآية في سورة التوبة: ٥.

٣. قارن ٩: ٢٩١، والآية في سورة الأنفال: ٥٧.

٤. قارن ٩: ٢٩١.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

أي: حكم ببطلانها، لأنّها وقعت على خلاف الوجه المأمور به[١].

فصل

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ الآية: ١٦.

قرأ ابن كثير أنِفًا على وزن فعل الباقون آنِفًا بالمد على وزن فاعل[٢].

حكى الله تعالى لنبيّه أنّ من الكفّار من إذا جاء إلى النبيّ عليه السلام واستمع لقراءة القرآن، فلا يصغي إليه ولا ينتفع به حتى إذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه، ولا يسألون أهل العلم الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين[٣].

﴿ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ أي: أي شيء قاله الساعة، وقيل: معناه قريباً، وقيل: مبتدياً[٤]، والآنف الجائي بأول المعنى، ومنه الاستئناف، وهو استقبال الأمر بأول المعنى، ومنه الأنف لأنّه أول ما يبدو من صاحبه[٥].

فصل

قوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية: ١٩.

---

١. قارن ٩: ٢٩٤.

٢. قارن ٩: ٢٩٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٢٩٨.

٥. نفس المصدر.

الخطاب له والمراد به الأمة، لأنّه عليه السلام لا ذنب له يستغفر منه، ويجوز أن يكون ذلك على وجه الانقطاع إليه[١].

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ أي الموضع الّذي تتقلّبون فيه، وكيف تتقلّبون وموضع استقراركم، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، طاعة كانت أو معصية[٢].

فصل

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية: ٢٣ – ٢٤.

أي: سمّاهم عمياً وصمّاً وحكم عليهم بذلك، لأنّهم بمنزلة الصمّ والعُمي، من حيث لم يهتدوا إلى الحقّ ولا أبصروا الرشد، ولم يرد الإصمام في الجارحة والإعماء في العين، لأنّهم كانوا بخلافه صحيحي العين صحيحي السمع[٣].

ثم قال موبخاً لهم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ معناه: أفلا يتدبّرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك، تنبيهاً لهم على أنّ الأمر بخلافه، وليس عليها ما يمنع من التدبّر والتفكّر، والتدبّر في النظر في موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبّر القرآن[٤].

---

١. قارن ٩: ٣٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٠٣.

٤. نفس المصدر.

وفي ذلك حجة على بطلان قول من يقول: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلاّ بخبر وسمع[١].

وفيه تنبيه على بطلان قول الجهّال من أصحاب الحديث أنّه ينبغي أن يُروى الحديث على ما جاء، وإن كان مختلاً في المعنى، لأنّ الله تعالى دعا إلى التدبّر والتفقّه، وذلك مناف للتعامي والتجاهل[٢].

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ أي رجعوا عن الحقّ والإيمان ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى﴾ أي ظهر لهم الطريق الواضح المفضي إلى الجنة[٣].

وليس في ذلك ما يدلّ على أنّ المؤمن على الحقيقة يجوز أن يكفر، لأنّه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع عن اظهار الإيمان بعد وضوح الأمر فيه وقيام الحجة بصحته[٤].

فصل

قوله: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾الآية: ٣٠.

أي: في فحوى القول ومتضمّنه، ومنه قوله عليه السلام: «ولعل بعضكم ألحن بحجته» أي أذهب بها في الجهات، لقوته على تصريف الكلام[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٣٠٥، والحديث الشريف في جملة من التفاسير وأحكام القرآن للجصاص ولابن ←

واللحن الذهاب عن الصواب في الإعراب، واللحن ذهاب بالكلام إلى خلاف جهته[١].

فصل

قوله: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ الآية: ٣٥.

أي لن ينقصكم أجور أعمالكم، يقال: وتره يتره وتراً إذا نقصه، وهو قول مجاهد، وأصله القطع فمنه التره القطع بالقتل، ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره[٢].

← العربي وغيرها ولفظه: ((إنّكم تختصمون إليَّ وإنّما أنا بشر، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأنا أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة)).

١. قارن ٩: ٣٠٥.

٢. قارن ٩: ٣٠٨.

سورة الفتح

فصل

قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآيات: ١ – ٢.

قد بيّنا أنّ شيئاً من القبائح لا يجوز على الأنبياء بحال، على أنّ الصغائر تقع مكفّرة محبطة لا يثبت عقابها، فكيف يمتنّ الله تعالى على النبيّ بأنّه يغفرها له وهو تعالى لو واخذه بها لكان ظالماً، وإنّما يصحّ التمدّح بما له المؤاخذة وله العفو، فإذا غفر استحق بذلك الشكر[1].

وللآية وجهان من التأويل[2]:

أحدهما: ليغفر لك ما تقدّم من ذنب أمتك وما تأخّر بشفاعتك ولمكانك، وأضاف الذنب إلى النبيّ وأراد به أمته، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وذلك جائز لقيام

---

١. قارن ٩: ٣١٤.

٢. نفس المصدر.

٣. يوسف: ٨٢.

الدلالة عليه، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[١] والمراد جاء أمر ربك[٢].

الثاني: أراد أن يغفر ما أذنبه قومك إليك من صدّهم لك عن الدخول إلى مكة سنة الحديبية[٣].

فصل

قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ [وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا]﴾ الآيات: ٨ – ١٠.

معنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ أي تنصروه، فالهاء راجعة إلى النبيّ ﷺ، وقال المبرد: معنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ تعظّموه[٤].

وقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ دلالة على بطلان قول المجبّرة أنّه تعالى يريد من الكفّار الكفر، لأنّه تعالى بيّن أنّه أراد من جميع المكلّفين الطاعة ولم يرد أن يعصوا[٥].

---

١. الفجر: ٢٢.

٢. قارن ٩: ٣١٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٣١٨.

٥. قارن ٩: ٣١٩.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ فالمراد بالبيعة المذكورة ها هنا بيعة الحديبية، وهي بيعة الرضوان، والمبايعة معاقدة على السمع والطاعة كالمعاقدة في البيع والشراء[١].

وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم، لأنّهم بايعوا الله ببيعة نبيه.

والآخر: قوة الله في نصرة نبيّه فوق نصرتهم[٢].

فصل

قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا﴾ الآية:١١.

الأعراب الجماعة من عرب البادية، وعرب الحاضرة ليسوا بأعراب، ففرقوا بينهما وإن كان اللسان واحداً[٣].

وقوله: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ البور الفاسد، وقال مجاهد: البُور الهالكون[٤].

فصل

قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٩: ٣٢١ .

٤. قارن ٩: ٣٢٢ .

شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا]﴾ الآيات: ١٦ – ٢٠.

يقول الله تعالى لنبيّه: قل لهؤلاء المخلّفين الذين تخلّفوا عنك في الخروج إلى الحديبية ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ فيما بعد ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: أولوا البأس الشديد أهل فارس[1]، وقال ابن أبي ليلى والحسن: هم الروم[2].

١ـ وقال بهذا جملة من تلامذته كعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعطاء الخراساني (فتح القدير للشوكاني ٥: ٤٩ ط البابي الحلبي سنة ١٣٥ هـ) ورواه عنه عليّ بن أبي طلحة (تفسير ابن كثير ٤: ١٩٠ ط الاستقامة) وتبعهم ابن أبي ليلى كما في المصادر المذكورة وغيرهما.

٢ـ وهذا أيضاً مروي في جملة من التفاسير راجع تفسير الطبري والرازي وابن كثير وفتح القدير وغيرها.

وقال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة: هم هوازن بحنين[١].

وقال الزهري: هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب وكانوا بهذه الصفة[٢].

واستدلّ جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبي بكر من حيث أنّ أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وكانوا قد حرموا القتال مع النبيّ عليه السلام، بدليل قوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[٣].

وهذا الّذي ذكروه غير صحيح من وجهين:

أحدهما: أنّه غلط في التاريخ ووقت نزول الآية.

والثاني: أنّه غلط في التأويل، ونحن نبيّن فساد ذلك أجمع، ولنا في الكلام في تأويل الآية وجهان[٤].

---

١. كسابقه، وقد قواه الخازن في تفسيره فقال بعد أن حكى جملة الأقوال: وأقوى هذه الأقوال قول من قال إنّهم هوازن وثقيف، لأنّ الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبعدها قول من قال إنّهم حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب (تفسير الخازن ٤: ١٤٩ ط الميمنية سنة ١٣١٧) وتبعه ظاهراً على هذا السراج الشربيني في تفسيره (٤: ٣٧ ط الخيرية سنة ١٣١١)، فقد حكى قوله ولم يعقّب عليه، ولم يبعد ابن جزي في التسهيل (٤: ٢٣ ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ) عن ذلك حيث قال أنّهم هوازن، وهناك غير هؤلاء أيضاً.

٢. وهذا مروي عن الزهري ولم يرو عن غيره، راجع التفاسير المذكورة، ومع ذلك نجد الشوكاني يقول: وحكى هذا القول الواحدي عن أكثر المفسّرين؟!

٣. قال الآلوسي في روح المعاني ٢٦: ٩٥ ط المنيرية: وشاع الاستدلال بالآية على صحّة إمامة أبي بكر.. ثم ذكر وجه الاستدلال إلى أن قال: والإنصاف أنّ الآية لا تكاد تصحّ دليلاً على إمامة الصديق، إلاّ إن صحّ خبرٌ مرفوع في كون المراد بالقوم بني حنيفة ونحوهم، ودون ذلك خرط القتاد.

٤. قارن ٩: ٣٢٤.

أحدهما: أن ينازع في اقتضائها داعياً يدعو هؤلاء المخلّفين غير النبيّ، ويبيّن أنّ الداعي لهم فيما بعد كان النبيّ عليه السلام، على ما حكيناه عن قتادة وسعيد بن جبير في أنّ الآية نزلت في أهل حنين، وكان النبيّ عليه السلام هو الداعي إلى ذلك[١].

والآخر: أن يسلم أنّ الداعي غيره، وتبيّن أنّه لم يكن أبا بكر ولا عمر، بل كان أمير المؤمنين[٢].

فأما الوجه الأوّل فظاهر، لأنّ قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ قد بيّنا أنّه أراد به الذين تخلّفوا عن الحديبية بإجماع المفسّرين[٣].

ثم قال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ﴾ إلى آخر الآية، بيّن أنّ هؤلاء المخلّفين سألوا أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر، فمنعهم الله ذلك وأمر نبيّه بأن يقول لهم: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ إلى هذه الغزاة، لأنّه تعالى كان حكم من قبل، بأنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، وأنّه لا حظّ فيها لمن لم يشهدها، وهذا هو معنى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾[٤].

ثم قال: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

---

١. قارن ٩: ٣٢٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ وإنّما أراد أنّ الرسول سيدعوهم فيما بعد إلى قتال بهذه الصفة، وقد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة[١].

وقال قوم: أولي بأس شديد، كمؤتة وحنين وتبوك وغيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعي لهم غير النبيّ عليه السلام؟[٢].

فأمّا قولهم ـ إنّ معنى قوله:﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ هو أنّه أراد قوله:﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا﴾[٣] فهو الغلط الفاحش في التاريخ[٤].

لأنّا قد بيّنا أنّ هذه الآية التي في التوبة نزلت بتبوك سنة تسع، وآية سورة الفتح نزلت سنة ست، فكيف تكون قبلها، وينبغي لمن تكلّم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعي أسباب نزول الآية على ما روي، ولا يعوّل على الآراء والشهوات[٥].

وتبيّن أيضاً أنّ هؤلاء المخلّفين غير أولئك، وان لم يرجع إلى تاريخ ونقل[٦]، قوله: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فلم يقطع فيهم على طاعة ولا معصية، بل ذكر الوعد والوعيد على ما يتعلّق به من طاعة أو معصية، وحكم المذكورين في سورة التوبة

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. التوبة: ٨٣ .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ٩: ٣٢٦ .

٦. نفس المصدر .

بخلافه، لأنّه تعالى قال بعد قوله: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[١].

واختلاف أحكامهم تدلّ على اختلافهم، وقد حكينا عن سعيد بن جبير أنّه قال: هذه الآية نزلت في هوازن يوم حنين، وقال الضحاك: هم ثقيف[٢].

وقال قتادة: هم هوازن وثقيف.

وأمّا الوجه الّذي يسلم معه أنّ الداعي غير النبيّ عليه السلام، فهو أن نقول: الداعي أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه قاتل بعده أهل الجمل وصفين وأهل النهروان، وبشّره النبيّ عليه السلام بقتالهم وكانوا أولي بأس شديد[٣].

فإن قالوا: من قاتلهم عليّ عليه السلام كانوا مسلمين، وفي الآية قال: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ كيف تتناولهم الآية؟

قلنا: أول ما نقوله: انّهم غير مسلمين عندنا ولا عند جميع من خالفنا من المعتزلة لأنّ عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا مسلم[٤].

وأما مذهبنا في تكفير من قاتل علياً عليه السلام معروف، وقد ذكرناه في كتب الإمامة لقوله عليه السلام: «حربك يا عليّ حربي»[٥] وغير ذلك من الأخبار والأدلّة التي

---

١. قارن ٩: ٣٢٦، والآيات في سورة التوبة: ٨٤ – ٨٦.

٢. قارن ٩: ٣٢٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. أخرج هذا الحديث بلفظه الخوارزمي الحنفي في مناقبه: ٧٦ ط حجرية، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ١٥٤ بسنده عن عليّ عليه السلام قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر بقدرة الله: ... وحربك حربي وسلمك سلمي وسرّك سرّي وعلانيتك علانيتي...». ←

← وقال القندوزي: أخرج هذا الحديث المذكور صاحب كتاب المناقب عن جابر بن عبد الله... وأخرجه القندوزي مرّة ثانية عن موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: دفع النبيّ ﷺ الراية يوم خيبر إلى عليّ ففتح الله بيده، ثم في غدير خم أعلم الناس أنّه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة وقال: «... وأنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك...».

أقول: روى الذهبي في ميزان الاعتدال ٢: ٧٥ تحـ البجاوي، وابن حجر في لسان الميزان ٢: ٤٨٣، كلاهما في ترجمة زكريا بن يحيى الكسائي، وابن عدي في الكامل ٣: ٢١٥ ط الثالثة دار الفكر عنه باسناده: أخذ بيد عليّ وقال: «الله وليي وأنا وليك وعادى من عاداك وسالم من سالمك» وتحاملوا على المسكين زكريا وجرحوه، وأبان ابن عدي ذلك بقوله: وزكريا بن يحيى الكسائي هذا أكثر الأحاديث التي يرويها في فضائل أهل البيت الّذي يقع فيها النكرة ومثالب غيرهم من الصحابة التي كلّها موضوعات، وهذا الّذي قال ابن معين: يحدث بأحاديث سوء، إنّما يرويه في مثالب الصحابة إهـ.

وليتني أدري ماذا يقول ابن معين وابن عدي والذهبي وابن حجر أولاً فيما رواه الترمذي في صحيحه برقم ٣٨٧٠ تحـ إبراهيم عطوه عوض، ورواه ابن ماجة في سننه ١: ١٤٥ تحـ محمّد فؤاد عبد الباقي، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٢٤٤ ط بيروت، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٩، والطبراني في معجمه الكبير ٣: ٣٠ – ٣١ وغيرهم بأسانيدهم عن زيد بن أرقم قال: مرّ النبيّ ﷺ على بيت فيه فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» وبلفظ «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم».

وثانياً: وماذا يقولون في حديث أبي هريرة وقد رواه أحمد في مسنده ٢: ٤٤٢، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٩، والخطيب في تاريخ بغداد ٧: ١٣٧، والطبراني في معجمه الكبير ٣: ٣٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٩ وغيرهم بأسانيدهم قال أبو هريرة: نظر النبيّ ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» وقال الهيثمي في المجمع: وفيه تليد بن سليمان وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح، أقول: فالحديث بهذا الطريق حسن.

وثالثاً: ماذا يقولون في حديث أبي سعيد الخدري وقد أخرجه ابن مردويه وعنه السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٩ قال: لما دخل عليّ عليه السلام بفاطمة عليها السلام جاء النبيّ ﷺ أربعين صباحاً إلى ←

ذكرناها في غير موضع، واستوفينا ما يتعلّق بذلك في كتاب الإمامة[١].

ويمكن على تسليم أنّ الداعي أبو بكر وعمر أن يقال: ليس في الآية ما يدلّ على مدح الداعي ولا على إمامته، لأنّه قد يدعو إلى الحقّ من ليس عليه، ويجب ذلك من حيث كان واجباً، لا من أجل دعاء الداعي، وأبو بكر دعاهم إلى الدفاع عن الإسلام، وهذا واجب على كلّ أحد بلا دعاء داع[٢].

ويمكن أن يكون المراد بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ دعاء الله لهم بايجاب القتال عليهم، لأنّه إذا دلّهم على وجوب القتال للمرتدين ودفعهم عن بيضة الإسلام فقد دعاهم إلى القتال ووجبت عليهم طاعته[٣].

والكلام في هذه الآية كالكلام في التي قبلها، في أنا إذا قلنا لا تدلّ على إمامة الرجلين لا نكون طاعنين، بل لا يمتنع أن يثبت فضلهما وإمامتهما بدليل غير الآية، لأنّ المحصّلين من العلماء يذهبون إلى إمامتهما من جهة الاختيار لا من جهة الآية[٤].

← بابها يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

ألا فلتسخن أعين النواصب الّذين لا يطيقون سماع فضيلة لأهل البيت، فهذه الأحاديث الثلاثة ليس في سند واحد منها زكريا بن يحيى الكسائي الّذي تحاملوا عليه بغير حقّ، وإلى غير ذلك من أحاديث أمثالها.

١. راجع تلخيص الشافي ٢: ١٣٥ ط الآداب النجف.

٢. قارن ٩: ٣٢٦.

٣. قارن ٩: ٣٢٧.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ سمّيت بيعة الرضوان لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن عباس: كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية تأخّر عثمان حين بعثه النبيّ عليه السلام إلى قريش فبلغه أنّهم قتلوه، فبايعهم على قتال قريش[١].

وهو إخبار من الله تعالى أنّه رضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة النبيّ عليه السلام، وكانوا مؤمنين في الوقت الّذي بايعوه ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من إيمان ونفاق، فرضي عن المؤمنين وسخط على المنافقين[٢].

وقيل: معناه فعلم ما في قلوبهم من صدق النية في القتال وكراهته له، لأنّه بايعهم على القتال، ذكره مقاتل[٣].

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على المؤمنين، والسكينة الصبر لقوّة البصيرة[٤].

والشجرة التي بايعوا تحتها هي السمرة[٥].

واستدلّ بهذه الآية جماعة على فضل أبي بكر، فإنّه لا خلاف أنّه كان من المبايعين تحت الشجرة، وقد ذكر الله أنّه رضي عنهم وأنّه أنزل السكينة عليهم، وأنّه علم ما في قلوبهم من الإيمان وأثابهم فتحاً قريباً[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٢٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والكلام على ذلك مبني على القول بالعموم، وفي أصحابنا من قال: لا صيغة للعموم ينفرد بها، وبه قال كثير من المخالفين[١].

فمن قال بذلك كانت الآية عنده مجملة لا يعلم المعنيّ بها، وقد بايع النبيّ عليه السلام جماعة من المنافقين بلا خلاف، فلابدّ من تخصيص الآية على كلّ حال[٢].

على أنّه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنّها لم تحصل في جميع المبايعين، فوجب أن يختصّ الرضا بمن جمع الصفات، لأنّه قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

ولا خلاف بين أهل النقل أنّ الفتح الّذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر، وأنّ رسول الله بعث أبا بكر ثم عمر، فرجع كلّ واحد منهما منهزماً[٣]، فقال النبيّ عليه السلام عند ذلك: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. روى المتقي الهندي في كنز العمال ٦: ٣٩٤ ط حيدر أباد الأولى وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطي حديثاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال فيه: فإنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم بعث أبا بكر ـ يعني يوم خيبر ـ فسار بالناس فانهزم حتى رجع عليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله يفتح الله له ليس بفرار» وساق الحديث، وذكر المتقي الهندي قول السيوطي: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن ماجة والبزار وابن جرير وصحّحه والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الدلائل والضياء المقدسي. وورد في حديث ابن عباس في مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٢٤ فرجع ـ أبو بكر ـ منهزماً ومن معه، فلما كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله...» وقال: رواه الطبراني، وفي مستدرك الصحيحين ٣: ٣٨ بسنده عن جابر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دفع الراية يوم خيبر إلى عمر فانطلق فرجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»[١] فدعا عليّاً فأعطاه الراية، وكان الفتح على يده، فوجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية، ومن كان معه في ذلك الفتح، لتكامل الصفات فيهم[٢].

على أنّ في من بايع بيعة الرضوان طلحة والزبير، وقد وقع منهما من قتال عليّ عليه السلام ما خرجا به عن الإيمان، وفسقا عند جميع المعتزلة ومن جرى مجراهم، ولم يمنع وقوع الرضا في تلك الحال من مواقعة المعصية فيما بعد، فما الّذي يمنع من مثل ذلك في غيره[٣].

وليس إذا قلنا أنّ الآية لا تختص بالرجلين كان طعناً عليهما، بل إذا حملناها على العموم دخلا وكلّ مبايع مؤمن فيها، فكان ذلك أولى[٤].

فصل

قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الآية: ٢٩.

---

١. حديث الراية رواه المؤرخون وأصحاب السير بألفاظ مختلفة وعن عدّة من الصحابة، حتى قال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة الإمام عليّ عليه السلام: روى سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعمران بن حصين وسلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه» ثم دعا بعليّ وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية ففتح الله عليه.

أقول: ولقد فات ابن عبد البر ذكر جماعة آخرين من الصحابة رووا ذلك الحديث، منهم عليّ وابن عباس وعمر وأبو ليلى الأنصاري وأبو رافع وجابر بن عبد الله وغيرهم. وتجد الحديث عنهم في ترجمة الإمام عليه السلام من تاريخ ابن عساكر فراجع ١: ١٥٦ – ٢٢٥، وفي البداية والنهاية ٤: ١٨٦ بعض ذلك.

٢. قارن ٩: ٣٢٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قال ابن عباس: أثر صلاتهم يظهر في وجوههم[١]، وقال الحسن: هو السمت الحسن[٢]، وقال قوم: هو ما يظهر في وجوههم من السهر بالليل[٣]، وقال مجاهد: معناه علامتهم في الدنيا من أثر الخشوع[٤].

وقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ شبّههم بالزرع الّذي ينبت حواليه نبات ويلحق به، فالشطء فراخ الزرع الّذي يخرج في جوانبه، ومنه شاطئ النهر جانبه[٥].

﴿فَآزَرَهُ﴾ أي عاونه فشد فراخ الزرع لاصول النبت وقواها، وقال أبو عبيدة: آزره ساواه فصار مثل الأم[٦].

١. قارن ٩: ٣٣٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٣٣٧.

سورة الحجرات

فصل

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآيات: ١ – ٢.

أمرهم أن يتقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته[1].

ثم أمرهم ثانياً بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبيّ على وجه الاستخفاف به عليه السلام. فإنّ مجاهداً وقتادة قالا: جاء أعراب أجلاف من بني تميم، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمّد أخرج إلينا[2].

---

١. قارن ٩: ٣٤٠.

٢. قارن ٩: ٣٤٠ لقد روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة وفي كتاب التفسير بطرق مختلفة منها عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبيّ صلى الله عليه وآله حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلاّ خلافي فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ ورواه السيوطي عنه وعن ابن المنذر والطبراني، وهذا رواه أحمد في مسنده ٤: ٦، والترمذي في صحيحه أبواب التفسير، والنسائي في سننه ٢: ٣٠٤، والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٨٣ نقلاً عن البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير.

ولو أنّ إنساناً رفع صوته على صوت النبيّ عليه السلام على وجه التعظيم له والإجابة لقوله لم يكن مأثوماً، وقد فسّر ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فإنّ العادة جارية أنّ من كلّم غيره فرفع صوته فوق صوته أنّ ذلك دالّ على وجه الاستخفاف به، فلذلك نهاهم عنه[١].

وجهر الصوت أشدّ من الهمس، ويكون شديداً وضعيفاً ووسطاً، والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد، ومنه الجهارة في المنطق[٢].

فصل

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ الآية: ٦.

قال ابن عباس ومجاهد ويزيد بن رومان وقتادة وابن أبي ليلى: نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط لما بعثه رسول الله في صدقات بني المصطلق، خرجوا يتلقّونه فرحاً به وإكراماً له، فظنّ أنّهم همّوا بقتله، فرجع إلى النبيّ عليه السلام فقال: انّهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه[٣].

---

١. قارن ٩: ٣٤٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قال الزمخشري في الكشاف ٣: ١٤٨ ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٦٧ هـ: بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ـ أخا عثمان لأمه، وهو الّذي ولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلّى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: هل أزيدكم ؟ فعزله عثمان عنهم ـ مصدّقاً إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له، فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم، فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم وقال: لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف عليّ عليه السلام إهـ، وروى ذلك الطبراني ←

← في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٧: ١١٠ عن جابر بن عبد الله وفيه إنّهم بنو وليعة، وكان بينهم وبين الوليد شحناء في الجاهلية ثم ساق القصة وقال: وأنزل الله في الوليد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ الآية .

وفي زاد المسير لابن الجوزي قال: نزلت في الوليد بن عقبة ...

وفي تفسير القرطبي ١٦: ٣١١: فأنزل الله تعالى هذه الآية وسمّى الوليد فاسقاً أي كاذباً .

ثم قال في ص٣١٢ قال ابن العربي: ومن العجب أن يجوّز الشافعي ونظراؤه إمامة الفاسق ومن لا يؤتمن على حبة مال كيف يصحّ أن يؤتمن على قنطار دين .

قال القرطبي: وهذا إنّما كان أصله أنّ الولاة الذين كانوا يصلّون بالناس لما فسدت أديانهم ولم يمكن ترك الصلاة وراءهم، ولا استطيعت إزالتهم صُلي معهم ووراءهم .... ثم كان من الناس من إذا صلّى معهم تقية أعادوا الصلاة، ومنهم من كان يجعلها صلاته . وبوجوب الإعادة.

أقول: إن كان ابن العربي عجب من تجويز الشافعي ونظرائه إمامة الفاسق الخ ألا يكون الأعجب والأغرب حين نرى الرازي وهو من جهابذة المفسّرين يقول في تفسيره ٧: ٥٨٩ ط العامرة بدون حياء:

إنّ اطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد، لأنّه توهّم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمّى فاسقاً كيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ إلى غير ذلك، هذا ما قاله الرازي، فاقرأ واضحك وشر البلية ما يضحك، فالله تعالى يسمي الوليد فاسقاً وينزل في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، والرازي يتأبى من تسميته بالفاسق، انّه هذا الشيء عجاب، وليته سلك مسالك قومه من المفسّرين فلم يأت بباقعة، بعد أن صح نزول الآية في تلك الواقعة، قال ابن كثير في تفسيره ٤: ٢٠٨:

وقد ذكر أكثر المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسن ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها، ثم ساق الحديث بطوله إلى أن قال في ص٢٠٩: ورواه ابن أبي حاتم ... ورواه الطبراني من حديث محمّد بن سابق ... .

وقال ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة ... فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ إلى آخر الآية ... . ←

وفي الآية دلالة على أنّ خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل، لأنّ المعنى إن جاءكم فاسق بالخبر الّذي لا تأمنون أن يكون كذباً فتوقفوا فيه[١].

وهذا التعليل موجود في خبر العدل، لأنّ العدل على الظاهر يجوز أن يكون كاذباً في خبره، فالأمان غير حاصل في العمل بخبره[٢].

وفي الناس من استدلّ به على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان راويه عدلاً، من حيث أنّه أوجب تعالى التوقّف في خبر الفاسق، فدلّ على أنّ خبر العدل لا يجب التوقف فيه[٣].

وهذا الّذي ذكروه غير صحيح، لأنّه استدلال بدليل الخطاب، ودليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور العلماء. ولو كان صحيحاً، فليست الآية بأن يستدلّ بدليلها على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلاً، بأولى من أن يستدلّ بتعليلها في رفع الأمان من أنّ يصاب بجهالة إذا عمل بها، على أن خبر العدل مثله، على أنّه لا يجب العمل بخبر الواحد وإن كان راويه عدلاً[٤].

فإن قيل: هذا يؤدّي إلى أن لا فائدة في إيجاب التوقّف في خبر الفاسق إذا كان خبر العدل مثله في الفائدة[٥].

قلنا: والقول بوجوب العمل بخبر العدل يوجب أن لا فائدة في تعليل

← ثم قال ابن كثير في ص٢١٠: وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنّها نزلت في الوليد بن عقبة، والله أعلم.

١. قارن ٩: ٣٤٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٤٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

الآية في خبر الفاسق الّذي يشاركه العدل فيه، فإذا تقابلا سقط الاستدلال على كلّ حال وبقي الأصل في أنّه لا يجوز العمل بخبر الواحد إلاّ بدليل[١].

فصل

قوله تعالى: ﴿[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ [أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ * قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ]﴾ الآيات: ١١ – ١٥.

---

١. نفس المصدر .

قوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ فاللمز: هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز أن يؤذى بذكره، وهو المنهي عنه، فأما ذكر عيبه فليس بلمز، وروي أنّه عليه السلام قال: «قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس»[١].

وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يطعن بعضكم على بعض، كما قال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ لأنّ المؤمنين كنفس واحدة، فكأنّه بقتله أخاه قاتل نفسه[٢].

وقوله: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ قال أبو عبيدة: الأنباز والألقاب واحد، فالنبز القذف باللقب، نهاهم الله أن يلقب بعضهم بعضاً[٣].

وقال الضحاك: معناه كلّ اسم أو صفة يكره الإنسان أن يدعى به فلا يدعى به، وإنّما يدعى بأحب أسمائه إليه[٤].

وقوله: ﴿بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ لا يدلّ على أنّ المؤمن لا يكون فاسقاً، ولا أنّ الإيمان والفسوق بعد الإيمان لا يجتمعان، لأنّ ذلك يجري مجرى أن يقال: بئس الحال الفسوق بعد الشيب[٥].

((والمعنى بئس الاسم الفسوق مع الإيمان، كما أنّ المعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب)) على أنّ الظاهر يقتضي أنّ الفسق الّذي يتعقّب الإيمان بئس الاسم، وذلك لا يكون إلاّ كفراً وهو بئس الاسم[٦].

---

١. قارن ٩: ٣٤٩.

٢. قارن ٩: ٣٤٩، والآية في سورة النساء: ٢٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس رحمه الله.

ثم خاطبهم أيضاً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ﴾ وإنّما قال: ﴿كَثِيرًا﴾ لأنّ في جملته ما يجب العمل عليه ولا يجوز مخالفته[١].

وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فالظن الّذي يكون إثماً هو ما يفعله صاحبه[٢]، وله طريق إلى العلم بدلاً منه ممّا يعمل عليه، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله، فأمّا ما لا سبيل إلى دفعه بالعلم بدلاً منه فليس بإثم، فلذلك كان بعض الظن إثماً دون جميعه[٣].

والظن المحمود قد بيّنه الله ودلّ عليه في قوله: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ وقيل: يلزم للمؤمن أن يحسن الظن به، ولا يسيئ الظن في شيء يجد له تأويلاً جميلاً، وإن كان ظاهره القبيح، ومتى فعل ذلك كان ظنه قبيحاً[٤].

وقوله: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تتبعوا عثرات المؤمن، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقيل: يجب على المؤمن أن يتجنّب ذكر المستور عند الناس بقبيح، لأنّ عليهم أن يكذّبوه ويردوا عليه، وإن كان صادقاً عند الله، إلاّ أنّ الله ستره عند الناس[٥].

وإنّما دعا الله تعالى المؤمنين إلى حسن الظن في بعضهم ببعض، للإلفة والتناصر على الحقّ، ونهوا عن سوء الظن لما في ذلك من التقاطع والتدابر[٦].

---

١. قارن ٩: ٣٤٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٥٠.

٤. نفس المصدر، والآية في سورة النور: ١٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ معناه: انّ من دعي إلى أكل لحم أخيه فعافته نفسه، فكرهه من جهة طبعه، فإنّه ينبغي إذا دعي إلى غيبة أخيه، فعافته نفسه من جهة عقله، فإنّه ينبغي أن يكرهه، لأنّ داعي العقل أحق أن يتبع من داعي الطبع، لأنّ داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير، وكلاهما في صفة الناصح، وهذا من أحسن ما يدلّ به على ما ينبغي أن يتجنب[١].

ومعنى قوله: ﴿لا يَلِتْكُمْ﴾ لا ينقصكم من حقكم شيئاً، ومنه قوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما نقصناهم[٢].

فصل

قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية: ١٧.

المنّ القطع بإيصال النفع الموجب للحقّ، ومنه قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع، ومنه قولهم: المنة تكدر الصنيعة[٣].

وقيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة، ومن لا أحد إلاّ وهو محتاج إليه فليس في منّه تكدير النعمة، لأنّ الحاجة إليه لازمة، لامتناع أن يستغنى عنه بغيره[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٥١، والآية في سورة الطور: ٢١.

٣. قارن ٩: ٣٥٥، والآية في سورة التين: ٦.

٤. قارن ٩: ٣٥٥.

سورة ق

فصل

قوله: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ الآية: ٥.

أي: مختلط ملتبس، وأصله ارسال الشيء مع غيره في المرج، من قولهم: مرج الخيل الذكور مع الإناث، وهو مرج الخيل أي المسرح الّذي يمرج فيه، ومرج البحرين أرسلهما في مسرح يلتقيان ولا يختلطان[١].

وقوله: ﴿مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ أي مرسل الشعاع بانتشاره[٢]، قال الشاعر:

فجالت فالتمست به حشاها فخر كأنّه غصن مريج[٣]

أي: قد التبس بكثرة شعبه.

فصل

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ [وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ

---

١. قارن ٩: ٣٥٨.

٢. نفس المصدر.

٣. البيت لعمرو بن الداخل كما في ديوان الهذليين ٣: ٩٨، ونسب في شرح أشعار الهذليين للسكري ٢: ٦١٨ للداخل بن عمرو.

ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ * وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ * رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ ۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ الآيات: ٦ – ١١.

أي: ليس فيها فتوق يمكن السلوك فيها، وإنّما يسلكها الملائكة بأن يفتح لها أبواب السماء إذا عرجت إليها[١].

وقوله: ﴿رِزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ الرزق هو ما للحي الانتفاع به على وجه ليس لغيره منعه منه، والحرام ليس برزق، لأنّ الله تعالى منع منه بالنهي والحظر، وكلّ رزق فهو من الله تعالى، أما بأن يفعله أو يفعل سببه، لأنّه ممّا قد يريده، وقد يرزق الواحد منّا غيره، كما يقال: رزق السلطان الجند[٢].

فصل

قوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ [وَثَمُودُ * وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ * وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖ ۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ ۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ]﴾ الآيات: ١٢ – ١٥.

أصحاب الرس هم أصحاب البئر الذين قتلوا نبيّهم ورسوه فيها ـ في قول عكرمة ـ وقال الضحاك: الرسّ بئر قتل فيها صاحب ياسين[٣].

---

١. قارن ٩: ٣٥٩.

٢. قارن ٩: ٣٦٠.

٣. قارن ٩: ٣٦١.

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ هم قوم شعيب، والأيكة الغيظة[١].

وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ يقال: عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه، وأعييت إذا تعبت، وكلّ ذلك من التعب في الطلب[٢].

فصل

قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ [مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ]﴾ الآيات: ١٦ – ٢٠.

قال ابن عباس ومجاهد: الوريد عرق في الحلق، وهما وريدان في العنق عن يمين وشمال[٣].

وقال الحسن: الوريد الوتين، وهو عرق معلّق به القلب، فالله أقرب إلى المرء من قلبه[٤].

وقوله: ﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الموكّلين بالإنسان، عن يمينه وشماله ﴿قَعِيدٌ﴾ وإنّما وحّد ﴿قَعِيدٌ﴾ لأحد أمرين:

---

١. قارن ٩: ٣٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٦٣.

٤. نفس المصدر.

أحدهما: أنّه حذف من الأوّل لدلالة الثاني عليه، كما قال الشاعر:

نحـن بمـا عنـدنا وأنـت بمـا عندك راض والرأي مختلف[١]

الثاني: أن يكون القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للاثنين والجمع كالرسول لأنّه من صفات المبالغة وفيه معنى المصدر[٢].

فصل

قوله: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ [وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ] ﴾ الآيات: ٢٢ – ٢٥.

أي: أزلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الأمر، وإنّما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله فيهم من العلوم الضرورية، فيصير بمنزلة كشف الغطاء عمّا يرى، والمراد به جميع المكلّفين برهم وفاجرهم، لأنّ معارف الجميع ضرورية[٣].

وقوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ معناه أنّ عينيك حادة النظر، لا يدخل عليها شك ولا شبهة[٤].

وقيل: المعنى فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ، ليس يراد به بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالنحو أو بالفقه[٥].

---

١. البيت من الشواهد النحوية في باب الحذف والإضمار، وقد أورده ابن عقيل وغيره، كما هو من شواهد التفسير في مجاز القرآن ١: ٤٣٤، وتفسير القرطبي ٨: ١٢٨.

٢. قارن ٩: ٣٦٤.

٣. قارن ٩: ٣٦٦.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إنّما قيل ﴿أَلْقِيَا﴾ لأنّ المأمور بالقاء كلّ كافر في النار اثنان من الملائكة، وقيل: يجوز أن يكون على لفظ الاثنين والمأمور واحد، لأنّه بمنزلة القاء اثنين في شدته[١].

وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنّ العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول: قوما واقعدا، قال الحجاج: يا حرسي اضربا عنقه، وإنّما قالوا ذلك لأنّ أكثر ما يتكلّم به العرب ممن يأمره بلفظ الاثنين، نحو:

خليلي مرّا بي على أم جندب[٢]

وقوله: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)[٣].

وقال المبرد: هذا فعل مثنى للتأكيد كأنّه قال: ألق ألق.

فصل

قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الآية: ٣٠.

قال قوم وهو أظهر الأقوال: إنّ الكلام خرج مخرج المثل، أي انّ جهنم من سعتها وعظمتها، فيما يظهر من حالها، بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد، أي لم أمتلئ وبقي فيّ سعة كثيرة[٤].

ومثله قول الشاعر:

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٦٦ والشطر من بيت لامرئ القيس وتتمته: لنقضي حاجات الفؤاد المعذّب، وهو مطلع قصيدة في ديوانه جمع السندوبي.

٣. ما بين القوسين إكمال للنقص وهو شطر من أول معلّقة إمرئ القيس الشهيرة.

٤. قارن ٩: ٣٦٩.

امـتلأ الحـوض وقـال قطنـي مهـلاً رويـداً قـد مـلأت بطنـي[١]

والحوض لم يقل شيئاً، وإنّما أخبر عن امتلائها وأنّها لو كانت ممن ينطق لقالت: قطني مهلاً قد ملأت بطني، فكذلك القول في الآية.

وقال الحسن وعمرو بن عبيد وواصل: معنى ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ما من مزيد، وأنّه بمعنى لا مزيد، وأنكروا أن يكون طلباً للزيادة، لقوله: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

وقال بعضهم: هذا ليس بمنكر من وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك حكاية عن الحال التي هي قبل دخول جميع أهل النار فيها، وهي لم تمتلء بعد، وإن امتلأت فيما بعد. والآخر: أن يكون طلب الزيادة بشرط أن يزاد في سعتها[٣].

وقال قوم: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ بمنزلة قول النبيّ عليه السلام يوم فتح مكة وقد قيل له: ألا تنزل دارك، فقال: «وهل ترك لنا عقيل من ربع» لأنّه كان باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة، وإنّما أراد: لم يترك لنا داراً[٤].

فصل

قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ الآية: ٣١.

---

١. نفس المصدر، والرجز في العين والصحاح والتهذيب واللسان غير منسوب.

٢. قارن ٩: ٣٦٩، والآية في سورة هود: ١١٩.

٣. قارن ٩: ٣٦٩.

٤. قارن ٩: ٣٦٩، والحديث في المبسوط للسرخسي ١٠: ٥٢، ولسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الأثير (ربع).

الإزلاف التقريب إلى الخير، ومنه الزلفة والزلفى، ويقولون: ازدلف إليه أي اقترب، والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجمع، ومنه قول الراجز:

ناج طواه الأين ممّا وجفا طي الليالي زلفاً فزلفا[١]

فصل

قوله: ﴿ فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ * وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ]﴾ الآيات: ٣٦ – ٤٠.

أي فتحوا المسالك في البلاد لشدة بطشهم، فالتنقيب التفتيح لما يصلح للسلوك من نقص البنية، فالنقب نقض موضع بما يصلح للسلوك[٢].

وقال مجاهد: نقبوا في البلاد ضربوا في الأرض[٣]، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب[٤]

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي هل من محيد، وهو الذهاب في ناحية عن الأمر للهرب[٥].

---

١. قارن ٩: ٣٧٠، والرجز للعجاج وقد تكرّر في الكتاب ذكره.

٢. قارن ٩: ٣٧٢.

٣. قارن ٩: ٣٧٣.

٤. البيت لامرئ القيس كما في ديوانه: ٤٨ ط الاستقامة جمع حسن السندوبي.

٥. قارن ٩: ٣٧٣.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي من نصب وتعب في قول ابن عباس ومجاهد، واللغوب الإعياء، قال قتادة: أكذب الله بذلك اليهود قالوا: استراح الله يوم السبت، فهو عندهم يوم الراحة[١].

وقيل: إنّما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيّام مع قدرته على أن يخلقهما في وقت واحد، لأنّ في ذلك لطفاً للملائكة حين شاهدوه يظهر حالاً بعد حال[٢].

وقيل: لأنّ في الخبر بذلك لطفاً للمكلّفين فيما بعد، إذا تصوّروا أنّ ذلك يوجد شيئاً بعد شيء مع أدب النفس به في ترك الاستعجال، إذ جرى في فعل الله لضرب من التدبير[٣].

١. قارن ٩: ٣٧٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة الذاريات

فصل

قوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا [إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۞ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ]﴾ الآيات: ١ – ١٤.

روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس رحمة الله عليه ومجاهد: أنّ الذاريات الرياح[1].

وسأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر ((ما ﴿الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح، قال:)) ما ﴿الْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾؟ فقال: السحاب، فقال: ما ﴿الْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ قال: السفن، والمعنى: انّها تجري سهلاً، فقال: ما

---

١. قارن ٩: ٣٧٨.

﴿الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ ؟ فقال: الملائكة[١].

وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن، وهذا قسم من الله تعالى بهذه الأشياء[٢].

وقال قوم: التقدير القسم برب هذه الأشياء، لأنّه لا يجوز القسم إلاّ بالله، ((وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله أنّه لا يجوز لأحد أن يقسم إلاّ بالله))، والله تعالى يقسم بما شاء من خلقه[٣].

وقوله: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الزينة بالنجوم والصنعة والطرائق الحسنة، وقيل: الحبك النسج الحسن، يقال ثوب محبوك[٤].

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ معناه: إنّكم في الحقّ لفي قول مختلف لا يصحّ إلاّ واحد منه، وهو أمر النبيّ عليه السلام وما دعا إليه، وهو تكذيب فريق به وتصديق فريق، ودليل الحقّ ظاهر، وفائدته أنّ أحد الفريقين في هذا الاختلاف مبطل، لأنّه اختلاف يناقض، فاطلبوا الحقّ منه بدليله وإلاّ هلكتم[٥].

وقوله: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معناه: يصرف عنه من صرف، ومنه قوله:

---

١. قارن ٩: ٣٧٨، وما بين القوسين إكمال للنقص، والخبر في كتاب فتح الباري لابن حجر ٨: ٤٥٩ ط دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١: ١١٤ ط دار الكتب العلمية بيروت، وكنز العمال ٢: ٥٦٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت وغيرها .

٢. قارن ٩: ٣٧٩ .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ٩: ٣٨٠ .

٥. نفس المصدر .

﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي: لتصرفنا وتصدّنا[١].

وقوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ معناه لعن الكذّابون، ومثله ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ والخرّاص الكذّاب، وأصله الخرص وهو القطع، من قولهم خرص فلان كلاماً واخترصه إذا افتراه، لأنّه اقتطعه من غير أصل يصحّ[٢].

والخرص الحزر في العدد والكيل، ومنه خارص النخل وهو حازره، وجمعه خراص[٣].

تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن[٤] ولله المنة والحمد، وكتب محمّد بن إدريس مصلّياً حامداً[٥].

١. قارن ٩: ٣٨٠، والآية في سورة الأحقاف: ٢٢.

٢. قارن ٩: ٣٨١، والآية في سورة عبس: ١٧.

٣. قارن ٩: ٣٨١.

٤. جاء في النسخة الرضوية: وكان الفراغ منه في أواخر صفر من سنة أربعين وستمئة، كتبه لنفسه مهنا بن عليّ بن عطاف حامداً مصلّياً على محمّد ﷺ.

وجاء في نسخة دانشگاه تهران اهدائي مشكوة: تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن لله المنّة والحمد، وكتبه الفقير إلى الله عليّ بن كرم الله الجزائري حامداً مصلّياً.

وجاء في نسخة مكتبة ملك بطهران: تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن ولله المنّة والحمد، وكتب كرم الله ابن المرحوم السيد عطا الله الحسني حامداً مصلّياً.

٥. كذا جاء في آخر النسخة المطبوعة راجع ٢: ٢٨٠.

التعليق من الجزء التاسع من التبيان

يشتمل على بقية الذاريات والطور والنجم القمر والرحمن والواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقين التغابن الطلاق التحريم تبارك نون الحاقة سأل سائل نوح الجن المزمل المدثر القيامة هل أتى المفصل[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ [كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ]﴾ الآيات: ١٥ – ١٧.

قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم ﴿لَحَقٌّ مِثْلَ﴾ بالرفع على أنّه صفة للحقّ، الباقون بالنصب[٢].

ويحتمل نصبه وجهين:

أحدهما: قول الجرمي أن يكون نصباً على الحال، كأنّه قيل: حقّ مشبهاً لنطقكم في الثبوت[٣].

---

١. قارن ٩: ٣٨٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

الثاني: قال المازني: أنّ مِثْلَ مبني لأنّه مبهم أضيف إلى مبني، كما قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات أو قال[١]

فجعل مِثْلَ مع ما كالأمر الواحد، كما قال: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقوله: ﴿خمسة عشر﴾ فيكون على هذا ما زائدة، وأضاف مِثْلَ إلى ﴿أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فبناه على الفتح حين أضافه إلى المبني، ولو كان مضافاً إلى معرب لم يجز البناء، نحو مثل زيد، ﴿مِثْلَ﴾ يجوز أن يكون نصباً على المصدر، كأنّه قال: انّه لحق حقاً كنطقكم[٢].

قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي كان هجوعهم قليلاً، في قول الزهري وإبراهيم[٣].

وقال الحسن: ((ما)) صلة وتقديره كانوا قليلاً من الليل يهجعون[٤].

وقال قتادة: لا ينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها، كأنّه قال: هجوعهم قليلاً في جنب يقظتهم للصلاة والعبادة[٥].

وقال الضحاك: تقديره كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً ثم ابتدأ فقال:

١ـ البيت نسب في شرح شواهد الكشاف : ٤٩٠ ط البابي الحلبي لأبي قيس بن رفاعة يصف الإبل .

٢ـ قارن ٩: ٣٨٣ .

٣ـ قارن ٩: ٣٨٤ .

٤ـ نفس المصدر .

٥ـ نفس المصدر .

﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وتكون ﴿ما﴾ بمعنى النفي، والمعنى أنّهم كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك[١].

فصل

قوله: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ [وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ * وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ]﴾ الآيات: ١٩ – ٢٣.

فالسائل هو الّذي يسأل الناس، والمحروم هو المحارف، في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك[٢].

وقال قتادة والزهري: المحروم هو المتعفف الّذي لا يسأل[٣].

وقال إبراهيم: المحروم الّذي لا يسهم له في الغنيمة[٤].

وقيل: المحروم الممنوع الرزق بترك السؤال، أو ذهاب مال، أو سقوط سهم في الغنيمة، أو خراب ضيعة إذا صار فقيراً من هذه الجهة[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ معناه: في أنفسكم أفلا تتفكرون، بأن تجدوها مُصرّفة من حال إلى حال، ومتنقلة من صفة إلى أخرى، فكنتم نطفاً فصرتم أحياء، ثم كنتم أطفالاً فصرتم شباناً، ثم صرتم كهولاً، وكنتم ضعفاء فصرتم أقوياء، فهلا دلّكم ذلك على أنّ لها صانعاً صنعها، ومدبراً يصرّفها، على ما تقتضيه الحكمة، ويدبّرها بحسب ما توجبه المصلحة[١].

وقيل: المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنّه يرى الحقّ بعينه[٢].

وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ ينزله الله إليكم، بأن يرسل عليكم الغيث والمطر، فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ به من العذاب، ينزّله الله عليكم إذا استحققتموه[٣].

وقال الضحاك: وفي السماء رزقكم يعني المطر الّذي هو سبب كلّ خير، وهو من الرزق الّذي قسّمه الله وكتبه للعبد في السماء[٤].

فصل

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ

---

١. قارن ٩: ٣٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ]﴾ الآيات: ٢٤ – ٣٠.

قوله: ﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ أي أنتم قوم منكرون، والإنكار نفي صحّة الأمر، ونقيضه الإقرار، ومثله الاعتراف، وإنّما قال: ﴿مُنكَرُونَ﴾ لأنّه لم يكن يعرف مثلهم في أضيافه، ومعنى ﴿سَلَامًا﴾ أي أسلم سلاماً[١].

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي ذهب إليهم خفياً، فالروغ الذهاب في خفيً، والعجل مأخوذ من تعجيل أمره لقرب ميلاده، وهو واحد البقر الصغير، والايجاس الاحساس بالشيء خفياً[٢].

وقوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي يكون عالماً إذا كبر وبلغ[٣]، وقال مجاهد: المبشر به إسماعيل[٤] وقال غيره: هو إسحاق[٥].

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ يعني في صيحة، في قول ابن عباس

---

١. قارن ٩: ٣٨٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٨٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ومجاهد ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال ابن عباس: لطمت وجهها[١].

وقال السدي: ضربت وجهها تعجّباً، وهو قول مجاهد وسفيان. والصك الضرب باعتماد شديد[٢].

والعقيم الممتنعة من الولادة لكبر أو آفة، وقال الحسن: العقيم العاقر، والمُلك عقيم يقطع الولاء، لأنّ الابن يقتل أباه على الملك[٣].

والخطب هو الأمر الجليل، فكأنّه قال: قد جئتم لأمر جليل ومنه الخطبة، لأنّها كلام بليغ، لعقد أمر جليل، يستفتح بالتحميد والتمجيد[٤].

والمسوّمة المعلّمة بعلامات ظاهرة للحاسة، لأنّ السوم كالسيماء في أنّه يرجع إلى العلامة الظاهرة، والمجرم القاطع للواجب بالباطل[٥].

وقوله: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي أصلها الطين، لا حجارة البرد التي أصلها الماء، والمسوّمة المعلّمة بعلامة يعرفها بها الملائكة أنّها ممّا ينبغي أن يرمى بها الكفرة عند أمر الله تعالى بذلك[٦].

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ فالترك في الأصل ضد الفعل، ينافي الأخذ في محل القدرة عليه، والقدرة عليه قدرة على الأخذ، والمعنى في الآية أبقينا فيها آية[٧].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر . وفي نسخة دانشگاه مشكوة: الأولاد بدل الولاء .

٤. قارن ٩: ٣٨٩ .

٥. قارن ٩: ٣٩٠ .

٦. نفس المصدر .

٧. قارن ٩: ٣٩١ .

فصل

قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ * فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ [وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ * فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ * وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ]﴾ الآيات:٣٨ – ٤١.

معنى ﴿بِسُلۡطَانٖ مُّبِينٖ﴾ أي بحجة ظاهرة[١].

وقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: معناه بقوّته، والركن الجانب الّذي يعتمد عليه، والمعنى إنّ فرعون أعرض عن حجة موسى ولم ينظر فيها بقوّته في نفسه[٢].

وقوله: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقيح شجر، أو تذرية طعام، أو نفع حيوان[٣].

فصل

قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ الآية: ٥٤.

أي: أعرض عنهم يا محمّد في قول مجاهد ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ في كفرهم وجحودهم، بل اللائمة والذم عليهم، من حيث لا يقبلون ما تدعوهم

---

١. قارن ٩: ٣٩٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

إليه، وليس المراد أعرض عن تذكيرهم ووعظهم، وإنّما المراد أعرض عن مكافأتهم ومقابلتهم ومباراتهم ((ومناداتهم)) وما أنت في ذلك بملوم[١].

فصل

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ [إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ]﴾ الآيات: ٥٦ – ٦٠.

من خفض ﴿الْمَتِينُ﴾ وهو يحيى بن وثاب[٢] جعله صفة للقوة، وذكّره

---

١. قارن ٩: ٣٩٧.

٢. يحيى بن وثاب قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢٧ – ٣٢٩ ط دار الفكر: هو الإمام القدوة المقرئ الفقيه، شيخ القراء الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أحد الأئمة الأعلام، قد ذكرته في طبقات القراء.

قال أبو نعيم الحافظ: اسم أبيه وثّاب بزدويه بن ماهويه، سباه مجاشع بن مسعود السُلمي من قاشان إذ افتتحها، وكان وثّاب من أبناء أشرافها ثم وقع في سهم ابن عباس، فسمّاه وثّاباً، وتزوّج فولد له يحيى، ثم استأذن ابن عباس في الرجوع إلى قاشان، فأذن له، فدخل هو وابنه يحيى الكوفة، فقال يحيى: يا أبة إنّي آثرت العلم على المال، فأذن له في المقام، فأقبل على القرآن، وتلا على أصحاب عليّ وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهل زمانه، فأورث وثاب عقبه، فحازوا رئاسة الدارين، لأنّ يحيى فاق نظراءه في القرآن والآثار، وفاق خالد بن وثاب وولداه: أزهر ومخلد في رئاسة الدنيا والولايات... .

حدث يحيى عن ابن عباس وابن عمر... قرأ عليه الأعمش وطلحة بن مصرّف... مات يحيى سنة ثلاث ومائة.

لأنّه ذهب إلى الحبل، أو الشيء المفتول يريد القوة، قال الشاعر:

لكلّ دهر قد لبست أثوباً من ريطة واليمنة المعصبا[١]

فذكّر لأنّ اليمنة ضرب من الثياب وصنف منها.

والذَنوب النصيب، وأصله الدلو الممتلئ ماءاً، كما قال الراجز:

لنا ذَنوب ولكم ذَنوب فإن أبيتم فلنا القليب[٢]

وإنّما قيل للدلو ذَنوب، لأنّها في طرف الحبل كأنها في الذنب[٣].

١ـ البيت لم ينسب في تفسير الطبري ٢٧: ١٨، والقرطبي ١٧: ٥٧، واللسان (ثوب).

٢ـ قارن ٩: ٣٩٩، والرجز لم ينسب في التفاسير التي ورد فيها كتفسير القرطبي وزاد المسير لابن الجوزي والبحر المحيط وغيرها.

٣ـ قارن ٩: ٣٩٩.

سورة الطور

فصل

قوله: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ * وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ * وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ الآيات: ١ – ٦.

قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قيل: هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة، بما يكون منها فيه من العبادة، روي ذلك عن عليّ عليه السلام وابن عباس ومجاهد[١]، وقال الحسن: البيت المعمور البيت الحرام[٢].

قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المسجور المملوء، ومنه سجرت التنور إذا ملأته ناراً وعين سجراء ممتلئة فيها حمرة، كأنّها احمرّت ممّا هو لها كسجار التنور[٣]، قال لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوز قُلاّمها[٤]

---

١. قارن ٩: ٤٠٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٠٣، والبيت في ديوان لبيد: ٣٠٧ ط الكويت. وله رواية مختلفة في فتح الباري ٦: ٣٤٤ ط دار المعرفة بيروت.

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ الآيات: ١٧ – ١٨.

معنى ﴿فَٰكِهِينَ﴾ أي متنعّمين بما أعطاهم ربّهم من أنواع النعيم، وقال الزجاج: معنى ﴿فَٰكِهِينَ﴾ معجبين، وقال الفراء مثل ذلك[١].

فصل

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ الآية: ٢١.

قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: ألحقوا الأولاد بالآباء إذا آمنوا من أجل إيمان الآباء[٢].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنّ البالغين ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم، والأوّل هو الوجه[٣].

وإنّما وجب بالإيمان إلحاق الذرية بهم، مع أنّه قد يكون ليس له ذرية، لأنّه إنّما يستحق ذلك السرور على ما يصحّ ويجوز، مع أنّه إذا انتهى الذرية على ما أمر الله به استحق الجزاء فيه، فإن أبطلته الذرية عند البلوغ بسوء عمل وُفّي

---

١. قارن ٩: ٤٠٦.

٢. قارن ٩: ٤٠٨.

٣. نفس المصدر.

سروره في أمر آخر، كما أنّ أهل الجنة من سرورهم ما ينزل بأعدائهم في النار، فلو عفي عنهم لُوفّوا سرورهم بأمر آخر[١].

وقوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ معناه ما نقصناهم، قال الشاعر:

أبلغ بني ثعل عنّي مغلغلة جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذباً[٢]

فصل

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ الآية: ٢٦.

الأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به، وكلّ ما كان أولى به فهو أحق بأنّه أهله[٣]، فمن ذلك أهل الجنة وأهل النار، ومن ذلك أهل الجود والكرم، وفلان من أهل القرآن، ومن أهل العلم، ومن أهل الكوفة، ومن هذا قيل لزوجة الرجل أهله، لأنّها مختصّة به من جهة هي أولى به من غيره[٤].

فصل

قوله: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ [أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤١٠.

٤. نفس المصدر.

مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ * أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ الآيات: ٣٥ – ٤٠.

معناه: أخلقوا من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لنفوسهم، فلا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عمّا نهاهم عنه، وقيل: المعنى (أخلقوا من غير شيء) معناه أخلقوا لغير شيء، أي أخلقوا باطلاً لا لغرض[١].

وقوله: ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ فالمغرم إلزام الغرم في المال على غير طريق الابذال، والمغرم الملزم إنفاق المال من غير إبذال، وأصله المطالبة بإلحاح، فمنه الغريم لأنّه الطالب بالدين بإلحاح، ومنه ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملحاً دائماً[٢].

فصل

قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ الآية: ٤٦.

الفرق بين الغنى بالشيء والغنى عنه: أنّ ما أغنى عنه يوجب أنّ وجوده وعدمه سواء في أنّ الموصوف غني، وليس كذلك الغنى به، لأنّه يبطل أن يكون الموصوف غنياً، والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج، وليس بهذه الصفة إلاّ الله تعالى[٣].

قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منّا ندركك، ولا يخفى علينا شيء من أمرك، نحفظك لئلا يصلوا إلى شيء من مكروهك[٤].

---

١. قارن ٩: ٤١٤.

٢. قارن ٩: ٤١٦، والآية في سورة الفرقان: ٦٥.

٣. قارن ٩: ٤١٨.

٤. نفس المصدر.

سورة النجم

فصل

قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ [عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

والنجم قسم من الله تعالى، وقد بيّنا أنّ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس للعباد أن يحلفوا إلاّ به[١].

وقال قوم: معناه ورب النجم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه[٢].

وقيل في معنى النجم ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: قال مجاهد: المراد به الثريا إذا سقطت مع الفجر[٣].

الثاني: قال الحسن: معناه جماعة النجوم ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا سقط يوم

---

١. قارن ٩: ٤٢٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

القيامة، كقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾[١] وقيل: النجم الجمع على طريق الجنس، كما قال الراعي:

وباتت تعدّ النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها[٢]

وقوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ معناه استولى بعظم القوة، فكأنّه استوت له الأمور بالقوة على التدبير، ومنه قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي استولى عليه بالسلطان والقهر[٣].

قال الزجاج: معنى ﴿دَنَا﴾ وتدلّى واحد، لأنّ المعنى أنّه قرب، وتدلّى زاد في القرب، كما يقال: دنا فلان وقرب، والمعنى ثم دنا جبرئيل إلى محمّد ﷺ فتدلّى إليه من السماء[٤].

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ معناه كان بينه وبين جبرئيل مقدار قوسين من القسي العربية، أو أقرب أي بل أقرب منه، وقيل: معنى ﴿أَوْ﴾ في الآية معنى الواو، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ومعناه ويزيدون[٥].

وقال الحسن: عرج بروح محمّد ﷺ إلى السماء وجسده في الأرض[٦].

وقال أكثر المفسّرين وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور في أخبارهم: انّ الله تعالى صعد بجسمه حياً سليماً حتى رأى ملكوت السماوات،

---

١. الانفطار: ٢.

٢. قارن ٩: ٤٢١، والبيت للراعي وهو من شواهد التفسير في القرطبي ١٧: ٨٢، والمحرر الوجيز لابن عطية ٥: ١٩٥، والثعلبي ٩: ١٣٤ وغيرها.

٣. قارن ٩: ٤٢٢، والآية في سورة الأعراف: ٥٤.

٤. قارن ٩: ٤٢٣.

٥. قارن ٩: ٤٢٣، والآية في سورة الصافات: ١٤٧.

٦. قارن ٩: ٤٢٤.

وما ذكره الله بعيني رأسه، ولم يكن ذلك في المنام، بل كان في اليقظة، وقد بيّناه في سورة بني إسرائيل[١].

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ [مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ]﴾ الآيات ١٣ – ٢٠.

قيل: انّ سدرة المنتهى في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء، وقيل: لأنّه ينتهي إليها أرواح الشهداء[٢].

وقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ معناه: يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى[٣].

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ أسماء أصنام كانت العرب تعبدها[٤].

والعزّى كانت تعبدها غطفان، وهي شجرة سمرة عظيمة[٥]، واللات صنم كانت ثقيف تعبده[٦]، ومناة كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها[٧].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٢٦.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٢٧.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ الآيات: ٢١ – ٢٢.

هذا الكلام على جهة الإنكار، فقد أخطأتم في ذلك من وجهين:

أحدهما: أنّكم أضفتم إليه ما يستحيل عليه ولا يليق به، فهو قسم فاسد غير جائز[١].

الثاني: أنّكم أضفتم إليه ما لا ترضونه لأنفسكم وكيف ترضونه لله تعالى[٢]، وقيل: إنّما فضل الذكر على الأنثى، لأنّ الذكر يصلح لما لا تصلح له الأنثى، وينتفع به فيما لا ينتفع به الأنثى، ولهذا لم يبعث الله نبياً من الإناث[٣].

وقوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي تلك قسمة فاسدة غير جائزة، بأن تجعلوا لأنفسكم الأفضل ولربّكم الأدون، ولو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الأدون على الأفضل، كما قال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فهذا على تقدير الجواز لا على صحّة الجواز، والضيزى الجائرة الفاسدة[٤].

فصل

قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ [إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ * وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا

---

١. قارن ٩: ٤٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٢٨.

٤. قارن ٩: ٤٢٨، والآية في سورة الزمر: ٤.

ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا * فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ الآيات: ٢٦ – ٣٠.

لا ينافي ذلك ما نذهب إليه من أنّ النبيّ عليه السلام والأئمّة والمؤمنين يشفعون في كثير من أصحاب المعاصي، فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لأنّ هؤلاء عندنا لا يشفعون إلاّ بإذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن يشفعوا فيه، فالزجر واقع موقعه[١].

ثم أخبر تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أي لا يصدقون بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى﴾ قال الحسن: كانوا يسمّون الملائكة بنات الله[٢].

ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما لهم بما يقولونه ويسمّونه من علم، أي ليسوا عالمين بذلك ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾ أي ليس يتبعون في قولهم ذلك إلاّ الظن الذي يجوز أن يخطئ ويصيب، وليس معهم شيء من العلم[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ معناه انّ الظن لا يغني من العلم، لأنّه لابدّ من علم بحسن الفعل حتى يجوز أن يفعل[٤]، وإن كان الظن في بعض الأشياء علامة للحسن، فما أغنى عن العلم[٥].

---

١. قارن ٩: ٤٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٣١.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۞ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ [إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۞ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۞ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۞ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ]﴾ الآيات ٣١ – ٣٥.

﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ أي عظائم الذنوب ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ والمعاصي عندنا كلّها كبائر، غير أنّ بعضها أكبر من بعض، فقد تكون المعصية كبيرة بالأضافة إلى ما دونها وتكون صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها[١].

والفواحش جمع فاحشة، وهي أقبح الذنوب وأفحشها، والإساءة مضرة يستحق بها الذم، ولا يستحق الذم إلاّ مسيئ، وذمّ من ليس بمسيئ في القبح كذمّ المحسن في القبح، والإحسان فعل ما هو نفع في نفسه، أو هو سبب النفع يستحق به الحمد، ولا يستحق الحمد إلاّ محسن[٢].

والكبير من الذنوب هو الذي يعظم به الزجر إلى حد لا يكفره إلاّ التوبة منه عند من لم يجز إسقاط العقاب تفضّلاً، والصغير هو الذي يجب فيه الزجر إلى حدّ يصحّ تكفيره من غير توبة عند من قال بالصغائر[٣].

---

١. قارن ٩: ٤٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿إلا اللَّمَمَ﴾ قال قوم: هو الهمّ بالمعصية من جهة مقاربتها وحديث النفس بها من غير مواقعتها ولا عزم عليها، لأنّ العزم على الكبيرة كبير، ولكن يقرب من مكانها لشهوته لها من غير عزم عليها[١].

وقيل: اللمم مقاربة الشيء من غير دخول فيه، يقال: ألمّ بالشيء يلمّ إلماماً إذا قاربه، وقيل: اللمم الصغير من الذنوب، كما قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ذهب إليه ابن عباس وابن مسعود.

وقيل: اللمم إتيان الشيء من غير إقامة عليه[٢].

وقوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ قال مجاهد: نزلت في الوليد بن المغيرة[٣]، وقيل: أعطى قليلاً وأكدى، هو المنافق الذي يعطي قليلاً في المعونة على الجهاد ثم يمنع[٤].

وقال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿وَأَكْدَى﴾ قطع العطاء[٥]، كما يقطع البئر الماء، واشتقاق أكدى من كدية الركية، وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ

---

١. قارن ٩: ٤٣٢.

٢. قارن ٩: ٤٣٣، والآية في سورة النساء: ٣١.

٣. قارن ٩: ٤٣٣. والوليد بن المغيرة هو والد خالد بن الوليد، كان من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقتها، قال ابن الأثير في الكامل ٢: ٢٦: وهو الّذي جمع قريشاً وقال: أيها الناس يأتونكم أيّام الحج فيسألونكم عن محمّد فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحداً ممّا يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر لأنّه يفرّق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. الأعلام ٩: ١٤٤ ط / ٣.

٤. قارن ٩: ٤٣٤.

٥. نفس المصدر.

الحافر إليها يئس من الماء فيقول: بلغنا كديتها أي صلابتها التي تويئس من الماء، يقال: أكدى يكدي اكداءاً إذا منع الخير[١].

وقيل: الكدية صخرة يبلغ إليها حافر البئر فلا يمكنه الحفر[٢].

فصل

قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ [ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ]﴾ الآيات ٣٦ – ٤٦.

قوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي وفّى بما يجب عليه لله ﷻ، واستحق أن يمدح بهذا المدح[٣].

وقوله: ﴿أَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾ معناه ليس له من الجزاء إلاّ جزاء ما عمل دون ما عمله غيره، ومتى دعا إلى الإيمان من أجاب إليه، فهو محمود عليه على طريق التبع، وكأنّه من أجل عمله صار له الحمد على هذا، ولو لم يعمل شيئاً ما استحق جزاءاً ولا ثواباً ولا عقاباً[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٣٥.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ معناه: أنّ ما يفعله الإنسان ويسعى فيه لابدّ أن يرى فيما بعد، بمعنى أنّه يجازى عليه إمّا من ثواب، أو عقاب[١].

وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ معناه: وأنّ إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمور[٢].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ قيل: أضحك بأن فعل سبب ذلك من السرور والحزن، كما يقال: أضحكني فلان وأبكاني، إذا سبّب ذلك بما يقع عنده ضحكي وبكائي، فعلى هذا الضحك والبكاء من فعل الإنسان[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾[٤] لو لم يكن من فعلنا لما حسن ذلك، وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ﴾[٥] وقال: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ فنسب الضحك إليهم[٦].

فصل

قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ [وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ * وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ]﴾ الآيات: ٤٧ – ٥٥.

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٣٦.

٣. نفس المصدر.

٤. التوبة: ٨٢.

٥. النجم: ٥٩ – ٦٠.

٦. قارن ٩: ٤٣٦، والآية في سورة المطففين: ٣٤.

معناه: أنّه أغنى بالمال وأقنى بأصول الأموال، وقال مجاهد: أقنى أي أخدم.

وقال الزجاج: معناه أغنى بعد الفقر، وأقنى بالمال الّذي يقتنى[١].

وقيل: معنى أقنى أنّه جعل له أصل مال، وهو القنية التي جعلها الله للعبد، وأصل أقنى الإقتناء، وهو جعل الشيء للنفس على اللزوم[٢].

وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ يعني: المنقلبة، وهي التي صار أعلاها أسفلها، وأسفلها أعلاها، ائتفكت بهم يأتفك ائتفاكاً، ومنه الإفك الكذب، لأنّه قلب المعنى عن وجهه[٣].

ومعنى ﴿أَهْوَى﴾ أنزل بها الهواء[٤].

والسامد اللاهي، يقال: دع عنك سمودك أي أمرك، فكأنّه المستمر في اللهو، يقال: سمد يسمد سموداً فهو سامد، قال الشاعر:

قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا[٥]

---

١. قارن ٩: ٤٣٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٣٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٤٤١، والبيت لهزيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد كما في أجوبة مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس رضي الله عنه.

سورة القمر

فصل

قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ [وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ]﴾ الآيات:١ – ٨.

معنى ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يشبه بعضه بعضاً، وقيل: سحر مستمر من الأرض إلى السماء[١]، وقال مجاهد وقتادة: معناه ذاهب مضمحل[٢]، وقال قوم: معناه شديد من إمرار الحبل وهو شدة فتله[٣].

---

١. قارن ٩: ٤٤٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾ قال الفراء: مهطعين إلى الداعي ناظرين قبل الداعي[١].

وقال أبو عبيدة: مسرعين[٢]، وقال قتادة: معناه عامدين ((بالاهطاع))[٣] والاهطاع الاسراع في المشي، يقال: أهطع يهطع اهطاعاً فهو مهطع[٤].

فصل

قوله: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ الآيات: ١١ – ١٤.

إنّما قال: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ والمراد به ماء السماء وماء الأرض، ولم يثنّ لأنّه اسم جنس يقع على القليل والكثير ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه هلاك القوم في اللوح المحفوظ[٥].

وقيل: معناه انّه كان قدر ماء السماء مثل قدر ماء الأرض[٦].

وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ وهي المسامير التي تشدّ بها السفينة، في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد، واحدها دسار[٧].

---

١. قارن ٩: ٤٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٤٦، وما بين القوسين إكمال للنقص من المصدر.

٥. قارن ٩: ٤٤٨.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ الآيات: ٢٧ – ٢٨.

بيّن تعالى أنّه أرسل الناقة وبعثها، بأن أنشأها معجزة لصالح، لأنّه أخرجها من الجبل الأصم يتبعها ولدها[١].

ومعنى ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء لهم ومحنة، لأنّه تعالى نهاهم أن ينالوها بسوءٍ، مع تضييق الشرب عليهم، بأنّ لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر[٢].

والشرب بكسر الشين الحظ من الماء، وبضم الشين فعل الشارب[٣].

ثم حكى تعالى ما قال لصالح، فإنّه تعالى قال له: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ أي اصبر على أذاهم[٤].

وقوله: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي كلّ قسم يحضره مَن هو له[٥].

قال الضحاك: هشيم المحتظر هو الحظيرة تتخذ للغنم تيبس فتصير رميماً[٦].

---

١. قارن ٩: ٤٥٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٥٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٤٥٥.

وقيل: الهشيم حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيه[١].

فصل

قوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ الآية: ٤٣.

يعني: كفّار قريش وأهل مكة خير من أولئكم الكفّار، والمعنى أنّهم ليسوا بخير من كفّار قوم نوح وعاد وثمود[٢].

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه ألكم براءة في الكتب المنزلة من عذاب الله[٣].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٥٩.

٣. نفس المصدر.

سورة الرحمن

فصل

قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۞ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ۞ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ [وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۞ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۞ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۞ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ]﴾ الآيات:١ – ١٣.

معنى حسبان مصدر حسبته أحسبه حسباناً، وقيل: هو جمع حساب كشهاب وشهبان[١].

وقوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ فالنجم من النبات ما طلع[٢].

يقال: نجم ينجم إذا طلع، ونجم القرن الناب إذا طلع، وبه سمّي نجم السماء، وهو الكوكب لطلوعه[٣].

---

١. قارن ٩: ٤٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

والنجم هاهنا النبت الطالع من الأرض، وهو النبات الذي ليس له ساق، في قول ابن عباس وقتادة وسعيد وسفيان[١].

والشجر عند أهل اللغة النبات الّذي له ساق وورق وأغصان يبقى ساقه على دور الحول من الزمان، وأكثره ممّا له ثمار يجتنى[٢].

قوله: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾ قال ابن عباس: الأنام كلّ شيء فيه روح[٣]، وقال الحسن: الأنام الإنس والجن[٤]، وقال قتادة: الأنام الخلق[٥].

وقوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قال ابن عباس وقتادة وابن زيد: العصف التبن، لأنّ الرياح تعصفه أي تطيّره بشدّة هبوبها، والحب حب الحنطة والشعير ونحوهما[٦].

والريحان الرزق في قول ابن عباس والضحاك ومجاهد[٧].

وقال الحسن وابن زيد: الريحان هو الذي يشم، والعرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه[٨].

---

١. نفس المصدر.
٢. نفس المصدر.
٣. قارن ٩: ٤٦٦.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.
٧. قارن ٩: ٤٦٧.
٨. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ]﴾ الآيات: ١٤ – ٢١.

الصلصال: الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، في قول قتادة ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ أي مثل الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفاً[١].

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ فالمارج هو المختلط الأجزاء، قال الحسن: إبليس أبو الجن، وهو مخلوق من لهب النار، كما أنّ آدم أبو البشر مخلوق من طين[٢].

إنّما كررت هذه الآية في هذه السورة يعني قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لأنّه تقدّم تقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة، كأنّه قال: بأيّ هذه الآلاء تكذّبان[٣].

قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ البرزخ الحاجز بين الشيئين، ومنه البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة[٤].

---

١. قارن ٩: ٤٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٦٩.

وقال قتادة: البرزخ الحاجز أن يبغي الملح على العذب أو العذب على الملح، وقال مجاهد: معنى ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ لا يختلطان[١].

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فاللؤلؤ معروف، ويقع على الصغار والكبار، والمرجان ضرب من الجوهر، كالقضبان يخرج من البحر[٢].

وقال ابن عباس: اللؤلؤ كبار الدر، والمرجان صغاره، وبه قال الحسن وقتادة والضحاك[٣].

وسمّي المرجان بذلك لأنّه حب من الجوهر، كبير مختلط من مرجت أي خلطت[٤].

وإنّما جاز أن يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ وهو يخرج من الملح دون العذب، لأنّ العذب والملح يلتقيان، فيكون العذب كاللقاح للملح، كما قال: يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنّما تلده الأنثى[٥].

وقال قوم: لا يخرج اللؤلؤ إلاّ من الموضع الذي يلتقي فيه العذب والملح، وذلك معروف عند الغواصين[٦].

وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ إخبار من الله تعالى أنّ جميع من على وجه

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٧٠.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٧١.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

الأرض من العقلاء يفنون، ويخرجون من الوجود إلى العدم[١].

وإذا ثبت ذلك، وكانت الجواهر لا تفنى إلاّ بفناء يضادها على الوجود، فإذا وجد الفناء انتفت الجواهر كلّها، لأنّه لا اختصاص لها بجوهر دون جوهر، فالآية دالّة على عدم جميع الأجسام على ما قلناه، ولأنّه إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت عدم غيرهم[٢]، لأنّ أحداً من الأمة لا يفرق بين الموضعين[٣].

وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ معناه: ويبقى ربك الظاهر بأدلّته، كظهور الإنسان بوجهه، فالوجه يذكر على وجهين:

أحدهما: بعض الشيء كوجه الإنسان.

الثاني: بمعنى الشيء المعظم في الذكر، كقولهم: هذا وجه الرأي، وهذا وجه التدبير، أي هو التدبير وهو الرأي[٤].

ومعنى قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ انّ كلّ يوم الله تعالى في شأن، ويقال: لا يشغله شأن عن شأن، والمعنى أنّ كلّ يوم الله تعالى في شأن، من إحياء قوم وإماتة آخرين، وعافية قوم ومرض غيرهم، ونجاة وإهلاك ورزق وحرمان، وغير ذلك من الأمور والنعمة[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٧٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ]﴾ الآيات: ٣١ – ٣٦.

معنى قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ من أبلغ الوعيد وأعظم التهديد، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي، ويأتيكم المتوعد به، فشبه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في غيره[١].

الثاني: انّا سنعمل عمل من يتفرّغ للعمل، لتجويده من غير تضجيع فيه، كما يقول القائل: سأتفرّغ لك، والله تعالى لا يشغله شيء عن شيء، لأنّه من صفات الأجسام، وهو من أبلغ الوعيد، لأنّه يقتضي أنّه يجازي بصغير ذنبه وكبيره إذا كان مستحقاً لسخط الله[٢].

وقوله: ﴿أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ خطاب للجن والإنس، وإنّما سمّيا ثقلين لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما، فهما أثقل وزناً لعظم الشأن

---

١. قارن ٩: ٤٧٣.

٢. نفس المصدر.

بالعقل والتمكين بالتكليف لأداء الواجب في الحقوق[١].

ومنه قول النبيّ عليه السلام: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»[٢] يريد عظيمي المقدار، فلذلك وصفهما بأنّهما ثقلان.

وقوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ فالشواظ لهب النار، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة[٣]، ومنه قول رؤبة:

ان لهـــم مـــن وقعنـــا إيقاظـــاً ونـــار حـــرب تســـعر الشـــواظا[٤]

والنحاس: الصفر المذاب للعذاب، في قول ابن عباس ومجاهد، وفي رواية أخرى عن ابن عباس وسعيد: النحاس الدخان. قال النابغة الجعدي:

يضـــيء كضـــوء ســـراج الســـليط لـــم يجعـــل الله فيـــه نحاســـاً[٥]

أي: دخاناً.

---

١. قارن ٩: ٤٧٣.

٢ـ حديث تواتر نقله عند الفريقين وقد رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله جمع من الصحابة وأنّه قال في مواطن عديدة أتينا على ذكره وذكرهم وذكرها في كتابنا عليّ إمام البررة ١: ٢٩٢ – ٣١٨ فراجع.

٣. قارن ٩: ٤٧٤.

٤ـ قارن ٩: ٤٧٤ والبيت لا يوجد في ديوان رؤبة بتحقيق وليم بن الورد البروسي غير أنّه ورد في ص١٧٧ في الأبيات المفردة برقم ٥٥ قوله:

لمـــا رأينـــا مـــنهم مغتاظـــا تعـــرف منـــه اللـــؤم والفظاظـــا

يجد بـه طعنـا لـم يكـن إلماظـا

وهذا يناسب البيت المذكور في معناه فلعله منه.

٥. البيت في ديوان النابغة الجعدي: ٧٥.

فصل

قوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ [فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ]﴾ الآيات: ٣٧ – ٤١.

قال الفراء: الدهان الأديم الأحمر، وقال الزجاج: يتلوّن كما يتلوّن الدهان المختلفة، أي فكان كلون فرس ورده، وهو الكميت، فيتلوّن في الشتاء لونه بخلاف لونه في الصيف، وكذلك في الفصول سبحان خالقها[١].

والوردة واحدة الورد، وإنّما تصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان، وهو جمع دهن[٢].

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ معناه: لا يسأل في ذلك الموطن لما يلحقه من الدهش والذهول الذي تحار له العقول، وإن وقعت المسألة في وقت غيره، بدلالة قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٣].

وقال قتادة: تكون المسألة قبل، ثم يختم على الأفواه عند الجحد فتنطق الجوارح[٤].

---

١. قارن ٩: ٤٧٦.

٢. نفس المصدر.

٣. الصافات: ٢٤.

٤. قارن ٩: ٤٧٦.

وقيل: إنّ معناه أنّ يومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان، ليعرف المذنب من المؤمن المخلص، لأنّ الله تعالى جعل عليهم علامة بسواد الوجوه وقبح الخلق، ولم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة للتوبيخ والتقريع، لأنّه تعالى قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[١].

وقيل: يجوز أن يكون المراد لا يسأل أحد من إنس ولا جان عن ذنب غيره، وإنّما قيل هو سؤال توبيخ عن فعل نفسه[٢].

وقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ معناه: انّ الله تعالى يجعل للكفار والعصاة علامات تعرفهم بها الملائكة، فالسيماء العلامة، ومنه قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ وهو مشتق من السوم، وهو رفع الثمن عن مقداره[٣].

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ فالناصية شعر مقدّم الرأس، ومنه ناصية الفرس وأصله الاتصال، من قول الشاعر:

قـــي يناصـــيها بـــلاد قـــي[٤]

فصل

قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٧٧.

٣. قارن ٩: ٤٧٧، والآية في سورة الفتح: ٢٩.

٤. قارن ٩: ٤٧٧، والرجز ورد في اللسان (قوا) غير منسوب.

* فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآيات: ٤٦ – ٥٥.

المعنى: لمن خاف المقام الّذي يقفه فيه ربه للمسألة عمّا عمل فيما يجب عليه، المقام: الموضع الذي يصلح للقيام فيه[١]، وبضم الميم الموضع الذي يصلح للإقامة فيه[٢].

والإستبرق الغليظ من الديباج في قول عكرمة، وقيل: ثمارها دانية لا يرد يده عنها بُعدٌ، ولا شوك في قول قتادة، وقيل: الظواهر من سندس وهو الديباج الرقيق. ((والبطاين من استبرق وهو الديباج الغليظ))[٣].

فصل

قوله: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الآيات: ٥٦ – ٥٨.

القاصر المانع من ذهاب الشيء إلى جهة من الجهات، والحور قاصرات الطرف عن غير أزواجهنّ[٤].

---

١. قارن ٩: ٤٧٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٨٠، وما بين القوسين من المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٨١.

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد وابن زيد وعكرمة: لم يمسسهنّ بجماع، من قولهم: ((ما طمث هذا البعير حبل)) أي ما مسّه حبل.

الثاني: قال ابن عباس: لم يدمهنّ نكاح من قولهم: ((امرأة طامث)) أي حائض كأنّه قال: هنّ أبكار[1].

فصل

قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ]﴾ الآيات: ٦٦ – ٧٦.

وصفهما بأنّهما نضّاختان فوّارتان بالماء، وقيل: نضّاختان بكلّ خير.

والنضخ ـ بالخاء ـ أكثر من النضح ـ بالحاء ـ لأنّ النضح بالحاء غير المعجمة الرش، وبالخاء كالبرك والفوارة التي ترمى بالماء صعداً[2].

وإنّما أفرد النخل والرمان من الفاكهة وإن كانا من جملتها، تنبيهاً على

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٨٣.

فضلهما وجلالة النعمة بهما، كما أفرد ذكر جبرئيل وميكائيل في قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[١].

وقوله: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ﴾ الحور البيض الحسان، وقوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ أي قصرن على أزواجهنّ فلا يردن بدلاً منهم، وقال أبو عبيدة: مقصورات أي مخدّرات[٢].

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الرفارف جمع رفرف وهي المجالس، في قول ابن عباس وقتادة والضحاك، وقيل: الرفرف هو فصول المجالس للفرش، وقال الحسن: هي المرافق[٣].

والعبقري الزرابي، في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة، وهي الطنافس[٤] وقال مجاهد: هو الديباج، وقيل: عبقر اسم بلد ينسج به ضرب من الوشي[٥].

١. قارن ٩: ٤٨٤، والآية في سورة البقرة: ٩٨.

٢. قارن ٩: ٤٨٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٨٦.

٥. نفس المصدر.

سورة الواقعة

فصل

قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ [إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ]﴾ الآيات:١- ١٣.

قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ معناه ليس لها مردودة ولا رد قاله الفراء، وقيل: ليس لوقعتها قضية كاذبة فيها، لإخبار الله تعالى بها ودلالة العقل عليها[١].

ومعنى ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قيل: تخفض قوماً بالمعصية، وترفع قوماً بالطاعة[٢]، وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ معناه فتتت فتاً، في قول ابن عباس ومجاهد، وهو كما يُبّس السويق، أي: يلت، قال لص من غطفان:

لا تخبزن خبزاً وبسا بساً ... ملسا بذود الحلسي ملساً[٣]

---

١. قارن ٩: ٤٨٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٨٩، والبيت في تفسير الطبري وجاء فيه: عن لص من غطفان أراد أن يخبز، فخاف أن يُعجل عن الخبز، فبلّ الدقيق وأكله عجينا وقال: البيت، وفي تفسير الثعلبي ٩: ٢٠٠ نحو ذلك وفيه عجز البيت ولا تطيلا بمناخ حبسا، وهو كذلك في معجم مقاييس اللغة (خبز)، وفي لسان العرب (خبز) اختلاف في رواية البيت.

والهباء غبار كالشعاع في الرقة، كثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة[١].

وقوله: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ يعني: أصحاب اليمن والبركة ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ معناه الشوم والنكد[٢].

وقيل: أصحاب اليمين الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وأصحاب الشمال هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم[٣].

وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ معناه الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء فصاروا أئمة في الهدى[٤].

وقيل: السابقون إلى طاعة الله، والسابق إلى الخير إنّما كان أفضل، لأنّه يقتدى به في الخير، ويسبق إلى أعلى المراتب قبل من يجيئ بعد، فلهذا تميزوا من التابعين[٥].

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ فالثلة الجماعة وأصله القطعة من قولهم ثلّ عرشه إذا قطع ملكه[٦].

فصل

قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ [لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ]﴾ الآيات: ١٧ – ١٩.

---

١. قارن ٩: ٤٨٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٩٠.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

﴿ مُخَلَّدُونَ ﴾ قال مجاهد: معناه باقون لا يموتون[١]، وقال الحسن: معناه أنّهم على حالة واحدة لا يهرمون[٢]، يقال: رجل مخلّد أي باق زماناً أسود اللحية لا يشيب[٣]، وقال الفراء: معناه مقرّطون والخلد القرط[٤].

والأكواب جمع كوب وهي أباريق واسعة الرؤوس بلا خراطيم[٥].

﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي لا يلحقهم الصداع من شربها ﴿وَلا يُنزِفُونَ﴾ أي لا تنزف عقولهم، بمعنى لا تذهب بالسكر، في قول مجاهد وقتادة والضحاك، ومن قرأ ﴿يُنزِفُونَ﴾ بالكسر وهو حمزة، والكسائي، وخلف، حمله على أنّه لا تفنى خمرهم[٦]، قال الشاعر:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا[٧]

فصل

قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ [وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا

---

١. قارن ٩: ٤٩٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٩: ٤٩٣ والبيت للأبيرد اليربوعي كما في تفسير الآلوسي ٢٣: ٨٨، وفي المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٤٢ ط العلمية بيروت سنة ١٤١٣ هـ من دون نسبة اليربوعي، وكذا في الصحاح واللسان (نزف) لكن القرطبي في تفسيره ١٥: ٧٩ نسبه إلى الحطيئة، وفي البحر المحيط لأبي حيان ٧: ٢٣٦ نسبه إلى الأسود.

مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا]﴾ الآيات: ٢٧ – ٣٧.

وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد: الطلح شجر الموز[١]، وقال أبو عبيدة: كلّ شجر عظيم كثير الشوك[٢]، وقال الزجاج: شجر أم غيلان، فقد يكون على أحسن حال[٣].

والمنضود هو الذي نضد بعضه على بعض من الموز، ذكره ابن عباس[٤].

وقوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ فالعرب العواشق لأزواجهنّ، المتحببات إليهم، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة[٥]، قال لبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الرواد فيعشى دونها البصر[٦]

والأتراب جمع ترب، وهو الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا، وهو مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب، أي هم كالصبيان الذين على سن واحد[٧].

قال عمر ابن أبي ربيعة:

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أتراب[٨]

---

١. قارن ٩: ٤٩٥.

٢. قارن ٩: ٤٩٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٤٩٧.

٦. قارن ٩: ٤٩٧، والبيت في ديوان لبيد: ٦١ ط الكويت.

٧. قارن ٩: ٤٩٧.

٨. قارن ٩: ٤٩٧، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة، وروايته ((بين خمس كواعب)) وبعده البيت من الشواهد:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

فصل

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ الآيات: ٥١ – ٥٣.

الزقوم ما يبتلع بتصعّب، يقال: تزقم هذا الطعام تزقماً إذا ابتلعه بتصعّب، وقيل: هو طعام خشن مرّ كريه يعسر نزوله في الحلق[١].

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ الآيات: ٦٢ – ٧١.

قوله: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض منه، وأصله ذهاب المال بغير عوض، فمنه الغريم لذهاب ماله بالاحتباس على المدين من غير عوض في الاحتباس[٢].

---

١. قارن ٩: ٥٠١.

٢. قارن ٩: ٥٠٥.

والغارم الذي عليه الدين الذي يطالبه به الغريم، ومنه قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملحاً دائماً كإلحاح الغريم، وقال الحسن: هو من الغرم، وقال قتادة: معنى ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ لمعذّبون[١]، قال الأعشى:

ان يعاقب يكن غراماً وان يعط ((جزيلاً)) فإنّه لا يبالي[٢]

قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ قال الفراء: الأجاج المُرّ الشديد المرارة من الماء[٣].

وقال قوم: الأجاج الّذي اشتدت ملوحته[٤].

فصل

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ [نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ]﴾ الآيات: ٧١ – ٨٠.

---

١. قارن ٩: ٥٠٥، والآية في سورة الفرقان: ٦٥.

٢. قارن ٩: ٥٠٥، والبيت في ديوان الأعشى من قصيدة أولها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما يردّ سؤالي

يمدح بها الأسود بن المنذر أخا النعمان بن المنذر اللخمي وقد سبى من رهطه فأنشده القصيدة ليهب له الأسرى.

٣. قارن ٩: ٥٠٦.

٤. نفس المصدر.

العرب تقدح بالزند والزندة، وهو خشب معروف يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار، ذكره الزجاج وغيره، وفي المثل كلّ شجر فيه نار واستمجد المرخ والعفار[١].

فإن قيل: لم لا يكون نار الشجر بطبع الشجر لا من قادر عليه ؟[٢]

قيل: الطبع غير معقول، فلا يجوز أن يسند إليه الأفعال، ولو جاز ذلك للزم في جميع أفعال الله تعالى، وذلك باطل، ولو كان معقولاً لكان ذلك الطبع لابدّ أن يكون في الشجر والله تعالى الذي أنشأ الشجرة وما فيها، فقد رجع إلى قادر عليه وإن كان بواسطة[٣].

ولو جاز أن تكون النار من غير قادر عليها، لجاز أن تكون من غير عاجز، لأنّه إذا امتنع الفعل ممن ليس بقادر عليه منا، لأنّه فعل، وكلّ فعل ممتنع ممن ليس بقادر عليه[٤].

وقوله: ﴿مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ يعني ينتفع بها المسافرون الذين نزلوا الأرض القيّ وهي القفر[٥]، قال الراجز:

قــيّ يناصــيها بــلاد قــيّ[٦]

وقيل: هو من أقوت الدار إذا خلت من أهلها، قال الشاعر:

---

١. قارن ٩: ٥٠٧، والمثل تجد عنه في خزانة الأدب ٩: ٢٤٣ ط العلمية بيروت سنة ١٩٩٨ م ما يوضّحه فراجع .

٢. قارن ٩: ٥٠٧ .

٣. قارن ٩: ٥٠٨ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. قارن ٩: ٥٠٨، وقد تقدّم الرجز قريباً .

أقوى وأقفر من نعم وغيّرها هوج الرياح بها في الترب موار[١]

قال أبو عليّ الجبائي: القسم في كلّ ما ذكر في القرآن من المخلوقات إنّما هو قسم بربه[٢].

وهذا ترك الظاهر من غير دليل، لأنّه قد يجوز ذلك على جهة التنبيه على ما في الأشياء من العبرة والمنفعة، وقد روينا أنّه لا ينبغي لأحد أن يقسم إلاّ بالله، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، فعلى هذا كلّ من أقسم بغير الله، أو بشيء من صفاته من جميع المخلوقات أو الطلاق أو العتاق لا يكون ذلك يميناً منعقدة، بل يكون كلاماً لغواً[٣].

قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه القرآن، والمكنون المصون[٤].

وقوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إلاّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: لا يمسّ الكتاب الّذي في السماء إلاّ المطهرون من الذنوب وهم الملائكة، في قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وجابر بن زيد وأبي نهيك ومجاهد، وقيل: لا يمسّه إلاّ المطهرون في حكم الله[٥].

وقد استدلّ بهذه الآية على أنّه لا يجوز للجنب والحائض والمحدث أن يمسّوا القرآن، ولا المكتوب في الكتاب أو اللوح[٦].

---

١. قارن ٩: ٥٠٨، والبيت في تفسير الطبري وتفسير الثعلبي وفيهما: بها بي التُرب موّار.

٢. قارن ٩: ٥٠٩.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٥١٠.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقال قوم: انّه لا يجوز أن يمسّوا الكتاب الذي فيه ولا أطراف أوراقه[١]، وحملوا الضمير على أنّه راجع إلى الكتاب، وهو كلّ كتاب فيه القرآن.

وعندنا أنّ الضمير راجع إلى القرآن، وإن قلنا أنّ الكتاب هو اللوح المحفوظ فلذلك وصفه بأنّه مصون ويبين ما قلناه قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني هذا القرآن تنزيل من ربّ العالمين أنزله الله الّذي خلق الخلائق ودبرهم على ما أراد[٢].

فصل

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ]﴾ الآيات ٨١ – ٨٢.

قال ابن عباس: معنى ﴿مُدْهِنُونَ﴾ مكذبون[٣].

وقال مجاهد: معناه تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم، لأنّه جريان معهم في باطلهم[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥١١.

٤. نفس المصدر.

وقيل: معناه منافقون في التصديق بهذا الحديث، وسّماه الله تعالى حديثاً، كما قال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ ومعناه معنى الحدوث شيئاً بعد شيء، ونقيض ((حديث)) قديم[١].

والمُدهَن الذّي يجري في الباطن على خلاف الظاهر، كالدهن في سهولة ذلك عليه[٢].

وقوله: ﴿فَلَوْلا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ معناه: هلا إن كنتم غير مجزيين بثواب أو عقاب على ما تدّعونه من إنكار البعث والنشور[٣].

وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ إخبار من الله تعالى بما يستحقه المكلّفون من كان منهم سابقاً إلى الخيرات وإلى أفعال الطاعات فله روح وريحان وهو الهواء الذي يلذ النفس ويزيل عنها الهم[٤].

وقيل: الروح الراحة والريحان المشموم[٥].

---

١. قارن ٩: ٥١١، والآية في سورة الزمر: ٢٣.

٢. قارن ٩: ٥.

٣. قارن ٩: ٥١٢.

٤. قارن ٩: ٥١٤.

٥. نفس المصدر.

سورة الحديد

فصل

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ [هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ]﴾ الآيات: ١ – ٥.

قد بيّنا في غير موضع معنى التسبيح، وأنّه التنزيه له عن الصفات الّتي لا تليق به، فمن كان من العقلاء عارفاً به، فإنّه يُسبّحه لفظاً ومعنى، وما ليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات، فتسبيحها ما فيها من الأدلّة الدالّة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه، وما فيها من الحجج على أنّه لا يشبه خلقه، وأنّ خلقَه لا يشبهه، فعبّر عن ذلك بِالتَسبيح[1].

---

١. قارن ٩: ٥١٧.

وقوله: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال البلخي: انّه كقول القائل: فلان أول هذا الأمر وآخِره وظاهره وباطنه، أي عليه يدور الأمر وبه يتم[١].

الثاني: قال قوم: هو أول الموجودات، لأنّه قديم سابق لجميع الموجودات وما عداه محدث، والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الأوقات، والآخر بعد فناء كلّ شيء، لأنّه تعالى يفني الأجسام كلّها وما فيها من الأعراض ويبقى وحده، ففي الآية دلالة على فناء الأجسام[٢].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ لما في ذلك من اعتبار الملائكة لظهور شيء بعد شيء من جهته، ولما في الإخبار به من المصلحة للمكلّفين، ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة، لأنّه قادر على ذلك من حيث هو قادر لنفسه[٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي استولى عليه بالتدبير، قال البعيث:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[٤]

وهو بشر بن مروان لما ولاّه أخوه عبد الملك بن مروان[٥].

وقيل: معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش، وقد بيّنا ذلك فيما تقدّم.

---

١. قارن ٩: ٥١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥١٩.

٤. قارن ٩: ٥١٩، والبيت من الشواهد وقد مرّ مكرّراً.

٥. قارن ٩: ٥١٩.

فصل

قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ [ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]﴾ الآيات: ٦ – ١٠.

قوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ معناه: انّه لما ذكر تعالى دعاء الرسول إلى الإيمان بيّن أنّه قد أخذ ميثاقكم أيضاً به[١].

ومعنى ﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ نصب لكم الأدلّة الموصلة إلى الإيمان بالله ورسوله ورغّبكم فيه وحثّكم عليه وزهّدكم في خلافه[٢].

---

١. قارن ٩: ٥٢٢.

٢. نفس المصدر.

وقوله: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ بيّن تعالى أنّ الإنفاق قبل الفتح في سبيل الله إذا انضم إليه الجهاد في سبيله كان أكثر ثواباً عند الله، والمراد بالفتح فتح مكة [١].

وليس في الآية دلالة على فضل إنسان بعينه ممن يدّعى له الفضل، لأنّه يحتاج إلى أن يثبت أنّ له الإنفاق قبل الفتح، وذلك غير ثابت، ويثبت أنّ له القتال بعده ولمّا يثبت ذلك أيضاً، فكيف يستدلّ به على فضله [٢].

---

١. نفس المصدر.

٢. إشارة إلى رواية الكلبي قال: نزلت الآية في أبي بكر، والكلبي هذا أحد الكذابين والآخر السدي عندهم.

وقال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه هو ذاهب الحديث لا يشتغل به، إلى آخر ما ورد فيه كما في تهذيب التهذيب ٩: ١٧٨ ط حيدر آباد، فكيف قبلوا روايته في المقام وذكروها في تفاسيرهم. ولعلّ أحوطهم كان الزمخشري وأبو حيان حين نسبا الرواية إلى القيل ولم ينسباها إلى الكلبي. الكشاف: ٢٠١، البحر المحيط ٧: ٢١٩ ط دار الفكر، لكن القرطبي ١٧: ٢٤٠، والخازن ٤: ٢٢٨، والواحدي في البسيط، والرازي في تفسيره ٨: ١٢٤ ط العامرة، وغيرهم نسبوها إليه، أمّا البيضاوي وأبو السعود فأرسلا ذلك إرسال المسلّمات، وزاد ابن الجوزي على ذلك فقال: قال المفسّرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وتصاعدت حمّى المزايدات عند ابن كثير فقال: ولا شك عند أهل الإيمان انّ الصدّيق أبا بكر له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنّه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنّه أنفق ماله كلّه ابتغاء وجه الله ﷻ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها. وجرى الآلوسي نفس المنوال في تحبير المقال وقال في تفسيره٢٧: ١٥٠: والآية على ما ذكره الواحدي عن الكلبي نزلت في أبي بكر الصديق أي بسببه، وأنت تعلم أنّ خصوص السبب لا يدلّ على تخصيص الحكم، فلذلك قال أولئك ليشمل غيره ﷺ ممن اتصف بذلك، نعم هو أكمل الأفراد، فإنّه أنفق قبل الفتح وقبل الهجرة جميع ماله، وبذل نفسه معه عليه الصلاة والسلام.

وهلم الخطب في الرازي المفسّر الشهير القدير حيث تنازعه الموروث والحقائق، فحاول جاهداً بحجة الجمع بينهما ولو دفعاً بالصدر، اخضاع الحقائق للموروث، فجاء بما لم يستطعه الأوائل، ←

← فذكر الآية في تفسيره ٨: ١٢٤ ط العامرة فقال: المسألة الثانية قال الكلبي: نزلت هذه الآية في فضل أبي بكر الصديق لأنّه كان أول من أنفق المال على رسول الله في سبيل الله، قال عمر: كنت قاعداً عند النبيّ ﷺ وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خلّلها في صدره بخلال، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: ما لي أرى أبو بكر وعليه عباءة خللها في صدره ؟ فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح . واعلم أنّ الآية دلّت على أنّ من صدر عنه الإنفاق في سبيل الله والقتال مع أعداء الله قبل الفتح يكون أعظم حالاً ممن صدر عند هذان الأمران بعد الفتح، ومعلوم أنّ صاحب الإنفاق هو أبو بكر وصاحب القتال هو عليّ، ثم أنّه تعالى قدّم صاحب الإنفاق في الذكر على صاحب القتال، وفيه إيماء إلى تقديم أبي بكر، ولأنّ الإنفاق من باب الرحمة والقتال من باب الغضب، وقال تعالى: سبقت رحمتي غضبي، فكان السبق لصاحب الإنفاق، فإن قيل: بل صاحب الإنفاق هو عليّ لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ قلنا: اطلاق القول بأنّه أنفق لا يتحقّق إلاّ إذا أنفق في الوقائع العظيمة أموالاً عظيمة .

وذكر الواحدي في البسيط أنّ أبا بكر كان أول من قاتل على الإسلام، وذلك لأنّ علياً في أول ظهور الإسلام كان صبياً صغيراً ولم يكن صاحب القتال، وأما أبو بكر فإنّه كان شيخاً مقدّماً وكان يذب عن الإسلام، حتى ضرب بسببه ضرباً أشرف به على الموت .

أقول: ومن يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة .

وأنا لا أريد أن أخوض في هذا المقام بالنقض والإبرام، ولكن كان على هؤلاء الأعلام أن يأتوا بشاهد واحد في الإنفاق من أبي بكر، وشاهد واحد منه في بذل النفس في موقف من المواقف، ولو كان لبان، ففي مكة كان أبوه أجيراً لابن جدعان ينادي على دارته بدراهم معدودة، ولو كانت لابنه أموال لصانه بها عن ذلك العمل المشين المهين، وفي المدينة كان يخرجه الجوع وقت الهاجرة ـ ومثله عمر ـ وقد رآهما رسول الله ﷺ في المسجد فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة ؟ قال: ما أخرجني إلاّ ما أجد من حاق الجوع (موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ١: ٦٢٧) وستأتي في سورة المجادلة آية التصدق قبل مناجاة الرسول ﷺ وقد بخل أن يقدّم شيئاً .

وأمّا عن بذل النفس الّذي ذكر القرطبي فيه خبراً عن ابن مسعود: أول من أظهر الإسلام بسيفه النبيّ وابو بكر... وهذا ما يكذبه واقع الوقائع، ففي بدر قالوا كان في العريش، وفي أحد فرّ منهزماً، وفي خيبر رجع منهزماً، ولقد مرّت الإشارة إلى ذلك قريباً . ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٤٦: الحج .

فصل

قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم [بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ]﴾ الآيات: ١١ – ١٥.

قوله: ﴿نَقْتَبِسْ﴾ أي: نأخذ قبساً من نوركم وهو جذوة منه[1].

وقوله: ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأنّ فيه الجنة ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني من قبل المنافقين العذاب لكون جهنم هناك.

---

١. قارن ٩: ٥٢٦.

قوله: ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ يعني الشيطان، و سمّي بذلك لكثرة ما يغر الناس، وقرئ بالضم وهو كلّ ما غر من متاع الدنيا، ذكره الزجاج[١].

والغرور بضم الغين المصدر[٢].

ومعنى قوله: ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾ أي هي أولى بكم. قال لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنّه مولى المخافة خلفها وأمامها[٣]

أي تحسب أنّ كليهما أولى بالمخافة.

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ [وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

---

١. قارن ٩: ٥٢٧.

٢. قارن ٩: ٥٢٧.

٣. قارن ٩: ٥٢٧، والبيت في ديوان لبيد: ٣١١ ط الكويت.

وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۞ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۞ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

الآيات: ١٦ – ٢١.

قوله: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ في السعة، وقال الحسن: انّ الله تعالى يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه في طولها وعرضها، فبذلك صحّ وصفها بأنّ عرضها كعرض السماء والأرض[١].

وقال غيره: انّ الله تعالى قال: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ﴾ الدنيا ﴿وَالأَرْضِ﴾ والجنّة المخلوقة في السماء السابعة، فلا تنافي بين ذلك، وإذا كان العرض بهذه السعة، فالطول أكثر منه أو مثله[٢].

---

١. قارن ٩: ٥٣٢.

٢. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ الآية: ٢٣.

أي كلّ متبختر متجبّر ﴿فَخُورٍ﴾ على غيره على وجه التكبّر عليه، فإنّ من هذه صفته لا يحبه الله، وفرح البطر مذموم، وفرح الاغتباط بنعم الله محمود، كما قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ والبخل هو منع الواجب[1].

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ [وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ * لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ

---

١. قارن ٩: ٥٣٣، والآية في سورة آل عمران: ١٧٠.

أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الآيات: ٢٦ – ٢٩.

التقفية جعل شيء في أثر شيء على الاستمرار فيه، ولهذا قيل لمقاطع الشعر قوافي، إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه، فكأنّه قال: وأنفذنا بعدهم بالرسل رسولاً بعد رسول[١].

قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال ابن عباس: معناه يعطكم أجرين أجراً لإيمانكم بمحمد ﷺ، وأجراً لإيمانكم بمن تقدّم من الرسل[٢].

وأصل الكفل الحظ في قول الفراء، ومنه الكفل الّذي يكتفل به الراكب وهو كساء ونحوه[٣].

١. قارن ٩: ٥٣٦.

٢. قارن ٩: ٥٣٧.

٣. نفس المصدر.

سورة المجادلة

فصل

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۞ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ [وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۞ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ]﴾

الآيات ١ – ٥.

الظهار قول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، وكان أهل الجاهلية إذا قال الرجل منهم لامرأته هذا بانت منه وطلّقت، وفي الشرع لا تبين المرأة إلاّ أنّه لا يجوز له وطؤها إلاّ بعد أن يكفّر[١].

وعندنا أنّ شروط الظهار هي شروط الطلاق، سواء من كون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع، ويحضره شاهدين ويقصد التحريم، فإن اختلّ شيء من ذلك لم يقع به ظهار[٢].

قيل: إنّ هذه الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، في قول قتادة، ولا خلاف أنّ الحكم عام في جميع من يظاهر، وإن نزلت الآية على سبب خاص[٣].

والجدال والمجادلة هي المخاصمة، وقد يقال للمراجعة والمقابلة للمعنى ما يخالفه مجادلة، ومن قابل المعنى بخلافه طلباً للفائدة فليس بمجادل[٤].

فمجادلة المرأة لرسول الله ﷺ كان مراجعتها إياه في أمر زوجها[٥].

والتحاور التراجع وهو المحاورة، تقول: تحاورا تحاوراً وحاوره محاورة أي راجعه في الكلام[٦]، قال عنترة:

---

١. قارن ٩: ٥٤٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٤١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٤٢.

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي[١]

قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلفوا في معنى العود، فقال قتادة: العود هو العزم على وطئها[٢]، وقال قوم: العود الإمساك عزم أو لم يعزم[٣]، وقال الشافعي: هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق[٤].

وقال قوم: معناه: ثم يعودون لنقض ما قالوا وارتفاع حكمه[٥]، وقال قوم: لا تجب عليه الكفارة حتى يعاود القول ثانية[٦]، وهو خلاف أكثر أهل العلم[٧].

والذي هو مذهبنا: أنّ العود المراد به إرادة الوطء، ونقض القول الّذي قاله، فإنّه لا يجوز له الوطء إلاّ بعد الكفّارة، ولا يبطل حكم قول الأوّل إلاّ بعد أن يكفّر[٨].

وقال الفراء: يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إلى ما قالوا وفيما قالوا وفي نقض ما قالوا، أي: يرجعون عمّا قالوا، ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل تريد أن يفعله مرّة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل، أي نقض ما فعل، كما تقول: حلف أن يضربك، بمعنى حلف لا يضربُك[٩].

---

١. البيت في ديوان عنترة: ٢١٨ ط المكتب الإسلامي من قصيدته المعلقة، ورواية عجز البيت فيه: أو كان يدري ما صواب تكلّمي .

٢. قارن ٩: ٥٤٢ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. قارن ٩: ٥٤٣ .

٧. نفس المصدر .

٨. نفس المصدر .

٩. نفس المصدر .

وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ بيان لكيفيّة الكفّارة، فإنّ أول ما يلزمه من الكفّارة عتق رقبة، والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرّة بالعتق، بأن يقول: انّه حر[١].

والرقبة ينبغي أن تكون مؤمنة، سواء كانت ذكراً أو أنثى، صغيرة أو كبيرة إذا كانت صحيحة الأعضاء، فإنّ الإجماع واقع على أنّه يقع الإجزاء بها[٢].

وقال الحسن وكثير من الفقهاء: إن كانت كافرة أجزأت، وفيه خلاف وتفصيل ذكرناه في كتب الفقه[٣].

وتحرير الرقبة واجب قبل المجامعة، لظاهر قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ أي من قبل أن يجامعها فيتماسا، وهو قول ابن عباس[٤].

وكان الحسن لا يرى بأساً أن يغشى المظاهر دون الفرج، وفي رواية أخرى عنه أنّه يكره للمظاهر أن يقبّل، والّذي يقتضيه الظاهر أن لا يقربها بجماع على حال ولا مماسة شهوة[٥].

والإطعام لا يجوز إلاّ للمسلمين دون أهل الذمّة، وفيه خلاف، ومسائل الظهار وفروعها ذكرناها في كتب الفقه[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٤٥.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ والمحادة المخالفة في الحدود أي من خالف الله ورسوله فيما ذكرناه من الحدود ﴿كُبِتُوا﴾ أي أخذوا في قول قتادة، وقال غيره: أذلوا[1].

فصل

قوله : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ [أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

١. نفس المصدر .

لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيات: ٦ – ١٠.

قوله: ﴿نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ قال مجاهد: كان النبيّ عليه السلام نهى اليهود عن النجوى بينهم، لأنّهم كانوا لا يتناجون إلاّ بما يسوء المؤمنين[١].

وقال الفراء: نزلت في المنافقين واليهود، ونهوا أن يتناجوا إذا اجتمعوا مع المسلمين في موضع واحد، والنجوى هو السرار[٢].

والنجوة الارتفاع من الأرض، وهو الأصل، ومنه النجا الارتفاع في السير، والنجاة الارتفاع من البلاء[٣].

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قال قتادة ومجاهد وهو المروي عن عائشة: انّه كانت تحيتهم السام عليك يا أبا القاسم[٤]، وقال ابن عباس: كان المنافقون يقولون ذلك[٥]، وقيل: كان النبيّ يرد على من قال ذلك فيقول: وعليك[٦].

وقال ابن زيد: السام الموت، وقال الحسن: كانت اليهود تقول: السام عليكم أي انّكم ستسأمون دينكم هذا، أي تملّونه وتدعونه، فهذا من سئمت الأمر اسأمه سأماً وسآماً[٧].

---

١. قارن ٩: ٥٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٥٤٩.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ * ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ * أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ *أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ]﴾ الآيات: ١١ – ١٥.

ورفع الّذين أوتوا العلم درجات، لأنّهم أحق بالرفعة، وفي ذلك دلالة على أنّ فعل العالم أكثر ثواباً من فعل من ليس بعالم[١].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أي ساررتموه ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[٢].

---

١. قارن ٩: ٥٥١.

٢. نفس المصدر.

قال الزجاج: كان سبب نزول هذه الآية أنّ الأغنياء كانوا يستخلون النبيّ عليه السلام فيسارونه بما يريدون، والفقراء لا يتمكنون من النبيّ تمكنهم.

ففرض الله عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، وتعبّدهم بأن لا يناجي أحد رسول الله إلاّ بعد أن يتصدّق بشيء ما قل أم كثر، فلم يفعل أحد ذلك على ما روي، فاستقرض أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ديناراً وتصدّق به ثم ناجى النبيّ عليه السلام، فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بالآية التي بعدها[1].

---

١. لقد أتفق المفسّرون من العامة فضلاً عن الخاصة على أنّه لم يعمل أحد بآية النجوى غير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعمله كان أحد مختصاته التي تمنّى ابن عمر واحدة من ثلاث منها فقال: كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حُمر النعَم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. (الكشاف ٣: ٢١٠، القرطبي ١: ٣٠٢) وذكرا في سبب نزولها: أنّ الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله بما يريدون حتى أملّوه وأبرموه، فأريد أن يكفّوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة. ورووا عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «لمّا نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فالنصف؟ قلت: لا يطيقونه، قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: انّك لزهيد» (ومعنى شعيرة وزن شعيرة من ذهب) فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفّوا، أمّا الفقير فلعسرته، وأمّا الغني فلشحته وبخله، وقالوا: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ، وقيل ما كان إلاّ ساعة من نهار. وهذا ليس بشيء إذا قرأنا ما رووه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد من قبلي ولا يعمل بها أحد من بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مسائل فأجابني عنها.

قلت: يا رسول الله ما الوفاء ؟ قال: التوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله.

قلت: وما الفساد ؟ قال: الكفر والشرك بالله.

قلت: وما الحقّ ؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك.

قلت: وما الحيلة ؟ قال: ترك الحيلة.

قلت: وما عليّ ؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله.

قلت: وكيف أدعو الله ؟ قال: بالصدق واليقين. ←

فصل

قوله: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ [أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ

← قلت: وماذا أسأل الله ؟ قال: العافية .

قلت: وما أصنع لنجاة نفسي ؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً .

قلت: وما السرور ؟ قال: الجنّة .

قلت: وما الراحة ؟ قال: لقاء الله، فلما فرغت منها نزل نسخها» .

وجاء في روح المعاني ٢٨: ٢٨: ولم يعمل بها على المشهور غيره كرّم الله وجهه، أخرج الحاكم وصححه وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم عنه كرّم الله تعالى وجهه أنّه قال: انّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم اهـ .

قال الرازي: وروى ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس أنّهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدّقوا فلم يناجيه أحد إلاّ عليّ عليه السلام تصدّق بدينار ثم نزلت الرخصة .

وقال الكلبي: تصدّق به في عشر كلمات سألهنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم .

وقال مجاهد: لم يناجيه إلاّ عليّ قدّم ديناراً فتصدّق به فسأله عن عشرة خصال ثم نزلت الرخصة .

وقال مقاتل بن سليمان: ناجاه عليّ بدينار باعه بعشرة دراهم في عشر كلمات كلّ كلمة بدرهم .

وقال الرازي: قال القاضي والأكثر في الروايات أنّه عليه السلام تفرّد بالتصدّق قبل مناجاته ثم ورد النسخ، وإن كان قد روي أيضاً إنّ أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك .

راجع بشأن ما تقدّم التفاسير التالية في تفسير الآية ١٢ من سورة المجادلة .

تفسير الطبري والزمخشري والماوردي وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير والرازي وابي حيان والبيضاوي والخازن والشربيني والنسفي وفيه خاصة ذكر المسائل التي سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله بعد أن قدّم صدقة لكلّ سؤال راجع ٤: ٢٣٥ ط دار احياء الكتب العربية بمصر، وعنها ط دار الفكر بيروت . وكذا ط بهامش تفسير الخازن ٤: ٢٤٢ ط الميمنية بمصر سنة ١٣١٧ هـ وأخرجها الحموييني في فرائد السمطين ١: ٣٥٨ – ٣٥٩ نقلاً عن تفسير مطلع المعاني للإمام حسام الدين محمّد بن عثمان بن محمّد العلي آبادي .

تُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ * لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾الآيات: ١٩ – ٢٢.

معناه: استولى عليهم، فالاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع، وأصله من حاذه يحوذه حوذاً، مثل جازه يجوزه جوزاً[١].

وقوله: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ معناه: أنّ المؤمن لا يكون مؤمناً كامل الإيمان والثواب يواد من خالف حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله[٢].

معنى ﴿يُوَادُّه﴾ يواليه، وإن كان الّذي يواده أباه أو أمه أو أخاه أو عشيرته، فمن خالف ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقاً ولا يكون كافراً، وكلّ كافر فهو محاد لله ورسوله[٣].

١. قارن ٩: ٥٥٥.

٢. قارن ٩: ٥٥٦.

٣. نفس المصدر.

سورة الحشر

فصل

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ [مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ]﴾ الآيات: ١ – ٥.

قوله: ﴿لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قال قوم: أول الحشر هو حشر اليهود من بني النضير إلى أرض الشام، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً[1].

---

١. قارن ٩: ٥٥٩.

وقال البلخي: يريد أول الجلاء، لأنّ بني النضير أول من أجلي من أرض العرب، والحشر جمع الناس من كلّ ناحية، ومنه الحاشر الّذي يجمع الناس إلى ديوان الخراج[١].

قوله ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: انّهم كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا، ويخرب المؤمنون من خارج، على ما ذكره الحسن[٢].

ثم قال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ معناه: اتعظوا وفكروا فلا تغفلوا كما فعل هؤلاء، فيحل بكم ما حلّ بهم[٣].

والحصون جمع حصن، وهو البناء العالي المنيع[٤].

ومن استدلّ بهذه الآية على صحّة القياس في الشريعة فقد أبعد، لأنّ الاعتبار ليس من القياس في شيء، وإنّما معناه الإتعاظ على ما بيّناه، ولا يليق بهذا الموضع قياس الشرع، لأنّه لو قال بعد قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقيسوا الأرز على الحنطة، لما كان كلاماً صحيحاً ولا لائقاً بما تقدّم، وإنّما يليق بما تقدّم الاتعاظ والانزجار عن مثل أفعال القوم من الكفر بالله[٥].

وقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ فاللينة كلّ نخلة لينة سوى العجوة، في قول ابن عباس وقتادة، وهي لغة أهل المدينة[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٦٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٦١.

وقال بعضهم: إلاّ البرني والعجوة، وقال باقي المفسّرين: اللينة النخلة ولم يستثنوا[١].

قال ذو الرمة:

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله في ريشه يترقرق[٢]

فصل

قوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ [مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٦١، والبيت في ديوان ذي الرمة: ٤٨٨ ط مجمع اللغة العربية بدمشق: وصدر البيت فيه (طراق الخوافي واقع فوق ريعة).

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآيات: ٦ – ١٠.

الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين، بتمليك الله إياهم ذلك على ما شرطه فيه، يقال: فاء يفيئ فيئاً إذا رجع[١].

وقال عمر بن الخطاب ومعمر: مال الفيء هو مال الجزية والخراج[٢].

والفيء كلّ ما رجع من أموال الكافرين إلى المؤمنين، فمنه غنيمة وغير غنيمة، فالغنيمة ما أُخِذ بالسيف، فأربعة أخماسه للمقاتلة، وخُمسه للذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية[٣].

وقال كثير من العلماء أنّ الفيء المذكور في هذه الآية هو الغنيمة[٤].

وقال قوم: مال الفيء خلاف مال الصدقات، لأنّ مال الفيء أوسع، فإنّه يجوز أن يصرف في مصالح المسلمين، ومال الصدقات إنّما هو ((في)) الأصناف الثمانية[٥].

وقال قوم: مال الفيء يأخذ منه الفقراء من قرابة رسول الله بإجماع الصحابة في زمن عمر، ولم يخالف فيه أحد إلاّ الشافعي، فإنّه قال: يأخذ منه الفقراء والأغنياء وإنّما ذكروا في الآية لأنّهم منعوا الصدقة، فبيّن الله أنّ لهم في مال الفيء حقاً[٦].

---

١. قارن ٩: ٥٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٦٣، والآية في سورة الأنفال: ٤١.

٤. قارن ٩: ٥٦٣.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والّذي نذهب إليه أنّ مال الفيء غير مال الغنيمة، فالغنيمة كلّ ما أخذ من دار الحرب بالسيف عنوة ممّا يمكن نقله إلى دار الإسلام، وما لا يمكن نقله إلى دار الإسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الإمام، ويصرف ارتفاعه إلى بيت المال لمصالح المسلمين[١].

والفيء كلّ ما أخِذ من الكفّار بغير قتال أو انجلاء أهلها، وكان ذلك للنبي عليه السلام خاصة، يضعه في المذكورين في هذه الآية، وهو لمن قام مقامه من الأئمة الراشدين، وقد بيّن الله تعالى ذلك[٢].

ومال بني النضير كان للنبي خاصة وقد بيّنه الله ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ يعني: ما رجعه الله وردّه على رسوله ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني من بني النضير[٣].

ثم بيّن فقال تعالى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ﴾ أي لم توجفوا على ذلك بخيل ولا ركاب، والإيجاف الإيقاع، وهو تسيير الخيل أو الركاب، والركاب الإبل[٤].

ثم قال مبيناً من استحق ذلك، فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يعني قرى بني النضير ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ يعني أهل بيت رسول الله ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ من أهل بيت رسول الله لأنّ تقديره: ولذي قرباه ويتامى أهل بيته وابن سبيلهم، لأنّ الألف واللام يعاقب الضمير، وظاهره يقتضي أنّه لهؤلاء سواء كانوا أغنياء أو فقراء[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٦٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ثم بيّن لم فعل ذلك، فقال: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ فالدُولة بضم الدال نقلة النعمة من قوم إلى قوم. وبفتح الدال المرة من الاستيلاء والغلبة[١].

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، أو هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ الّذي كان لهم بمكة فأخرجوا منها[٢].

قسمة الغنيمة عندنا للفارس سهمان، وللراجل سهم[٣].

وقال قوم: للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم، إلاّ ما كان من الأرض والأشجار فإنّه للإمام أن يقسمها إن شاء، وله أن يجعلها أرض الخراج ويردها إلى من كانت في أيديهم قبل، على هذا الوصف بحسب ما يرى، كما فعل عمر بأرض السواد[٤].

وقيل: انّ النبيّ عليه السلام فتح مكة عنوة ولم يقسم أرضها بين المقاتلة[٥].

وقال قوم: فتحها سلماً وقسم كثيراً من غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم[٦].

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٩: ٥٦٦ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. نفس المصدر .

فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا [وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآيات: ١١ – ١٥.

قوله تعالى: ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي أنتم أشدّ خوفاً في قلوب هؤلاء المنافقين، يخافونكم ما لا يخافون الله، لأنّهم قوم لا يفقهون الحقّ ولا يعرفونه، ولا يعرفون معاني صفات الله، فالفقه العلم بمفهوم الكلام في ظاهره ومتضمّنه عند إدراكه وبتفاصيل أحوال الناس فيه[١].

وقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي من وراء الحيطان، فالجدار الحائط، فمن قرأ على التوحيد، فلأنّه اسم جنس يقع على القليل والكثير، ومن قرأ على الجمع فلاختلاف الجدران[٢].

فصل

قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ

---

١. قارن ٩: ٥٦٨.

٢. قارن ٩: ٥٦٩.

﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الآيات: ٢٢ – ٢٤.

قال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد، والشهادة ما أعلنوه، ففي الوصف بها بيّن كونه عالماً بجميع المعلومات، لأنّها لا تعدو هذين القسمين[١].

﴿هُوَ الرَّحْمَانُ﴾ يعني المنعم على جميع خلقه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين، ولا يوصف بالرحمن سوى الله تعالى، فأمّا الرحيم فإنّه يوصف به غيره تعالى[٢].

﴿الْقُدُّوسُ﴾ معناه المطهر فتطهر صفاته عن أن يدخل فيها صفة نقص[٣].

﴿السَّلامُ﴾ وهو الّذي يسلم عباده من ظلمه[٤].

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ الّذي أمن العباد من ظلمه لهم، إذ قال: ﴿لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٥].

﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ قال ابن عباس: معناه الأمين، وقال قوم: معناه المؤمن، إلاّ أنّه أشدُّ مبالغة في الصفة، لأنّه جاء على الأصل في المؤيمن، فقلبت الهمزة هاءاً وفخّم اللفظ به لتفخيم المعنى، وقال قتادة: معناه الشهيد[٦].

---

١. قارن ٩: ٥٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٥٧٣، والآية في سورة النساء: ٤٠.

٦. قارن ٩: ٥٧٣.

سورة الممتحنة

سمّيت هذه السورة بالممتحنة باسم المرأة التي جاءت تشكو إلى رسول الله ﷺ أمرها، وهي ثلاث عشرة آية.

فصل

قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ [وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ]﴾ الآيات: ٤ – ٥.

قوله: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء لقول إبراهيم لأبيه ﴿لاسْتَغْفِرَنَّ﴾ أي فلا تقتدوا به فيه، فإنّ إبراهيم عليه السلام إنّما استغفر لأبيه لموعدة وعدها إياه لأنّ أباه كان وعده بالإيمان، فوعده إبراهيم بالاستغفار، فلما أظهر له الإيمان استغفر له إبراهيم في الظاهر[1].

﴿فلما تبيّن له أنّه عدو لله﴾ وعرف ذلك من جهته ﴿تبرأ منه﴾ وقال الحسن: إنّما تبيّن ذلك عند موت أبيه، ولو لم يستثن ذلك لظن أنّه يجوز

---

١. قارن ٩: ٥٨٠.

الاستغفار للكفّار مطلقاً، من غير موعدة بالإيمان منهم، وقد قيل: إنّ الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾[١].

فصل

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ الآية: ١٠.

قيل في كيفية الامتحان أربعة أقوال:

قال ابن عباس: كان امتحان رسول الله إياهنّ أن يحلفن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض، وبالله ما خرجت في التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلاّ حباً لله ولرسوله[٢].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: كان امتحانه أن يشهدن أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله[٣].

وروي عن عائشة أنّه كان امتحانهنّ بما في الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ﴾ الآية[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٨٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ يعني في الظاهر ﴿فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي لا تردوهنّ إليهم ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ قال ابن زيد: وفرّق بينهما النبيّ ﷺ وإن لم يطلّق المشرك[١].

وقيل: انّ النبيّ ﷺ كان شرط لهم رد الرجال دون النساء، فعلى هذا لا نسخ في الآية[٢].

ومن قال: كان شرط رد النساء والرجال قال: نسخ الله حكم رد النساء[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: أعطوا رجالهنّ ما أنفقوا من الصداق[٤].

وقال الزهري: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صدقاً كما كان يفعل قبل نسخ رد المهور على الأزواج من المشركين[٥].

ثم قال تعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ معاشر المؤمنين ﴿أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني: المهاجرات، لأنّهنّ بالإسلام قد بنّ من أزواجهنّ ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهورهنّ التي يستحلّ به فروجهنّ[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ فالكوافر جمع كافرة، والعصمة سبب تمنع من المكروه، وجمعه عصم[٧].

وفي ذلك دلالة على أنّه لا يجوز العقد على الكافرة، سواء كانت ذميّة

---

١. قارن ٩: ٥٨٥.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.
٧. نفس المصدر.

أو حربية أو عابدة وثن، وعلى كلّ حال، لأنّه عام جميع ذلك، وليس لأحد أن يخصّ الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهم، لأنّ المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب[١].

وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾ يعني: إذا صارت المرأة المسلمة إلى دار الحرب، فسألوهم أن يردوا عليكم مهرهنّ، كما سألوكم مهر نسائهم إذا هاجرن إليكم[٢].

والمفسّرون على أنّ حكم هذه الآية منسوخ، وعندنا أنّ الآية غير منسوخة وفيها دلالة على المنع من تزوج المسلم اليهودية والنصرانية، لأنّهما كافرتان، والآية على عمومها في المنع من التمسّك بعصم الكوافر، ولا نخصّها إلاّ بدليل[٣].

فصل

قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ [عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ]﴾ الآيات: ١١ – ١٣.

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٨٦.

ووجه بيعة النساء مع أنّهنّ ليس من أهل النصرة في المحاربة، هو أخذ العهد عليهنّ بما يصلح شأنهنّ في الدين للأنفس والأزواج، وكان ذلك في صدر الإسلام لئلا ينفتق بهنّ فتق لما صيغ من الأحكام، فبايعهنّ النبيّ عليه السلام حسماً لذلك، وقيل انّه كان يبايعهنّ من وراء الثوب.

وروي أنّه استدعى ماءاً فوضع يده فيه، ثم أمر النساء أن يضعن أيديهنّ فيه، فكان ذلك جارياً مجرى المصافحة بأخذ العهد[1] ﴿عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ من الأصنام والأوثان ﴿وَلا يَسْرِقْنَ﴾ لا من أزواجهنّ ولا من غيرهم ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ يعني بكذب ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾[2].

وقال ابن عباس: لا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم[3].

وقال الفراء: كانت المرأة تلتقط فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى[4].

١ـ قارن ٩: ٥٨٧ وهذا ما ورد في كثير من التفاسير كتفسير الطبري والزمخشري والرازي والقرطبي وابن كثير وغيرها.

٢ـ قارن ٩: ٥٨٨.

٣ـ نفس المصدر.

٤ـ قارن ٩: ٥٨٨، وذكر أصحاب التفاسير المذكورة آنفاً ومثلهم البيضاوي والخازن والنسفي والشربيني وابوحيان في تفسيره، والبحر والنهر، والجمل والآلوسي رواية بيعة النساء وفيها طرافة تعمّدوا التعتيم عليها والرواية باختصار (أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يبايعهنّ بأمره ... وهند بنت عتبة متقنّعة متنكّرة خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعرفها فقال عليه السلام: أبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئاً ... ولا يسرقنّ... فقال: ولا يزنينّ فقالت هند: وهل تزني الحرّة ؟ وفي رواية ما زنت منهنّ امرأة قط ... فقال عليه السلام: ولا يقتلن أولادهنّ، فقالت: ربّيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم وهم أعلم ـ وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر ـ فضحك عمر حتى استلقى ـ وتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ... واللافت للنظر هنا ضحك عمر حتى استلقى عند قول هند ربّيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً، وليس في هذا ممّا يستدعي إلى غلبة الضحك حتى الاستلقاء ثم تبسم النبيّ صلى الله عليه وآله ولكن ←

قوله: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال الحسن: الّذين يئسوا من الآخرة اليهود، أي مع الإقامة على ما يغضب الله، كما يئس كفّار العرب أن يحيى أهل القبور أبداً[١].

وقيل: هم أعداء المؤمنين من قريش قد يئسوا من خير الآخرة، كما يئس سائر الكفّار من العرب من النشأة الثانية[٢].

← ما من دخان إلاّ من وراء نار، فإن ابن الطقطقي ذكر في كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية:١٠٤ وقد ذكر بيعة النساء وأقوال النبيّ ﷺ حتى قال: وعلى أن لا تزنين، قالت: وهل تزني الحرة؟ قالوا: فالتفت رسول الله ﷺ إلى العبّاس رضي الله عنه وتبسّم . وهذا ما كشف عنه الزمخشري أيضاً في ربيع الأبرار ٣: ٥٥١ باب القرابات والأنساب ط أوقاف بغداد من طرف خفي فقد قال:

وكان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد، وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغني أسود كان لعمارة، قالوا كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً فدعته هند إلى نفسها .

وهذا ـ فيما يبدو ـ كان يعرفه بعض الناس حتى في أيّام معاوية، فقد روى الكلبي أنّه جرى كلام بين يزيد بن معاوية وإسحاق بن طابة بن عبيد، بين يدي معاوية وهو خليفة، فقال يزيد لاسحاق: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنة ـ إشارة إلى أنّ أم اسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب ـ فغالطه إسحاق وقال: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلّهم الجنة، فلم يفهم يزيد وفهمها معاوية، فأنّب بعدها يزيد وقال: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك ؟ قال: قصدت شين إسحاق قال: وهو كذلك أيضاً، قال: وكيف ؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنّي للعباس، فسقط في يدي يزيد. المثالب للكلبي: ٢٠ مخطوطة السماوي .

وجاء فيه أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما أتى النساء النبيّ ﷺ يبايعنه أتته هند فقال لها النبيّ ﷺ في كلام البيعة: ولا تزنين، فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة، فنظر النبيّ ﷺ إلى عمر بن الخطاب فتبسّم .

إذن تبيّن بوضوح وجه ضحك عمر حتى استلقى حين سمع من هند قولها: (وهل تزني الحرة ؟ أو ما زنت منهنّ امرأة قط) فإنّه من زائريها في الجاهلية كما كان العباس كذلك .

١. قارن ٩: ٥٨٩ .

٢. نفس المصدر .

سورة الصف

فصل

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الآيات: ١ – ٥.

قيل في معنى ﴿مَرْصُوصٌ﴾ قولان:

أحدهما كأنّه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدّة اتصاله[١].

والثاني: كأنّه حائط ممدود على رص البناء، أي إحكامه واتصاله واستقامته، والمرصوص المتلائم الّذي لا خلل فيه[٢].

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ فالزيغ الذهاب عن الشيء بإسراع فيه، والأظهر فيه الذهاب عن الحقّ، والمعنى: أنّهم لما ذهبوا عن طريق الحقّ

---

١. قارن ٩: ٥٩٢.

٢. نفس المصدر.

ومالوا إلى طريق الباطل أزاغ الله قلوبهم، بمعنى أنّه حكم عليهم بالزيغ والميل عن الحقّ ولذلك قال: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ومعناه: لا يحكم لهم بالهداية[١].

وقيل: معناه فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب[٢].

ولا يجوز أن يكون المراد أزاغ الله قلوبهم عن الإيمان، لأنّ الله لا يزيغ أحداً ولا يضلّه عن الإيمان[٣].

وأيضاً فإنّه لا فائدة في الكلام على ما قالوه،لأنّهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد حصلوا كفّاراً، فلا معنى لقوله: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ﴾[٤].

فصل

قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ [هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ]﴾ الآيات: ٧ – ٩.

معناه: لا يحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفّار[٥].

وقيل: معناه لا يهدي الكفّار إلى الثواب، لأنّهم كفّار ظالمون لنفوسهم بفعل الكفر والمعاصي التي يستحق بها العقاب، فكلّ كافر ظالم لأنّه أضرّ

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٥٩٤.

بنفسه بفعل معصية استحق بها العقاب من الله تعالى، وكفره ضرر قبيح[١].

فصل

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ [يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞۖ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ]﴾ الآيات: ١٠ – ١٤.

إنّما قال: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مع أنّ تركه قبيح ومعصية لله، لأنّ المعنى ذلكم خير لكم من رفعه عنكم، لأنّ ما أدّى إلى الثواب خير من رفعه إلى نعيم ليس بثواب من الله تعالى، والتكليف خير من رفعه إلى الابتداء بالنعيم لكلّ من عمل بموجبه[٢].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٩٦.

سورة الجمعة

فصل

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ [وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ * مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ]﴾ الآيات: ١ – ٥.

القدوس المستحق للتعظيم بتطهير صفاته عن كلّ صفة نقص[١].

قال قتادة ومجاهد: الأميون العرب[٢].

وقال قوم: هم أهل مكة، لأنّها تسمّى أم القرى[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣.

٢. قارن ١٠: ٤.

٣. نفس المصدر.

والأمي منسوب إلى أنّه ولد في أمة لا يحسنون الكتابة، ووجه النعمة في جعل النبوة في أمي موافقة لما تقدّمت البشارة به في كتب الأنبياء السالفة، ولما فيه من أنّه أبعد مَن توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة[١].

﴿رَسُولاً﴾ مفعول أرسله ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني من نسب الأميين ومن جملتهم[٢].

قوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ قال ابن عباس: الأسفار الكتب واحدها سفر، لأنّها تكشف عن المعنى بإظهاره له[٣].

يقال: سفر الرجل عن عمامته إذا كشف، لأنّ الحمار الّذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يدري ما فيها، ولا يحس بها، كمثل من يحفظ الكتاب ولم يعمل به، مثل من لا يعلم ما فيما يحمله[٤].

وعلى هذا من تلا القرآن ولم يفهم معناه، وأعرض عن ذلك إعراض من لا يحتاج إليه، كان هذا المثل لاحقاً به، وإن حفظ وهو طالب لمعناه، وقد قدّم حفظه، فليس من أهل هذا المثل[٥].

فصل

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ١٠: ٥ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿

الآيات ٩ – ١١.

معناه: إذا سمعتم أذان يوم الجمعة فامضوا إلى الصلاة[١].

قال قتادة : معناه امضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين، وبه قال ابن زيد والضحاك[٢].

وقال الزجاج: المعنى فامضوا إلى السعي الذي هو الإسراع، قال: وقرأ ابن مسعود فامضوا إلى ذكر الله، ثم قال: لو علمت الإسراع لأسرعت حتى يقع ردائي من كتفي[٣].

وفرض الجمعة لازم على جميع المكلّفين، إلاّ صاحب العذر من سفر، أو مرض، أو عمي، أو عرج، أو آفة وغير ذلك[٤].

وعند اجتماع شروطه بكون سلطان عادل أو مَن نصّبه السلطان للصلاة، وبتكامل العدد عندنا سبعة، وعند قوم أربعين، وعند آخرين أربعة وثلاثة، وقد بيّنا الخلاف في ذلك في اختلاف الفقهاء[٥].

---

١. قارن ١٠: ٨.

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ١٠: ٨، وراجع الخلاف ١: ٥٩٨ .

وظاهر الآية متوجّه إلى المؤمنين، وإنّما يدخل فيه الفاسق على التغليب، كما يغلب المذكر على المؤنث، هذا على قول من يقول: إنّ الفاسق ليس بمؤمن، فأمّا من قال: انّه مؤمن مع كونه فاسقاً، فالآية متوجّهة إليهم كلّهم[١].

وقال مجاهد وسعيد بن المسيّب: المراد بالذكر موعظة الإمام في خطبه[٢].

وقال غيرهما: يعني الصلاة التي فيها ذكر الله[٣].

وقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ معناه: إذا دخل وقت الصلاة أتركوا البيع والشراء[٤].

قال الضحاك: إذا زالت الشمس حرُم البيع والشراء[٥].

وقال الحسن: كلّ بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة، فإنّه بيع حرام لا يجوز، وهو الّذي يقتضيه ظاهر مذهبنا، لأنّ النهي يدلّ على فساد المنهي عنه[٦].

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ قال جابر بن عبد الله والحسن: قدم عير لدحية الكلبي فيها طعام المدينة بعد ما أصابتهم مجاعة، فاستقبلوه باللهو والمزامير والطبول في قول جابر بن عبد الله ومجاهد، فكانوا مع النبيّ ﷺ في الصلاة، فلما سمعوا صوت الطبول والمزامير ﴿انفَضُّوا﴾ أي تفرقوا

---

١. قارن ١٠: ٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٩.

٦. نفس المصدر.

إلى العير يبصرونه، وتركوا النبيّ ﷺ قائماً وحده[١].

فقال الله لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمّد ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ وأنفع وأحمد عاقبة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي ليس يفوتهم بترك البيع شيء من رزق الله[٢].

والتقدير: وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها، أي إليه، وإنّما قال: ﴿إِلَيْهَا﴾ لأنّها كانت أهم إليهم، ذكره الفراء[٣].

وقيل: تقديره وإذا رأوا لهواً أو تجارةً انفضّوا إليها، فرد الضمير إلى أقرب المذكورَين، لأنّه كان أهم إليهم، وكذلك قرأ ابن مسعود في مصحفه[٤].

---

١. قارن ١٠: ٩ وقد ذكر المفسّرون وغيرهم أنّ الصحابة الذين كانوا مع النبيّ ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة فانفضّوا عنه لما سمعوا رغاء العير التي قدم بها دحية الكلبي من الشام، ولم يبق منهم معه إلاّ اثنا عشر، وقيل: ثمانية، وقيل: أربعون، فقال ﷺ: والّذي نفسي بيده لو انصرفوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً، ونزلت الآية ... راجع بشأنها كتب التفسير والحديث ومن كتب الفروع فتح العزيز للرافعي ٤: ٥٢٩، وإعانة الطالبين ٢: ٧٥، والمبسوط للسرخسي ٢: ٢٥، والمغني لابن قدامة ٢: ١٧٣، والشرح الكبير ٢: ١٧٦، وفي تلخيص الحبير لابن حجر ٤: ٥٢٩ قال: حديث أنّ الصحابة انفضّوا عن النبيّ ﷺ فلم يبق منهم إلاّ اثنا عشر رجلاً وفيهم نزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ الآية، متفق عليه من حديث جابر إهـ.

وقد عقد الشوكاني في نيل الأوطار ٢: ٣٤٢ باب انفضاض العدد في أثناء الصلاة أو الخطبة، وذكر حديث جابر وقال: رواه أحمد ومسلم والترمذي وصحّحه، ثم قال: وفي رواية: أقبلت عير ونحن نصلّي مع النبيّ ﷺ الجمعة فانفضّ الناس إلاّ اثنى عشر رجلاً، فنزلت الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ رواه أحمد والبخاري ... .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ١٠: ١٠ .

سورة المنافقين

قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآيات ١ – ٥.

قال زيد بن أرقم: نزلت الآية في عبد الله بن أبيّ بن سلول، لما قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا، وقال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ فلمّا وقف على ذلك جحده وحلف أنّه ما قاله حتى نزلت السورة[1].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بألسنتهم عند الإقرار بـ((لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله)) ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بقلوبهم لما كذّبوا بهذا، وهو قول قتادة[2].

---

١. قارن ١٠: ١٢.

٢. نفس المصدر.

﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي ختم عليها بسمة تميّز الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة ﴿فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك بجحدهم توحيد الله[١].

قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ فشبههم الله بالخشبة المسندة، قيل: أنّهم شبهوا بخشب نخرة متآكلة لا خير فيها إلاّ أنّها مسندة يحسب من رآها أنّها صحيحة سليمة[٢].

فصل

قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ * هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ الآيات: ٦ – ٧.

بيّن أنّه تعالى ﴿لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ إلى طريق الجنة، فلهذا يجب أن ييأسوا من العفو بالاستغفار[٣].

وقال الحسن: أخبر الله تعالى أنّهم يموتون على النفاق فلم يستغفر لهم بعد[٤].

وقيل: المعنى لا يحكم الله بهدايتهم، وقد كان النبيّ ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال، بشرط حصول التوبة، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم، فبيّن بها أنّ ذلك لا ينفع مع إبطانهم الكفر والنفاق[٥].

ومعنى ﴿يَنْفَضُّوا﴾ حتى يتفرّقوا عنه، لفقرهم وحاجتهم، فالانفضاض التفرّق وفض الكتاب إذا فرّقه ونشره، وسمّيت الفضّة فضّة لتفرّقها في أثمان الأشياء المشتراة[٦].

١. نفس المصدر.
٢. قارن ١٠: ١٤.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.

سورة التغابن

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ [وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]﴾ الآيات: ١-٥.

قد فسّرنا معنى قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وأنّ المراد بها ما في خلق السماوات والأرض، وما فيهما من الأدلّة الدالّة على توحيده وصفاته التي باين بها خلقه، وأنّه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وأنّه منزّه عن القبائح وصفات النقص، فعبّر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه لله عمّا لا يليق به[1].

---

١. قارن ١٠: ١٨.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعني: ممّا يصحّ أن يكون مقدوراً له، فلا يدخل في ذلك مقدورات العباد، لأنّه يستحيل أن يكون مقدوراً لله[١].

فصل

قوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ [فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ]﴾ الآيات: ٧ – ٩.

قال المؤرج: ﴿زَعَمَ﴾ معناه كذب ﴿الَّذِينَ﴾ جحدوا لغة حمير[٢].

وقال شريح: ﴿زَعَمَ﴾ كنية الكذب، والحدة كنية الجهل ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ أي لا يحشرهم الله في المستقبل للحساب[٣].

والتغابن هو التفاوت في أخذ الشيء بدون القيمة، فالذين اشتروا الدنيا بالآخرة بهذه الصفة في أنّهم أخذوا الشيء بدون القيمة فقد غبنوا أنفسهم[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ [فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ]﴾ الآيات: ١١ – ١٥.

يقول الله تعالى مخاطباً لخلقه: انّه ليس يصيبكم مصيبة إلاّ بإذن الله، والمصيبة المضرّة الّتي تلحق صاحبها، كالرمية التي تصيبه[١].

قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ففي المصائب ما هو ظلم، والله لا يأذن في الظلم، لأنّه لا يحسن في الحكمة، ألا ترى أنّه ليس منها إلاّ ما أذن الله في وقوعه أو التمكين منه، وذلك أذن للملك الموكل به، كأنّه قيل له: لا تمنع من وقوع هذه المصيبة، وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله، كأنّه يأذن له أن يكون[٢].

---

١. قارن ١٠: ٢٢.

٢. قارن ١٠: ٢٣.

وقال البلخي: معناه إلاّ بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها[١].

وقال قوم: هو خاص فيما يفعله الله أو يأمر به[٢].

ويجوز أن يكون المراد بالإذن ها هنا العلم، وكأنّه قال: لا يصيبكم مصيبة إلاّ والله تعالى عالم بها[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت الآية في قوم أسلموا بمكة وأرادوا الهجرة فمنعوهم من ذلك[٤].

وقال عطاء بن يسار: نزلت الآية في قوم أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء[٥].

وقال مجاهد: هي في قوم إذا أرادوا طاعة الله منعهم أزواجهم وأولادهم[٦]، فبيّن الله تعالى أنّ في هؤلاء من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم فيه[٧].

فصل

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٢٤.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ [إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ]﴾ الآيات: ١٦ – ١٨.

كلّ ما يأمر الله به فلابدّ أن يكون مشروطاً بالاستطاعة، فإن كانت الاستطاعة غير باقية على مذهب من يقول بذلك، فالأمر بما يفعل في الثالث، وما بعده مشروط بأن يفعل له استطاعة قبل الفعل بوقت، وإلاّ لا يكون مأموراً بالفعل[١].

وإن كانت باقية فالأمر على صفة الاستطاعة، لأنّه لا يصحّ الشرط بالموجود، لأنّ الشرط يحدث، فليس يخلو من أن يكون على شريطة وقوع القدرة، أو على صفة وجود القدرة[٢].

وقال قتادة: قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ كأنّه يذهب إلى أنّ فيه رخصة، كحال التقية وما جرى مجراها، ممّا يعظم فيه المشقة وإن كانت معه القدرة على الحقيقة[٣].

وقال غيره: ليس بناسخ، وإنّما هو مبيّن لإمكان العمل بها، وهو الصحيح لأنّ تقديره: اتقوا الله حقّ تقاته فيما استطعتم[٤].

---

١. قارن ١٠: ٢٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٥، والآية في سورة آل عمران: ١٠٢.

٤. قارن ١٠: ٢٦.

قوله: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فالقرض أخذ قطعة من المال بتمليك الآخذ له على رد مثله، وأصله القطع، من قرض الشيء يقرضه قرضاً، إذا قطع منه قطعة، وذكر القرض في صفة الله تلطفاً في الاستدعاء إلى الإنفاق في سبيل، فهو كالقرض في مثله مع أضعافه[1].

١. نفس المصدر.

سورة الطلاق

فصل

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا [فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۞ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۞ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا]﴾

الآيات: ١ – ٥.

يقول الله تعالى مخاطباً لنبيّه والمراد به أمته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ومعناه: إذا أردتم طلاق النساء كما قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾[١] وروي عن ابن عباس أنّه قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة، فيكون الخطاب للنبي والمراد به الأمّة من ذلك[٢].

وقال قوم: تقديره يا أيّها النبيّ قل لأمتك إذا طلّقتم النساء، فعلى قول هذا القول النبيّ يكون خارجاً من الحكم[٣].

وقال آخرون: هو على خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الأتباع، فعلى هذا حكم النبيّ حكم أمته في هذا الحكم، وأجمعت الأمة على أنّ حكم النبيّ ﷺ حكم أمته في الطلاق[٤].

والطلاق في ا لشرع: عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح، بأن يقول: أنتِ طالق يخاطبها، أو يقول: هذه طالق ويشير إليها، أو فلانة طالق بنت فلان[٥].

وعندنا لا يقع الطلاق إلاّ بهذا اللفظ المخصوص، ولا يقع بشيء من الكنايات طلاق، أراد به الطلاق أو لم يرد، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف[٦].

وأمّا الفراق، فقد يحصل بغير طلاق، كالارتداد، واللعان، والخلع عند كثير من أصحابنا، وإن لم يسمِ ذلك طلاقاً[٧].

وأما فسخ النكاح والرد بالعيب فقد يحصل بأشياء لا يسمّى طلاقاً[٨].

---

١. المائدة: ٦.

٢. قارن ١٠: ٢٨.

٣. قارن ١٠: ٢٨.

٤. قارن ١٠: ٢٩.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٩، وراجع الخلاف ٤: ٤٦٢.

٧. قارن ١٠: ٢٩.

٨. نفس المصدر.

ومن شرط وقوع الطلاق ـ عندنا ـ أن تكون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع بمحضر من شاهدين، ويقصد به إيقاع الطلاق ويتلفّظ بما قدّمناه، فحينئذٍ يقع تطليقة واحدة، وهو أملك برجعتها ما لم تخرج من العدّة، فإن خرجت قبل أن يراجعها كان كواحد من الخطّاب[١].

ومتى تلفظ بثلاث تطليقات، فإن كانت المرأة طاهراً مع باقي الشروط وقعت واحدة، وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا: يقع الثلاث[٢].

ثم اختلفوا فقال الشافعي ومن وافقه: يكون ذلك مسنوناً[٣].

وقال أهل العراق: المسنون أن يطلّقها واحدة بلفظ واحد، ومتى أوقع ثنتين أو ثلاثاً وقع، وأمّا غير المدخول بها، فعند جميعهم يقع الثلاث ولا عدّة عليها[٤].

وعندنا لا يقع إلاّ واحدة، وفي أصحابنا من يقول: متى تلفّظ بالثلاث لا يقع شيء والاعتماد على ما قلناه أولاً[٥].

ومتى طلّقها ثلاثاً أو واحدة وهي حائض وكان دخل بها، ولا يكون غائباً عنها شهراً فصاعداً، لا يقع عندنا شيء أصلاً[٦].

وقال جميع الفقهاء: هو بدعة وتبين المرأة بذلك[٧].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. نفس المصدر .

٧. نفس المصدر .

وقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ معناه: أن يطلّقها وهي طاهر من غير جماع، ويستوفي باقي الشروط[١].

وقال ابن عباس: هو أن يطلّقها طاهراً من غير جماع، وبه قال مجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة والضّحاك والسدي[٢].

فعلى هذا متى طلّقها في الحيض فلا يقع طلاقها، لأنّه خلاف المأمور به، وهو منهيّ عنه، والنهي يدلّ على فساد المنهي عنه، وعند الفقهاء أنّه يقع الطلاق وإن كان بدعة[٣].

ثم قال: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ فالعدّة قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدّة المرتبة في الشريعة، وعدّة المرأة على ضروب:[٤]

أحدها: عدّة التي لم تبلغ المحيض، ومثلها لا تحيض وهي التي لم تبلغ تسع سنين، فهذه لا عدّة عليها عند أكثر أصحابنا، وفيهم من قال: عدّتها بالشهور، وبه قال باقي الفقهاء[٥].

وعدّة التي ((لا)) تحيض ومثلها ((تحيض)) ثلاثة أشهر بلا خلاف[٦]، وعدّة التي تحيض ثلاثة أقراء، وهي الأطهار عندنا وعند كثير من الفقهاء، وعند قوم أنّها الحيض[٧].

---

١. قارن ١٠: ٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وعدّة التي ارتفع حيضها ومثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف، وقد حدّ ذلك أصحابنا بأن يكون سنّها أقلّ من خمسين سنة[١].

وعدّة الآيسة من المحيض ومثلها لا تحيض فلا عدّة عليها عند أكثر أصحابنا، وقال بعضهم: عدّتها بالأشهر، وهو مذهب جميع الفقهاء، وحدّ ذلك أصحابنا بأن يزيد سنّها على خمسين سنة، والقرشية حدّوها بستين سنة فصاعداً[٢].

وعدّة الحامل وضع ما في بطنها إذا كانت عدّة الطلاق، فإن كانت عدّة الوفاة فأبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضي أربعة أشهر وعشرة أيّام، وهو مذهب عليّ عليه السلام وابن عباس[٣].

وقال الفقهاء: عدّة المتوفى وضع ما في بطنها[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني: مدّة زمان العدّة[٥].

ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ﴾ هنّ يعني زمان العدّة، لأنّه لا يجوز إخراجها من بيتها[٦].

وعندنا وعند جميع الفقهاء يجب عليه السكنى والنفقة والكسوة إذا كانت تطليقة رجعية، فإن كانت بائنة فلا نفقة لها ولا سكنى[٧].

وقال الشافعي: لا نفقة لها ولا السكنى إذا كانت بائناً[٨].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

وقال أهل العراق: لها السكنى والنفقة[١].

وقوله: ﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ مَن فتح الياء أراد فاحشة أظهرت، ومَن خفض الياء أرد بفاحشة ظاهرة[٢].

وقال عطاء والضحاك وقتادة: لا يجوز أن تخرج من بيتها حتى تنقضي عدّتها إلاّ عند الفاحشة[٣].

وقال الحسن وعامر الشعبي ومجاهد وابن زيد: الفاحشة ها هنا الزنا تخرج لإقامة الحد[٤].

وقال ابن عباس: الفاحشة النداء على أهلها، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[٥].

وقال قتادة: الفاحشة هو النشوز[٦].

وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما تقدّم ذكره من كيفية الطلاق والعدّة وترك إخراجها عن بيتها إلاّ عند الفاحشة حدود الله، فالحدود نهايات تمنع أن يدخل في الشيء ما ليس منه، أو يخرج عنه ما هو منه، فقد بيّن الله بالأمر والنهي الحدود في الطاعة والمعصية بما ليس لأحد أن يدخل في شيء من ذلك ما ليس منه، أو يخرج عنه ما هو منه[٧].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٣١.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قال قوم: معناه لا تدري لعلّ الله يغيّر رأي الزوج في محبة الطلاق، فتكون مطلقة على ما أمر الله به، ويملك الرجعة فيما بين الواحدة والثانية، وما بين الثانية والثالثة[١].

وقال الضحاك والسدي وابن زيد: لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمر الرجعة في العدّة، وقيل: معناه لعلّ الله يحدث بعد ذلك شهوة المراجعة[٢].

وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ معناه: إذا قاربن أجلهنّ الّذي هو الخروج من عدتهنّ، لأنّه لا يجوز أن يكون المراد فإذا انقضى أجلهنّ، لأنّه عند انقضاء أجلهنّ لا يملك رجعتها وقد ملكت نفسها وبانت منه بواحدة، ثم تتزوّج من شاءت هو أو غيره[٣].

وإنّما المعنى إذا قاربن الخروج من عدتهنّ فأمسكوهنّ بأن تراجعوهنّ بمعروف بما يجب لها من النفقة والكسوة والسكنى وحسن الصحبة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بأن تتركوهنّ حتى يخرجن من العدّة[٤].

وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فعند أصحابنا أنّ الإشهاد شرط في وقوع الطلاق، لأنّ ظاهر الأمر بذلك يقتضيه، والأمر عندنا على الوجوب[٥].

وقال قوم: انّ ذلك راجع إلى الرجعة، وتقديره: وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتم ذوي عدل منكم وهي الرجعة في قول ابن عباس[٦].

---

١. قارن ١٠: ٣٢.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.

وقال الشافعي: الإشهاد على الرجعة أولى، ويجوز عند أكثرهم بغير إشهاد[١]، وإنّما ذكر الله الإشهاد كما ذكر في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وهو على الندب وهذا ترك الظاهر، ومتى حملنا الإشهاد على الفراق وهو الطلاق حملناه على ظاهره من الوجوب، وجعلناه شرطاً في وقوع الطلاق[٢].

ثم قال: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ إذا طولبتم بإقامتها ﴿ذَلِكُمْ﴾ معاشر المكلّفين ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ والوعظ معنى يدعو إلى الحقّ بالترغيب والترهيب[٣].

ثم بيّن كيفية العدد باختلاف أحوال النساء، فقال: ﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ يعني: انّ الآيسة من المحيض إذا كانت ترتاب بنفسها ولا تدري ارتفع حيضها لكبر أو لعارض ﴿فعدّتها ثلاثة أشهر﴾ وهي التي قلنا أنّ مثلها تحيض، لأنّها لو كانت في سنّ من لا تحيض لم يكن لريبتها معنى[٤].

وقال الزهري وعكرمة وقتادة: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ فلم تدروا للكبر أم لدم الاستحاضة فالعدّة ثلاثة أشهر[٥].

وقال قوم: إن ارتبتم فلم تدروا الحكم في ذلك فعدّتهنّ ثلاثة أشهر[٦].

وقوله: ﴿وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ تقديره: واللائي لم يحضن إن ارتبتم فعدّتهنّ ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة الكلام الأوّل عليه، والكلام فيه كالكلام في

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٢، والآية في سورة البقرة: ٢٨٢.

٣. قارن ١٠: ٣٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

الآيسة[١]، وقال قتادة: اللائي يئسن الكبار، واللائي لم يحضن الصغار[٢].

ثم قال: ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بيّن أنّ عدّة الحامل من الطلاق وضع الحمل الّذي معها، فإن وضعت عقيب الطلاق فقد ملكت نفسها[٣].

ويجوز لها أن تعقد لغيره على نفسها، غير أنّه لا يجوز له وطؤها، لأنّ نفاسها كالحيض سواء، فإذا طهرت من نفاسها حلّ له ذلك[٤].

فإن كانت حاملاً باثنين ووضعت واحداً، لم تحل للأزواج حتى تضع جميع الحمل، لقوله: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٥].

فأمّا انقطاع الرجعة، فقد روى أصحابنا: أنّها إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الأوّل، ولا يجوز لها العقد لغيره حتى تضع الآخر[٦].

فأمّا إذا توفى عنها زوجها، فعدّتها ـ عندنا ـ أبعد الأجلين، إن وضعت قبل الأربعة الأشهر استوفت أربعة أشهر وعشرة أيّام، وإن مضت منها أربعة أشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل[٧].

وقال ابن عباس: الآية في المطلّقة خاصة كما قلناه[٨].

وقال ابن مسعود وأبيّ ابن كعب وقتادة والسدي وأكثر الفقهاء: انّ حكم المطلقة والمتوفى عنها زوجها واحد، في أنّها متى وضعت حلّت للأزواج،

---

١. قارن ١٠: ٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

والّذي اخترناه هو مذهب عليّ عليه السلام[١].

والوجد ملك ما يجده المالك له، وذلك أنّه قد يملك المالك ما يغيب عنه، وقد يملك ما هو حاضر له فذلك وجده[٢].

فصل

قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ الآيات: ٦ – ١٠.

وقد بيّنا أنّ السكنى والنفقة يجب للرجعية بلا خلاف. فأمّا المبتوتة فلا سكنى لها ولا نفقة عندنا[٣].

---

١. نفس المصدر، في نسخة دانشگاه الهيّات ومعارف اسلامي مشهد (وهي مصوّرة عن نسخة مكتبة ملك بطهران) وقع سهو من الناسخ في المقام، فذكر بعض ما يتعلّق بحكم السكن والنفقة للمطلقة الرجعية قبل أن يذكر الآيات المتعلّقة بأحكامها الآتية، فأعدناها إلى مكانها الصحيح، وهذا ما غفل عنه محقق الطبعة الأولى فلم ينبّه عليه، وجلّ من لا يسهو.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٦.

وقوله: ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ قال السدي: من ملككم[١].

وقال ابن زيد: هو إذا قال صاحب المسكن: لا أترك هذه في بيتي فليس من وجده، ويجوز له حينئذٍ أن ينقلها إلى غيره[٢].

قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ﴾ يعني النساء المطلقات ﴿أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أمر من الله تعالى بالإنفاق على الحامل المطلّقة، سواء كانت رجعية أو مبتوتة، ولا خلاف في ذلك، وإنّما يجب أن ينفق عليها بسبب ما في بطنها، وإنّما تسقط نفقتها بالوضع، والحمل ـ بفتح الحاء ـ ما يكون في البطن، ويقال للعدل الحمل بالكسر[٣].

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أمر من الله تعالى، بأنّ الأم المطلّقة متى ولدت ورغبت في رضاع ولدها، كان على الأب أجرة الرضاع أجرة المثل، فإن رضيت الأجنبية بشيء معلوم لأجرة الرضاع ورضيت بمثله الأم كانت الأم أولى، وإن لم ترض الأم بذلك القدر كان للأب تسليمه إلى الأجنبية، وإن كان الولد لا يقبل إلاّ لبن الأم أجبرت عليه، وإلاّ أدّى إلى هلاك الولد[٤].

والرضاع سقي المرأة من لبنها للولد، ومنه قول النبيّ ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» يعني أنّ المرضعة تصير بمنزلة الأم، وأمها بمنزلة الجدّة، وأختها خالة، وبنتها أختاً، وابنها أخاً، وهكذا سائر المحرمات[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٧، والحديث في مسند أحمد ١: ٣٣٣، والكافي ٥: ٤٤٢، ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٥.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ خطاب للرجل وزوجته المطلّقة، أنّهما متى اختلفا في رضاع الصبي أرضعته امرأة أخرى[١].

فصل

قوله تعالى: ﴿رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ [وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا * ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا]﴾ الآيتان: ١١ – ١٢.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ إخبار من الله تعالى، أنّه الّذي أنشأ سبع سماوات ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي وخلق من الأرض مثلهنّ في العدد، لا في الكيفية، لأنّ كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض، والمثل ما سدّ مسدّ غيره فيما يرجع إلى ذاته[٢].

وليس في القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع غير هذه الآية، ذكره الجبائي[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣٧.

٢. قارن ١٠: ٤١.

٣. قارن ١٠: ٤٢.

سورة التحريم

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ [فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا]﴾ الآيات: ١ – ٥.

هذا خطاب من الله تعالى للنبيّ ﷺ وعتاب له على تحريمه على نفسه ما أباحه الله له وأحلّه له، ولا يدلّ ذلك على أنّه وقعت منه معصية، لأنّ العتاب قد يكون على أمر يكون الأولى خلافه، كما يكون على ترك الواجب[1].

وقيل في سبب نزول قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قولان:

---

١. قارن ١٠: ٤٤.

أحدهما: قال زيد بن أسلم ومسروق وقتادة والشعبي وابن زيد والضحاك: انّ النبيّ ﷺ حرّم على نفسه مارية القبطية بيمين، أنّه لا يقربها طلباً لمرضاة حفصة زوجته، لأنّها غارت عليه من أجلها[١].

وقال الحسن: حرم رسول الله أم ولده إبراهيم وهي مارية القطبية على نفسه، وأسرّ بذلك إلى زوجته حفصة فأفضت به إلى عائشة، وكانت حفصة بنت عمر قد زارت عائشة فخلى بيتها، فوجّه رسول الله ﷺ إلى مارية، فكانت معه، فجاءت حفصة فأسر إليها التحريم[٢].

وعندنا أنّه لا يلزم بقوله أنت حرام عليَّ شيء ووجوده كعدمه، وهو مذهب مسروق من الفقهاء، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف[٣]، وإنّما أوجب الله الكفّارة لأنّ النبيّ ﷺ كان حلف أن لا يقرب جاريته[٤].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٤٤، ولم يذكر ابن إدريس القول الثاني في سبب النزول وهو كما في التبيان ١٠: ٤٥: القول الثاني: ما رواه عبد الله بن شداد بن الهلال ((الهاد، صح)) أنّ النبيّ ﷺ كان شرب عند زينب شراب عسل كانت تصلحه له، فكان يطول مكثه عندها، فكرهت ذلك عائشة وحفصة فقالت له: انا نشم منك ريح المغافير ـ وهي بقلة متغيرة الرائحة في قول المفسّرين ـ وقال الزجاج: هي بقلة منتنة، فحرّم النبيّ ﷺ شراب العسل الّذي كان يشربه عند زوجته بنت جحش ... .

وكلا القولين رواهما العامة، وزاد ابن كثير قولاً ثالثاً في تفسيره ٤: ٣٨٧ رواه ابن أبي حاتم أنّ الآية نزلت في المرأة التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ وقال: هذا قول غريب، والصحيح أنّ ذلك كان في تحريمه العسل ـ كما قال البخاري عند هذه الآية وساق الحديث عن عائشة وفيه: فتواطأت أنا وحفصة على أيّتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير، انّي أجد منك ريح مغافير الخ، ـ ثم قال ابن كثير هكذا أورد ـ البخاري ـ هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ، ثم ساق روايات البخاري في كلّ من كتاب الأيمان والنذور، وفي كتاب الطلاق، وذكر أنّ الحديث عن ابن عباس وسؤاله عمر عن المرأتين وجواب عمر: واعجباً لك يا بن عباس، وقول الزهري: كره والله ما سأل عنه ولم يكتمه ـ قال: هي عائشة وحفصة ـ وساق الحديث بطوله، وهذا قد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به.

٣. قارن ١٠: ٤٥.

٤. قارن ١٠: ٤٥.

وقوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي قدّر الله تعالى ما تحلون به يمينكم إذا فعلتموه، وذلك يدلّ على أنّه عليه السلام كان حلف دون أن يكون قال هي عليَّ حرام، لأنّ ذلك ليس بيمين عند أكثر الفقهاء[١].

وتحلّة اليمين هو فعل ما يسقط تبعة اليمين: إمّا بكفارة، أو تناول شيء من المحلوف عليه، فمن حلف أن لا يأكل من هذا الطعام، فمتى أكل حنث ولزمته كفّارة وينحل اليمين بها، ومن حلف أنّه يأكل من هذا الطعام وأكل منه شيئاً قليلاً فقد انحلت يمينه، فلذلك سمّي تحلّة اليمين[٢].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾ معناه: والله ناصركم وهو أولى بكم منكم بأنفسكم ومن كلّ أحد، وهو العليم بجميع الأشياء الحكيم في جميع أفعاله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ﴾ معناه: واذكروا حين أسرّ النبيّ ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ فالإسرار إلقاء المعنى إلى نفس المحدّث على وجه الإخفاء عن غيره، يقال: أسرّ إليه كذا وكذا إسراراً والإسرار نقيض الإعلان[٤].

وقيل: انّه كان أسرّ إلى حفصة أن لا تخبر عائشة بكونه مع مارية في يوم عائشة.

وقيل: أنّه حرّمها على نفسه فاطّلعت عليه عائشة فاستكتمها النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرت حفصة بذلك، فانتشر الخبر، فعاتبهما الله على ذلك[٥].

---

١. قارن ١٠: ٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقال الزجاج والفرّاء: أسرّ إليها بأنّه سيلي الأمر بعده أبو بكر وعمر وعثمان، فتباشرا بذلك فانتشر الخبر[١].

وروى أصحابنا أنّه أسرّ إلى عائشة بما يكون بعده من قيام من يقوم بالأمر، ودفع عليّ عليه السلام عن مقامه، فبشّرت بذلك أباها، فعاتبها الله على ذلك[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ معناه: لما أخبرت التي أسرّ إليها بما خبرها به إلى غيرها، وأعلم الله تعالى نبيّه ذلك فأظهره له: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾[٣].

وقوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مع أنّ لهما قلبين، لأنّ كلّ ما تثبت الإضافة فيه معنى التثنية، فلفظ الجمع أحق به، لأنّه أمكن وأخف بإعراب الواحد وقلّة الزائد، وذلك في كلّ شيئين من شيئين، ويجوز التثنية لأنّها الأصل[٤]، كما قال الراجز:

ظهراهما مثل ظهور الترسين[٥]

١ـ لقد وردت عدّة روايات في تفاسيرالعامة ذكرت ذلك وليس فيها ذكر عثمان، راجع تفسير القرطبي والسيوطي والآلوسي وغيرها، وفي الآلوسي تأسيس بئيس لخلافة الشيخين حاول الزام الشيعة بذلك لأنّ بعض تلك الروايات وردت في بعض كتبهم، وأنا لست في مقام الدفاع ولكنّي أردت التنبيه على عدم استقامته، وهذا لو كان موضوعياً مثل ابن جزي في التسهيل ٤: ١٣١ حين قال: اختلف في هذا الحديث (وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً) على ثلاثة أقوال: أحدها أنّه تحريم الجارية فإنّه لما حرّمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحداً، والآخر أنّه قال: انّ أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده، والثالث أنّه قوله شربت عسلاً، والأوّل أشهر، (وبعض أزواجه) حفصة.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٤٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٤٧، والرجز كما في المحلى لابن حزم ٨: ٤٢٧:

ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين

ونسبه في اللسان إلى خطام المجاشعي.

وفي شرح شواهد الكشاف: ٥٥٥ ط مصر بعد الشاهد قوله: (جبتهما بالنعت لا بالنعتين).

فجمع المذهبين.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ معناه وإن تعاونا على خلافه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ﴾ يعني الله هو الّذي يتولّى حفظه وحياطته ونصرته ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ أيضاً معين له وناصره ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الضحّاك: يعني خِيار المؤمنين[١].

وقال قتادة: يعني الأتقياء[٢].

وقال الزجاج: صالح المؤمنين واحد في موضع الجمع[٣].

وقال أبو مسلم محمّد بن بحر الاصفهاني: هو صالحوا المؤمنين على الجمع، غير أنّه حذفت الواو للإضافة، وهذا غلط، لأنّ النون سقطت للإضافة، فكان يجب أن يثبت الواو في الخط، وفي المصاحف بلا واو[٤].

وروت الخاصة والعامة أنّ المراد بـ ﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عليّ عليه السلام، وذلك يدلّ على أنّه أفضلهم، لأنّ القائل إذا قال: فلان فارس قومه، أو شجاع قبيلته أو صالحهم، فإنّه يفهم من جميع ذلك أنّه أفرسهم وأشجعهم وأصلحهم[٥].

---

١. قارن ١٠: ٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. روى الحافظ الكنجي في كفاية الطالب: ١٣٨ ط الحيدرية الثانية، وابن عساكر في ترجمة الإمام من تاريخ دمشق ٢: ٤٢٥، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٥٤ بأسانيد متعدّدة، والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٢٤٤ عن ابن مردويه وابن عساكر، وابن حجر في الصواعق: ١٤٤ ط الميمنية سنة ١٣١٢، والحموينى في فرائد السمطين ١: ٣٦٣، وابن المغازلي في المناقب: ٢٦٩، وابن كثير في تفسيره ٤: ٣٨٩ عن مجاهد، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٨: ٢٩١، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٣: ٢٧ قال: وأخرج الطبري عن مجاهد أنّ صالح المؤمنين هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولم أقف عليه في تفسيره عند ذكر الآية، ورواه في كنز العمال ١: ٢٣٧ ط الأولى عن ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ معناه: معين له، فالظهير المعين[١].

ومعنى ﴿خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ أي أفضل منكنّ وأصلح له[٢].

ثم وصفهنّ فقال: ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ وهنّ اللواتي يظهرن الإسلام والشهادتين مستسلمات لما أمر الله به[٣].

﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي مصدّقات بتوحيد الله واخلاص العبادة له، مقرّات بنبوّة نبيّه عليه السلام، وقيل: معناه مصدّقات في قولهنّ وفعلهنّ[٤].

﴿قَانِتَاتٍ﴾ أي خاضعات متذلّلات لله تعالى، وقيل: معنى ﴿قَانِتَاتٍ﴾ راجعات إلى الله بفعل ما يجب له عزّ وجلّ[٥].

﴿سَائِحَاتٍ﴾ معناه: ماضيات في طاعة الله، وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: معنى ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات، وقال زيد بن أسلم: معنى ﴿سَائِحَاتٍ﴾ مهاجرات، وهو اختيار الجبائي، وقيل للصائم سائح، لأنّه يستمر به في الإمساك عن الطعام، كما يستمر السائح في الأرض[٦].

وقوله: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ مروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصيته[٧].

---

١. قارن ١٠: ٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٤٩.

٧. قارن ١٠: ٥٠.

ثم وصف الله تعالى النار التي حذّرهم منها، فقال: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قيل: حطب تلك النار الناس والحجارة، يعني حجارة الكبريت، وهو أشد ما يكون من العذاب[١].

﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ﴾ ومعناه: غلاظ في الأخلاق وإن كانوا رقاق الأجسام، لأنّ الظاهر من حال الملك أنّه روحاني، فخروجه عن الروحانية كخروجه عن صورة الملائكة، شِداد في القوى لا يعصون الله ما أمرهم به[٢].

وفي ذلك دلالة على أنّ الملائكة الموكلين بالنار وبعقاب العصاة معصومون من فعل القبيح، لا يخالفون الله في أمره، ويمتثلون كلّ ما يأمرهم به، وعمومه يقتضي أنّهم لا يعصونه في صغير ولا كبير[٣].

وقال الرماني: لا يجوز أن يعصى الملك في صغيرة ولا كبيرة، لتمسّكه بما يدعو إليه العقل دون الطبع، وكلّ من يمسك بما يدعوا إليه العقل دون الطبع، فإنّه لا يقع منه قبيح، وقد اختارهم الله على ما في المعلوم منهم[٤].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قيل: معناه جاهد الكفّار بالقتال والحرب، والمنافقين بالقول الّذي يردع عن القبيح لا بالحرب، إلاّ أنّ فيه بذل المجهود، فلذلك سمّاه جهاداً، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: جاهد الكفّار بالمنافقين، لأنّه عليه السلام يجاهد الكفّار وفي عسكره جماعة من المنافقين يقاتلون معه[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي أشدد عليهم[٦].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ١٠: ٥٢ .

٦. نفس المصدر .

وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ قال ابن عباس: كانت امرأة نوح وامرأة لوط منافقتين فخانتاهما.

قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس: انّه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلّ على أضيافه، وكان ذلك خيانتهما لهما، وما زنت امرأة نبيّ قط، لما في ذلك من التنفير عن الرسول وإلحاق الوصمة به، فمن نسب أحداً من زوجات النبيّ إلى الزنا فقد أخطأ خطأً عظيماً، وليس ذلك قولاً لمحصل[١].

ثم قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا﴾ أي لم يغن نوح ولوط المرأتين ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لم ينجياهما من عقاب الله وعذابه ﴿وَقِيلَ﴾ لهما يوم القيامة ﴿ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ من الكفّار[٢].

قال الفراء: هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة وبيّن أنّه لا يغنيهما ولا ينفعهما مكانهما من رسول الله ﷺ إن لم يطيعا الله ورسوله ويمتثلا أمرهما، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط كونهما تحت نبيّين[٣].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قال الزمخشري في الكشاف ٤: ٢٤٩ في تفسير الآية: وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه، لما في التمثيل من ذكر الكفر، ونحوه في التغليظ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. وإشارة إلى انّ من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله، فإنّ ذلك الفضل لا ينفعهما مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة أرجح لأنّ امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله.
وقال الرازي في تفسيره ٨: ٢٣٧ ط العامرة: وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين وهما حفصة وعائشة لما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر. ←

وفي ذلك زجر لهما عن المعاصي، وأمر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران في طاعتهما لله تعالى وامتثال أمره ونهيه[١].

فصل

قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ الآيتان: ١١ – ١٢.

الفائدة في هذه الآية وفي الآية الّتي قبلها: انّ أحداً لا ينفعه إلاّ عمله، ولا

← ولم يبعد الخازن في تفسيره ٤: ٢٨٨ عن ذلك حيث قال: وفي هذا المثل تعريض بأمي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه.

وذكر الشوكاني في فتح القدير ٥: ٢٤٨ ط الأولى بمصر، والماوردي في النكت والعيون ٦: ٤٧ ط دار الكتب العلمية قول يحيى بن سلام: ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله ﷺ حين تظاهرا عليه، ثم قال الشوكاني: وما أحسن ما قال فإنّ ذكر امرأتي النبيّين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله ﷺ يرشد أتمّ إرشاد ويلوّح أبلغ تلويح إلى أنّ المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين، وبيان أنّهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله، فإنّ ذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً.

وقال الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير ٤: ٢٧٤: وفي هذا المثل تعريض بأمي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أعلى وجه وأشدّه، وفيه تنبيه على أنّ العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة، وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٨: ٨٤ ط دار الكتب العلمية: قال المفسّرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمّن تخويف عائشة وحفصة أنّهما إن عصيتا ربّهما لم يغن رسول الله ﷺ عنهما شيئاً.

١. قارن ١٠: ٥٣.

يؤخذ بجرم غيره، وإن كان خصيصاً به وملازماً له، وبيّن أنّ امرأة نوح وامرأة لوط لم ينفعهما قربهما من نبيَين واختصاصهما والتصاقهما بهما، لما كانتا كافرتين عاصيتين لله، بل عاقبهما الله بالنار بكفرهما وسوء أفعالهما، وبيّن في هذه الآية أنّ كفر فرعون لم يتعد إلى زوجته لما كانت مؤمنة طائعة لله تعالى[١].

وقوله: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فإحصان الفرج منعه من دنس المعصية، يقال: أحصن يحصن احصاناً، ومنه الحصن الحصين، لأنّه بناء منيع، والفرس الحصان الذي يمنع من ركوبه[٢].

وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا﴾ قال قتادة: معناه فنفخنا في جيبها من روحنا[٣].

وقال الفراء كلّ شق فهو فرج، فأحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرئيل عليه السلام، والظاهر أنّه أراد الفرج الّذي يكنى عنه[٤].

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ يعني: في الفرج، فلذلك ذكر في الأنبياء ﴿فِيها﴾ لأنّه رد إلى الّتي أحصنت فرجها[٥]، وقيل: انّ جبرئيل نفخ في فرجها، فخلق الله فيه المسيح[٦].

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ يعني: بما تكلّم الله به وأوحاه إلى أنبيائه[٧].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٥٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٥٥.

٧. نفس المصدر.

سورة الملك

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ * ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ [يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ * وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ]﴾ الآيات: ١ – ٥.

معنى قوله: ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ أي من شقوق وصدوع، يقال: فطره يفطره فطوراً فهو فاطر إذا شقّه، ومنه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي يتصدّعن[1].

---

١. قارن ١٠: ٥٩، والآية في سورة مريم: ٩٠.

وقال ابن عباس: هل ترى من وهن[١]، وقال قتادة: من خلل[٢]، وقال سفيان: من شقوق[٣].

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي دفعة ثانية، لأنّ من نظر في الشيء كرة بعد أخرى بان له ما لم يكن بائناً له[٤].

وقوله: ﴿خَاسِئًا﴾ يعني: ذليلاً صاغراً، في قول ابن عباس. وقال قتادة: معناه كالّ معيى، فالحسير الكليل[٥].

فصل

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ [هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ]﴾ الآيات: ١٢ – ١٥.

قوله: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ معناه: من خلق الصدور يعلم ما في الصدور، ويجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق الأشياء ما في الصدور[٦].

---

١. قارن ١٠: ٥٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٦٤.

وقيل: تقديره ألا يعلم سر العبد من خلقه، يعني من خلق العبد، ويجوز أن يكون المراد ألا يعلم سرّ من خلق، وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه[١].

ولا يجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق أفعال القلوب، لأنّه لو أراد ذلك لقال: ألا يعلم ما خلق، لأنّه لا يعبر عمّا لا يعقل بـ(من)[٢].

ولا يدلّ ذلك على أنّ الواحد منّا لا يخلق أفعاله من حيث أنّه لا يعلم الضمائر[٣]، لأنّا بيّنا أنّ المراد ألا يعلم من خلق الصدور أي خلق الأشياء، والواحد منّا لا يخلق ذلك، فلا يجب أن يكون عالماً بالضمائر[٤].

فصل

قوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ [وَيَقْبِضْنَ ۚ مَآ يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ * أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ * أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ]﴾ الآيات: ١٧ – ٢١.

---

١. قارن ١٠: ٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

المعنى: ءأمنتم من في السماء سلطانه ونهيه وأمره، كما قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أي وهو الله في السماوات والأرض معلومه، لا يخفى عليه شيء منه[١].

وقيل: أيضاً يجوز أن يكون المراد أأمنتم من في السماء، يعني: الملك الكائن في السماء أن يخسف بكم الأرض بأمر الله[٢].

فصل

قوله: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ]﴾ الآيات: ٢٢ – ٢٦.

يقال: أكب يكب إكباباً فهو مكب فيما لا يتعدى، قال الأعشى:

مكبـاً علـى روقيـه يحفـر عرقـه على ظهر عريان الطريقة أهيما[٣]

---

١. قارن ١٠: ٦٦، والآية في سورة الأنعام: ٣.

٢. قارن ١٠: ٦٦.

٣. قارن ١٠: ٦٩، والبيت في ديوان الأعشى الكبير: ١٨٨ ط النموذجية بمصر.

سورة النون

قوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۞ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ [وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۞ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۞ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۞ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۞ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ]﴾ الآيات: ١-١٦.

اختلفوا في معنى ((ن)) في هذا الموضع، فقال قوم: هو اسم من أسماء السورة، مثل ((حم)) و ((المص)) و ((ق)) وما أشبه ذلك، وهو الّذي قلنا أنّه أقوى الأقوال[١].

وقال ابن عباس في رواية عنه: انّ النون الحوت الّذي عليه الأرضون، وفي رواية أخرى عنه: أنّ النون الدواة، وهو قول الحسن وقتادة[٢].

قوله: ﴿لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال الحسن: على دين عظيم وهو الإسلام،

---

١. قارن ١٠: ٧٤.

٢. نفس المصدر.

وقيل: أدب القرآن، وقال المؤرج: معناه على دين عظيم بلغة قريش[١].

والخلق المرور في الفعل على عادة، والخلق الكريم الصبر على الحقّ وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل، وفي ذلك الرفق والأناة والحلم والمداراة[٢].

قوله: ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: بأي فرقكم المفتون بما يجري مجرى الجنون[٣].

والثاني: أن يكون معنى ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ كما يقال: ليس له معقول أي عقل، فتقديره ستعلم ويعلمون بمن منكم المجنون، وقيل: معنى الباء ((في)) فكأنّه قال: في أيكم الجنون[٤].

والمفتون المبتلى بتخيّل الرأي كالمجنون، وذلك كما يبتلى بشدة الهوى للمحبوب، فيقال: فتن فلان بفلانة على هذا المعنى، وقال ابن عباس: بأيكم الجنون[٥].

***

والهاء[٦] في بصيرة مثل الهاء في علامة للمبالغة.

---

١. قارن ١٠: ٧٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٧٦.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٧٦، وما بعد هذا سقط أكثر من ماءة صفحة يتضمّن تفسير بقية سورة القلم وتمام سورة الحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمّل والمدّثر وأوائل سورة القيامة إلى الآية: ١٤.

٦. من هنا نعود إلى المتن ويبدأ النص من منتخب التبيان لابن إدريس من سورة القيامة الآية ١٤ من قوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ * لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

وقوله: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك: كان النبيّ ﷺ إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه، فنهاه الله عن ذلك[١].

والتحريك تغيير الشيء من مكان إلى مكان، أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه[٢].

العجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الّذي ينبغي أن يعمل فيه ونقيضه الابطاء، والسرعة عمل الشيء في أول وقته الّذي هو له وضده الأناة[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال ابن عباس والضحاك: معناه أنّ علينا جمعه في صدرك وقراءته عليك حتى يمكنك تلاوته[٤].

فصل

قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ [فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ]﴾ الآيات: ٢٦ – ٤٠.

---

١. قارن ١٠: ١٩٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قوله: ﴿وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه التفت شدّة أمر الآخرة بأمر الدنيا[١].

وقال الحسن: التفت حال الموت بحال الحياة، ويقولون: قامت الحرب على ساق عند شدّة الأمر[٢]، قال الشاعر:

فإذا شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع ولا تسام[٣]

وقوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ فالتمطّي تمدّد البدن من الكسل، والذم بكسل التثاقل عن الداعي إلى الحق[٤].

وقال مجاهد وقتادة: معنى ﴿يَتَمَطَّى﴾ يتبختر[٥]، وقيل: نزلت الآية في أبي جهل[٦].

وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ قال قتادة: هو وعيد على وعيد، وقيل: معنى ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ وليك الشر يا أبا جهل[٧].

وقيل: معناه الذم أولى لك من تركه، إلاّ أنّه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك[٨].

---

١. قارن ١٠: ٢٠١.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. قارن ١٠: ٢٠٢.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر.
٧. نفس المصدر.
٨. نفس المصدر.

سورة الإنسان

فصل

قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا * إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا [إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا * يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا * وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

قوله: ﴿هَلۡ أَتَى﴾ قال الزجاج: معناه ألم يأت على الإنسان حين من الدهر وقد كان شيئاً إلاّ أنّه لم يكن مذكوراً، لأنّه كان تراباً وطيناً[1].

وقال قوم: ((هل)) يحتمل معناه أمرين:

---

١. قارن ١٠: ٢٠٥.

أحدهما: أن يكون بمعنى قد أتى.

والثاني: أن يكون معناها أتى على الإنسان، والأغلب عليها الاستفهام[١].

والإنسان في اللغة حيوان على صورة الإنسانية، وقد تكون الصورة الإنسانية ولا إنسان، وقد يكون حيوان ولا إنسان، فإذا حصل المعنيان صح إنسان لا محالة[٢].

والحين مدّة من الزمان، وقد يقع على الكثير والقليل، قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٣] أي: وقت تمسون ووقت تصبحون، وقال تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ يعني: كلّ ستة أشهر[٤].

وفي الآية دلالة على أنّ المعدوم لا يسمّى شيئاً، وإنّما سمّي زلزلة الساعة شيئاً مجازاً، والمعنى أنّها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً[٥].

وقوله: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ قال ابن عباس: أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة[٦]، ويقال مشجت هذا بهذا أي خلطته به وهو ممشوج به ومشيج به أي مخلوط به، قال رؤبة:

يطرحن كلّ معجل نشاج لم تكس جلداً في دم أمشاج[٧]

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٠٥، والآية في سورة الروم: ١٧.

٤. قارن ١٠: ٢٠٥، والآية في سورة إبراهيم: ٢٥.

٥. قارن ١٠: ٢٠٦.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ١٠: ٢٠٦، والرجز لرؤبة كما في ديوانه.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ معناه: إنّا أرشدناه إلى سبيل الحقّ وبيّناه له ودللناه عليه[١].

وقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال الفراء: ان شكر وان كفر على الجزاء[٢]. والمعنى إمّا أن يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمه فيصيب الحقّ، وإمّا أن يكفر نعمه ويجحد احسانه، فيكون ضالاً عن الصواب[٣].

وليس المعنى أنّه مخيّر في ذلك، وإنّما خرج ذلك مخرج التهديد، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ بدلالة قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ وإنّما المراد البيان عن أنّه قادر عليهما، فأيّهما اختار جوزي بحسبه[٤].

وفي الآية دلالة على أنّه تعالى قد هدى جميع المكلّفين، لأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ عام في جميعهم، وذلك يبطل قول المجبّرة: أنّ الله لم يهد الكافر بنصب الدلالة على طريق الحقّ واجتناب الباطل[٥].

والكأس إناء الشراب إذا كان فيه، ولا يسمّى كأساً إذا لم يكن فيه شراب، ذكره الزجاج[٦].

وقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ قيل: ما يشم من ريحها لا من جهة طعمها[٧].

---

١. قارن ١٠: ٢٠٧.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. قارن ١٠: ٢٠٧، والآية في سورة الكهف: ٢٩.
٥. قارن ١٠: ٢٠٧.
٦. قارن ١٠: ٢٠٨.
٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ نصب على البدل من كافور، ويجوز أن يكون على تقدير ويشربون عيناً، ويجوز أن يكون نصباً على الحال من مزاجها، قال الفراء: شربها وشرب فيها سواء في المعنى[١].

والوفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه، فالوفاء امضاء العقد على الأمر الّذي يدعو إليه العقل، ومنه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الصحيحة، لأنّه لا يلزم أحداً أن يفي بعقد فاسد، وكلّ عقد صحيح يجب الوفاء به[٢].

القمطرير الشديد في الشر، وقد اقمطر اليوم، ويوم قمطرير، وقماطر، كأنّه قد التف شره بعضه على بعض[٣]، قال الشاعر:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوماً قماطر[٤]

وقد روت الخاصة والعامة أنّ هذه الآية نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فإنّهم آثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليال[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢٠٩، والآية في سورة المائدة: ١.

٣. قارن ١٠: ٢١٠.

٤. قارن ١٠: ٢١٠، والبيت من الشواهد في تفاسير الطبري والقرطبي والشوكاني والسمعاني وابن عطية وابن الجوزي ولم ينسب إلى شاعر باسمه.

٥. راجع المصادر التالية من التفاسير النكت والعيون للماوردي ٦: ١٦٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٨: ١٦٨، وأشار إليه أيضاً في كتابه المدهش: ١٢٨ ط بغداد، وتفسير النسفي ٨: ٣١٨، والكشاف للزمخشري ٤: ٢٩٧، والفتوحات الإلهية للجمل ٤: ٤٢٥.

والدر المنثور للسيوطي ٦: ٢٩٩، نقلاً عن ابن مردويه والواحدي في أسباب النزول: ٣٣١، والقشيري في لطائف الإشارات ٣: ٦٦٣، والآلوسي في روح المعاني ٢٩: ١٥٧ وغير ذلك من التفاسير، أمّا من غير التفسير فراجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ٢٩٨ – ٣١٥، وتذكرة خواص الأمة ←

← لسبط ابن الجوزي: ٣٢٢، وأسد الغابة لابن الأثير ٥: ٥٣٠ في ترجمة فضة، والمناقب للخوارزمي الحنفي: ٧٨٨ نقلاً عن الثعلبي في تفسيره، والرياض النضرة للمحب الطبري ٢: ٢٢٧، وذخائر العقبى: ١٠٢ له أيضاً، ونور الأبصار للشبلنجي: ١٠٢ وغير ذلك كثير، وسيجد القارئ في بعض التفاسير روايات تافهة وتشكيكات بائسة فمن الروايات: أنّ أسارى مشركي بدر أنفق عليهم سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح، فقالت الأنصار: قتلناهم في الله وفي رسوله وتوفونهم بالنفقة، فأنزل الله ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ وهذا القول لا يخفى ما فيه من التفاهة والسفاهة فأين النذر لمن ذكروا ؟ وأين اليتيم والمسكين ؟ أما التشكيكات البائسة اليائسة فقد قالوا: إنّ السورة مكية والقصة كانت بالمدينة، وقد قال الحاكم الحسكاني: اعترض بعض النواصب على هذه القصة بأن قال: إتفق أهل التفسير على أنّ هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة ـ إن كانت ـ فكيف كانت سبب نزول السورة ؟ وبان بهذا أنّها مخترعة .

قلت ـ والقائل هو الحسكاني ـ: كيف يسوغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر أنّها مدنية، ثم ساق عدّة أحاديث عن ابن عباس وغيره أنّها مدنية، فليراجعها من شاء في شواهد التنزيل .

ومع ذلك الدفع ووضوح الرؤية في شأن نزولها في أهل البيت نجد للآلوسي في روح المعاني كلاماً لا يخلو من همز ولمز فقد قال في ص ١٥٧ بعد نقله الخبر بطوله: والخبر مشهور بين الناس، ذكره الواحدي في البسيط وعليه قول بعض الشيعة:

إلـــى مَ ألام وحتـــى متـــى أعاتـب فـي حـب هـذا الفتـى

وهـــل زوجـــة غيـــره فـــاطم وفـي غيـره هـل أتـى هـل أتـى

وتُعقّب بأنّه خبر موضوع مفتعل كما ذكره الترمذي وابن الجوزي، وآثار الوضع ظاهرة عليه لفظاً ومعنى، ثم أنّه يقتضي أن تكون السورة مدنية، لأنّ بناء عليّ كرّم الله تعالى وجهه على فاطمة رضي الله تعالى عنهما كان بالمدينة، وهي عند ابن عباس المروي عنه على ما أخرج النحاس مكيّة، وكذا عند الجمهور في قول. وأقول: أمر مكيّتها ومدنيتها مختلف فيه جداً كما سمعت فلا جزم فيه بشيء، وابن الجوزي نقل الخبر في تبصرته ولم يتعقبّه، على أنّه ممن يتساهل في أمر الوضع حتى قالوا أنّه لا يعوّل عليه في هذا الباب، فاحتمال أصل النزول في الأمير كرّم الله تعالى وجهه وفاطمة رضي الله تعالى عنها قائم، ولا جزم بنفي ولا اثبات لتعارض الأخبار، ولا يكاد يسلم المرجح عن قيل وقال، نعم لعلّه يترجّح عدم وقوع الكيفية التي تضمّنتها الرواية الأولى، ثم انّه على القول بنزولها فيهما لا يتخصّص حكمها بهما، بل يشمل كلّ من فعل مثل ذلك كما ذكره الطبرسي من الشيعة في مجمع ←

فصل

قوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا [مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ * قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا]﴾ الآيات: ١١ – ٢٠.

الزنجبيل ضرب من القرفة طيب الطعم يلذع اللسان ويربّى بالعسل،

← البيان راوياً له عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه، وعلى القول بعدم النزول فيهما لا يتطامن مقامهما ولا ينقص قدرهما إذ دخولهما في الأبرار أمر جلي، بل هو دخول أولي، فهما هما، وماذا عسى يقول أمرؤ فيهما، سوى أنّ عليّاً مولى المؤمنين ووصي النبيّ، وفاطمة البضعة الأحمدية والجزء المحمدي، وأما الحسنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجنان، وليس هذا من الرفض بشيء، بل ما سواه عندي هو الغيّ.

أنا عبد الحقّ لا عبد الهوى ... لعن الله الهوى فيمن لعن

أقول: ونحن كذلك عبيد الحقّ ومن الحقّ أن نذعن للحقّ، ولا نطيل معه الحساب إلاّ انّا نذكر له أبيات الشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي، فقد قال كما في ديوانه: ١٢٦ ط النعمان سنة ١٣٨٢ هـ:

وسائل هل أتى نص بحق علي ... أجبته هل أتى نص بحق علي

فظنني إذ غدا منّي الجواب له ... عين للسؤال صدىً من صفحة الجبل

وما درى لادرى جدا ولا هزلا ... إنّي بذاك أردت الجد بالهزل

يستدفع به المضار، وإذا مزج به الشراب فاق في الألذاذ، والعرب تستطيب الزنجبيل جداً[١]، قال الشاعر:

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وارياً مشوراً[٢]

وقوله: ﴿عَيْنًا﴾ نصب على أنّه بدل من الزنجبيل[٣].

وقوله: ﴿سَلْسَبِيلاً﴾ فهو الشراب السهل اللذيذ، وقيل: سلسبيل معناه منقاد ماؤها حيث شاؤوا، عن قتادة. وقيل: شديد الجرية[٤].

وقوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ قال قتادة: لا يموتون، وقيل: مستورون بلغة حمير، وقال بعض شعرائهم:

ومخلدات باللجين كأنّما أعجازهنّ اقاوز الكثبان[٥]

فصل

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً * فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً *

---

١. قارن ١٠: ٢١٤.

٢. قارن ١٠: ٢١٤، والبيت للأعشى كما في ديوانه: ٨.

٣. قارن ١٠: ٢١٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢١٥، والبيت في اللسان (خلد) غير منسوب.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا * نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا * إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا * يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾

الآيات: ٢١ – ٣١.

السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن وهو فعلل[١]، وقوله: ﴿خُضۡرٞ﴾ فمن جره جعله صفة لسندس خضر، ووصف سندس بخضر وهو لفظ جمع، لأنّ سندساً اسم جنس يقع على الكثير والقليل، ومن رفعه جعله نعتاً للثياب، كأنّه قال: ثياب خضر من سندس[٢].

وقوله: ﴿إِسۡتَبۡرَقٞ﴾ مَن رفعه عطفه على ثياب سندس، فكأنّه قال: عاليهم ثياب سندس وعاليهم استبرق، ومن جره عطفه على سندس[٣].

والاستبرق الديباج الغليظ الّذي له بريق، فهم يتصرّفون في فاخر اللباس، كما يتصرّفون في لذيذ الطعام والشراب[٤].

وقيل: الاستبرق له غلظ الصفاقة لا غلظ السلك، لا غلظ الديبقي وإن كان رقيق السلك[٥].

---

١. قارن ١٠: ٢١٧.

٢. قارن ١٠: ٢١٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

السجود وضع الجبهة على الأرض على وجه الخضوع، وأصله الانخفاض كما قال الشاعر:

ترى الأكم فيه سجداً للحوافر[١]

والسجود من العبادة التي أكّد الله الأمر بها، لما فيها من صلاح العباد[٢].

قوله: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: الأسر الخلق، وهو من قولهم: أسر هذا الرجل فأحسن أسره، أي خلق فأحسن خلقه، أي شدّ بعضه على بعض أحسن الشد[٣].

وقال ابن زيد: الأسر القوة، وقوله: ((خد بأسره)) أي بشده قبل أن يحل، ثم كثر حتى جاء بمعنى خذ جميعه[٤]، قال الأخطل:

من كلّ مجتلب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالا[٥]

وأصل الأسر الشد، ومنه قتب مأسور، أي مشدود، ومنه الأسير، لأنّهم كانوا يشدّونه بالقيد[٦].

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ معناه: من شاء اتخذ إلى رضا ربّه طريقاً، بأن يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته، وذلك يدلّ على أنّه قادر على ذلك قبل أن يفعله، بخلاف ما يقوله المجبّرة[٧].

---

١. قارن ١٠: ٢٢٠، والشعر عجز بيت لزيد الخيل وصدره ((بجمع تضلّ البلق في حجراته)) وهو من الشواهد في التفاسير.

٢. قارن ١٠: ٢٢٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٢٠، والبيت للأخطل كما في شرح ديوانه: ٣٨٨ ط دار الثقافة بيروت.

٦. قارن ١٠: ٢٢١.

٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿مَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي وليس تشاؤون شيئاً من العمل بطاعته وبما يرضاه، ويوصلكم إلى ثوابه، إلاّ والله يشاؤه ويريده، لأنّه يريد من عباده أن يطيعوه[١].

وليس المراد أن يشاء كلّ ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات، لأنّ الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح ولا المباحات، لأنّ ذلك صفة نقص، ويتعالى الله عن ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ والمعصية والكفر من أعظم العسر، فكيف يكون الله تعالى شائياً له ؟ وهل ذلك إلاّ تناقض ظاهر[٢].

١.نفس المصدر .

٢.قارن ١٠: ٢٢١، والآية في سورة البقرة: ١٨٥ .

سورة المرسلات

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا * فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا * وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا * فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا * فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ * فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ [وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ]﴾ الآيات: ١ – ١٥.

قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح: المرسلات ها هنا الرياح[١].

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود وأبي صالح: أنّها الملائكة[٢].

وقال قوم: ﴿الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ الأنبياء جاءت بالمعروف[٣].

وقوله: ﴿عُرْفًا﴾ أي متتابعة كعرف الفرس و ﴿الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يعني، الرياح الهابة بشدّة[٤].

---

١. قارن ١٠: ٢٢٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾.

نصب ﴿كِفَاتًا﴾ على الحال، وتقديره: ألم نجعل الأرض لكم ولهم كفاتاً[١]، فالكفات: الضمام، قد جعل الله الأرض للعباد تكفتهم ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ أي تضمّهم في الحالين، كفت الشيء يكفته كفتاً وكفاتاً، أي ضمّه، وقيل: كفاتاً وعاءاً هذا كفته أي وعاؤه[٢].

وقال الشعبي ومجاهد: فظهرها للأحياء وبطنها للأموات، وهو قول قتادة[٣]، ونصب أحياءاً وأمواتاً على الحال، ويجوز على المفعول به[٤].

فصل

قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ * ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ * فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ]﴾ الآيات: ٢٩ – ٤٠.

---

١. قارن ١٠: ٢٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قيل: معناه يتشعّب من النار ثلاث شعب: شعبة فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط بالكافر[١].

قوله: ﴿لا ظَلِيلٍ﴾ معناه غير مانع من الأذى يستره عنه[٢].

وقوله: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ أي ذلك الشرر كالقصر، أي مثله في عظمه وتخويفه يتطاير على الكافرين من كلّ جهة، نعوذ بالله منها[٣].

والقصر واحد القصور من البنيان، في قول ابن عباس ومجاهد[٤].

وقال قتادة والضحاك: والقصر أصول الشجر، واحدته قصرة مثل جمرة وجمر، والعرب تشبه الابل بالقصور[٥]، قال الأخطل:

كأنّــه بــرج رومــي يشــيّده لُــزَّ بجـصّ وآجّـر وأحجـار[٦]

والقصر في معنى الجمع، إلاّ أنّه على طريق الجنس، ثم شبّه القصر بالجمال فقال ﴿كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ﴾ قال الحسن وقتادة: كأنّها أنيُق سُود لما يعتري سوادها من الصفرة[٧].

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: قلوس السفن، وجمالات جمع جمل، كرجل ورجالات وبيت وبيوتات[٨].

---

١. قارن ١٠: ٢٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٣١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، والبيت في شرح ديوانه:٧٦ ط دار الثقافة.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ اخبار من الله تعالى أنّ ذلك اليوم لا ينطق الكافر، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّ ذلك اليوم مواطن، فموطن لا ينطقون لأنّهم يبلسون على هول ما يرونه، وموطن يطلق فيه عن ألسنتهم فينطقون، فلذلك حكى عنهم أنّهم قالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

والثاني: أنّهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنّهم لم ينطقوا[1].

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ يعني يفصل بين الخلائق بالحكم لكلّ أحد بما له وعليه، والفصل قطع علق الأمور بتوفية الحقوق، وهذا الفصل الّذي هو فصل القضاء، يكون ذلك في الآخرة على ظاهر الأمر وباطنه، وأمّا في الدنيا فهو على ظاهر الأمر، لأنّ الحاكم لا يعرف البواطن[2].

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ]﴾ الآيات: ٤١ – ٥٠.

---

١. قارن ١٠: ٢٣٢، والآية في سورة غافر: ١١.

٢. قارن ١٠: ٢٣٣.

فواكه وهي جمع فاكهة، وهي ثمار الأشجار التي من شأنها أن تؤكل، وقد يكون من الثمر ما ليس كذلك، كثمر المر فإنّه ليس من الفاكهة[١].

ثم قال تعالى لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ صورته صورة الأمر والمراد به الإباحة[٢].

وقال قوم: هو أمر على الحقيقة، لأنّ الله تعالى مريد منهم الأكل والشرب في الجنة، وأنّهم إذا عملوا ذلك زاد في سرورهم، فلا تكون ارادته لذلك عبثاً[٣].

والهنيئ هو الّذي لا أذى فيه فيما بعد[٤].

وقيل: الهنيئ النفع الخالص من شائب الأذى، والشهوة يعني في القلب إذا صادف المشتهي كان لذة، وضده النفار إذا صادفه كان ألماً[٥].

١. قارن ١٠: ٢٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة النبأ

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۞ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۞ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا [وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَاجًا ۞ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۞ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۞ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۞ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۞ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا]﴾ الآيات: ١ – ١٦.

معنى ﴿كَلاَّ﴾ زجر وردع، كأنّه قال: ارتدعوا وانزجروا، وليس الأمر كما ظننتم، وقال قوم: معناه حقاً ستعلمون عاقبة أمركم[١].

قوله: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي أشكالاً كلّ واحد يشاكل الآخر[٢].

وقيل: معناه ذكراً وأنثى حتى يصحّ منكم التناسل[٣].

---

١. قارن ١٠: ٢٣٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قيل: معنى ﴿سُبَاتًا﴾ أي نعاساً في أوله تطلب النفس الراحة به[١].

وقيل: معناه جعلنا نومكم راحة، وقيل: معناه جعلنا نومكم طويلاً ممتداً، تعظم به راحة أبدانكم، ومنه سبت من الدهر، أي مدّة طويلة، والسبات قطع العمل للراحة[٢].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي متصرّفاً للعيش، والعيش الانتعاش الّذي تبقى معه الحياة على حال الصحة، والنهار اتساع الضياء في الآفاق، وأصله من أنهر الدم إذا وسع مجراه، ومنه النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء، والانتهار الاتساع في الاغلاظ[٣].

وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: سبع سماوات وإنّما جعلها سبع سماوات لما في ذلك من الاعتبار للملائكة، ولما في تصور الطبقات من عظم القدرة وهول تلك الأمور[٤].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشمس جعلها الله سراجاً للعالم، والوهّاج الوقّاد، وهو المشتعل بالنور[٥].

وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني الرياح كأنّها تعصر السحاب، وقيل: هي السحاب تتحلب بالمطر، في قول الربيع[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢٤٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٤١.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي بساتين ملتفة بالشجر يخرجها الله تعالى لعباده بالمطر[١].

والألفاف الاختلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها لف، والمعاني الملففة المتداخلة باستتار بعضها ببعض حتى لا تبين إلاّ في خفي، وقيل: واحده لف ولفيف[٢].

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا * وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا [لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَآءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا * فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا]﴾ الآيات:١٧ – ٣٠.

الغسّاق صديد أهل النار، في قول إبراهيم وقتادة وعكرمة وعطية[٣].

وقال أبو عبيدة: الغسّاق ماء وهو من الغسل أي سيال[٤].

وقال غيره: هو البارد، وقيل: المنتن[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٤٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

والميقات منتهى المقدار المضروب، لوقت حدوث أمر من الأمور، وهو مأخوذ من الوقت، كما أنّ الميعاد من الوعد[١].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فالنفخ اخراج ريح الجوف من الفم، ومنه نفخ الزق، والنفخ في البوق، والصور قرن ينفخ فيه[٢].

وقال الحسن: هو جمع صورة[٣].

وقوله: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي ماكثين فيها أزماناً كثيرة، وواحد الأحقاب حقب، وإنّما قال: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ مع أنّهم مخلدون مؤبدون لأمرين[٤]:

أحدهما: أحقاباً لا انقضاء لها، إلاّ أنّه حذف للعلم بحال أهل النار من الكفّار بإجماع أهل الأمة عليه[٥].

وقال ابن عباس: الحقب ثمانون سنة[٦]. وقال الحسن: سبعون سنة[٧].

وقوله: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾[٨] قال أبو عبيدة: البرد ها هنا النوم، قال الكندي:

فيصدني عنها وعن قبلتها البرد[٩]

---

١. نفس المصدر .
٢. نفس المصدر .
٣. نفس المصدر .
٤. قارن ١٠: ٢٤٣ .
٥. نفس المصدر .
٦. قارن ١٠: ٢٤٤ .
٧. نفس المصدر .
٨. نفس المصدر .
٩. نفس المصدر .

أي: النوم، فكأنّهم لا ينامون من شدّة ما هم فيه من العذاب[١].

وقال الحسن: الجنة والنار مخلوقتان في الأيّام الستة الأوّل، وهي الجنة التي سكنها آدم، وهي الجنة التي يسكنها المتقون في الآخرة، ثم يفنيها الله لهلاك الخلائق، ثم يعيدها فلا يفنيها أبداً[٢].

وقال قوم: هما مخلوقتان ولا يفنيهما الله[٣]، وقال آخرون: هما غير مخلوقتين[٤]، والجنة التي كان فيها آدم جنة أخرى ليست جنة الخلد[٥].

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ معناه: وأحصينا كلّ شيء أحصيناه في كتاب، فلما حذف حرف الجر نصبه، وقيل: إنّما نصبه لأنّ في ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ معنى كتبناه فكأنّه قال: كتبناه كتاباً[٦].

والوجه في إحصاء الأشياء في الكتاب، ما فيه من الاعتبار للملائكة بموافقة ما يحدث لما يقوم به الاثبات، مع أنّ تصوّر ذلك يقتضي الاستكثار من الخير والاجتهاد فيه، كما يقتضي إذا قيل للإنسان ما تعمله فإنّه يكتب لك وعليك[٧].

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٤٥.

٧. قارن ١٠: ٢٤٦.

أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا * رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ [وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًۢا] ﴾ الآيات: ٣١ – ٤٠.

الأتراب جمع ترب، وهي اللدة التي تنشأ ((مع لدتها)) على سن الصبي الّذي يلعب بالتراب فكأنّه قيل: هم على سن واحدة[١].

قال قتادة: أتراباً يعني في سن واحدة[٢].

وقوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ الدهاق ملئ بشدة الضغط، والدهق شدة الضغط في الكأس ملأى مترعة[٣].

وقوله: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي بحساب العمل، كلّ إنسان على قدر عمله، معناه عطاءاً كافياً من قولهم: أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني، وحسبك أي اكتف، وحسبي الله أي كفاني الله[٤].

---

١. ما بين القوسين من المصدر .

٢. قارن ١٠: ٢٤٨ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فالصواب موافقة الغرض الحكمي، كأنّه أصابه ذلك الغرض الّذي تدعو إليه الحكمة، ونقيضه الخطأ وهو مخالفة الغرض الحكمي[١].

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ في ذلك اليوم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ أي يتمنّى أن لو كان تراباً، لا يعاد ولا يحاسب، ليتخلّص من عقاب ذلك اليوم، لأنّه ليس معه شيء يرجوه من الثواب[٢].

وقيل: انّ الله يحشر البهائم وينتصف للجماء من القرناء، فإذا أنصف بينهما جعلهما تراباً، فيتمنّى الكافر عند ذلك ليته كان مثل ذلك تراباً[٣].

١. قارن ١٠: ٢٤٩.

٢. قارن ١٠: ٢٥٠.

٣. نفس المصدر.

سورة النازعات

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۞ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۞ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۞ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۞ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۞ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۞ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ [أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۞ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۞ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۞ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ]﴾ الآيات: ١ – ١٤.

معنى النازعات الملائكة تنزع الأرواح من الأبدان، فالنازعات الجاذبات الشيء من أعماق ما هو فيه[١].

وقال الحسن وقتادة: هي النجوم أي تنزع من أفق السماء إلى أفق آخر[٢].

﴿النَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قيل: هي الخارجات من بلد إلى بلد بعيد الأقطار، بنشاط كما ينشط الوحش بالخروج من بلد إلى بلد[٣].

---

١. قارن ١٠: ٢٥١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٥٢.

وقال ابن عباس: هي الملائكة أي تنشط بأمر الله إلى حيث كان[١].

وقال مجاهد: السابحات الملائكة، لأنّها تسبح في نزولها من الله تعالى، كما يقال: الفرس يسبح في جريه إذا أسرع[٢].

وقوله: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال ابن عباس والسدي: الحافرة الحياة الثانية، وقيل: الحافرة الأرض المحفورة، أي ونرد في قبورنا بعد موتنا أحياءً[٣]، قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من جهل وطيش[٤]

والحافرة الكائنة على حفر أول الكرة، يقال: رجع في حافرته إذا رجع من حيث جاء، وذلك كرجوع القهقرى، فردوا في الحافرة، أي ردوا كما كانوا أول مرة، ويقال: رجع فلان على حافرته، أي من حيث جاء. وقولهم النقد عند الحافرة، معناه إذا قال: بعتك رجعت عليه بالثمن، وقال قوم: معناه النقد عند حافر الدابة[٥].

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ﴾ فالنكال عقاب ينكل به عن الأقدام على سببه بشدته نكل به تنكيلاً إذا شوّه به في عقابه، بما يكون زاجراً لغيره عن مثل جزائه أشد الزجر الّذي يزعج النفس[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٥٤.

٤. قارن ١٠: ٢٥٤، والبيت من الشواهد في كتب التفسير واللغة ولم ينسب لشاعر باسمه، وورد العجز في بعض المصادر: معاذ الله من سفه وعار.

٥. قارن ١٠: ٢٥٤.

٦. قارن ١٠: ٢٥٨.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ * ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا [مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ]﴾ الآيات: ٢٦ – ٣٣.

قوله: ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ قال مجاهد والضحاك: أخرج نورها[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ قال مجاهد والسدي: معناه دحاها مع ذلك، كما قال: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾[٢] أي مع ذلك، ومعنى ﴿ دَحَاهَا ﴾ بسطها دحا يدحو دحواً، قال أوس بن حجر:

ينفي الحصى عن جديد الأرض مبترك كأنّه فاحص أو لاعب داح[٣]

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ

---

١. قارن ١٠: ٢٦٠.

٢. قارن ١٠: ٢٦٠، والآية في سورة القلم: ١٣.

٣. قارن ١٠: ٢٦٠، والبيت لأوس بن حجر كما في ديوانه: ١٦ ط داري صادر وبيروت.

عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ الآيات: ٣٤-٤٦.

المنذر النبيّ عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1].

قال قوم: المنذر النبيّ عليه السلام والهادي عليّ عليه السلام، والطامة هي النفخة الثانية[2].

١. قارن ١٠: ٢٦٣، والآية في سورة الرعد: ٧.

٢. الحديث المشار إليه رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٩ ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٣: ٧٢ والفخر الرازي في سورة الرعد الآية ٨ وكذلك السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن مردويه وابن عساكر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٤١ من حديث عليّ وقال فيه: والهادي رجل من بني هاشم وكأنه عليه السلام كره التصريح باسمه، وهو يعني نفسه وذكره المناوي في كنوز الحقائق: ٤٢، والديلمي في الفردوس، والشبلنجي في نور الأبصار: ٧٠ وغيرهم وغيرهم.

سورة عبس

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ * أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ الآيات: ١ – ١٠.

فقول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ معناه قبض وجهه وأعرض، والعبوس تقبّض الوجه بكره[١].

وقوله: ﴿أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ معناه: عبس لأن جاءه الأعمى[٢].

وقال ابن خالويه: تقديره إذ جاءه الأعمى[٣].

والأعمى المراد به عبد الله بن أم مكتوم، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد[٤].

---

١. قارن ١٠: ٣٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

واختلفوا في من وصفه الله تعالى بذلك، فقال كثير من المفسّرين وأهل الحشو: انّ المراد به النبيّ ﷺ، قالوا: وذاك أنّ النبيّ ﷺ كان مع جماعة من أشراف قومه ورؤسائهم قد خلا بهم، فأقبل ابن أم مكتوم ليسلم فأعرض النبيّ ﷺ عنه كراهية أن يكره القوم اقباله عليه، فعاتبه الله على ذلك[١].

وقيل: انّ ابن أم مكتوم كان مسلماً، وإنّما كان يخاطب النبيّ وهو لا يعلم أنّ رسول الله مشغول بكلام قوم، فيقول: يا رسول الله ويكرر به[٢].

وهذا فاسد، لأنّ النبيّ ﷺ قد أجلّ الله قدره عن هذه الصفات، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب من وصفه بأنّه على خلق عظيم[٣]، وأنّه لو كان فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حوله، وكيف يعرض عمّن تقدّم وصفه مع قوله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٤] ومن عرف النبيّ عليه السلام وآله وحسن أخلاقه، وما خصّه الله به من مكارم الأخلاق، وحسن الصحبة، حتى أنّه قيل: انّه لم يصافح أحداً قط فنزع يده من يده، حتى يكون ذلك الّذي ينزع يده منه[٥].

فمن هذه صفته كيف يقطّب في وجه أعمى جاءه يطلب الإسلام، على أنّ الأنبياء عليهم السلام منزّهون عن مثل هذه الأخلاق وعمّا هو دونها، لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم، والإصغاء إلى دعائهم، ولا يجوز مثل هذا على الأنبياء عليهم السلام من عرف مقدارهم وتبيّن صفتهم[٦].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. القلم: ٤.

٤. الأنعام: ٥٢.

٥. قارن ١٠: ٢٦٨.

٦. قارن ١٠: ٢٦٩.

وقال قوم: انّ هذه الآيات نزلت في رجل من بني أميّة كان واقفاً مع النبيّ صلى الله عليه وآله، فلما أقبل ابن أم مكتوم تقزز منه وجمع نفسه، وعبس في وجهه وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله ذلك وأنكره معاتبة على ذلك[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ خطاب للنبيّ ﷺ تقديره: قل له يا محمّد: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ وإنّما أضاف العبوس إلى النبيّ من أضافه لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فرآه متوجهاً إليه ظنّ أنّه عتب له، دون أن يكون متوجهاً إليه على أن يقول لمن فعل ذلك ويوبّخه عليه[٢].

وقوله: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي تعرض عنه، والتلهّي عن الشيء هو النزوع بالإعراض عنه، والتلهّي به التروح بالإقبال عليه، ومنه قولهم: ﴿إذا استأثر الله بشيء فألهَ عنه﴾ أي اتركه وأعرض عنه[٣].

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ في الآية دليل على بطلان مذهب المجبّرة في أنّ القدرة مع الفعل، وأنّ المؤمن لا قدرة له على الكفر، وأنّ الكافر لا يقدر على الإيمان، لأنّه تعالى بيّن أنّ من شاء أن يذكره ذكره لأنّه قادر عليه[٤].

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ فالاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه، يقال: أقبره إقباراً والقبر الحفر المهيأ للدفن فيه، يقال: أقبرني فلاناً أي جعلني أقبره، فالمقبر هو الله تعالى يأمر عباده أن يقبروا الناس إذا ماتوا، والقابر الدافن للميت بيده[٥]،

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٧٠.

٤. قارن ١٠: ٢٧١.

٥. قارن ١٠: ٢٧٣.

قال الشاعر:

لـو اسـندت ميتـاً إلـى نحـرها عـاش ولـم ينقـل إلـى قابـر
حتـى يقـول النـاس ممـا رأوا يـا عجبـاً للميـت الناشـر[١]

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا [مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ]﴾ الآيات: ٢٤ – ٣٢.

القضب الرطبة، في قول الضحاك والفراء، وأهل مكة يسمّون القت قضباً وأصله فيما يقطع رطباً[٢].

والغلب جمع أغلب، وهي الغلاظ بعظيم الأشجار، شجرة غلباً إذا كانت غليظة، قال الفرزدق:

عـوى فأثـار اغلـب ضـيغمياً فويـل ابـن المراغـة مـا استثارا[٣]

والأب المرعى من الحشيش وسائر النبات الّذي ترعاه الأنعام والدواب، والأنعام الماشية بنعمة المشي من الإبل والبقر والغنم، بخلاف الحافر لشدة وطئه بحافره من الخيل والبغال والحمير[٤].

---

١. قارن ١٠: ٢٧٤، والبيت في ديوان الأعشى: ٩٣ ط النموذجية بمصر.

٢. قارن ١٠: ٢٧٥.

٣. قارن ١٠: ٢٧٦، والبيت في ديوان الفرزدق ٢: ٤٤٣ ط الصاوي.

٤. قارن ١٠: ٢٧٦.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ]﴾ الآيات: ٣٣ – ٤٢.

قوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ فالمرء هو الذكر من الناس وتأنيثه إمرأة، والمعنى انّ كل إنسان مكلّف مشغول بنفسه لا يلتفت إلى غيره من صعوبة الأمر وشدّة أهواله[1].

ومعنى ﴿يُغْنِيهِ﴾ أي يكفيه من يأتي عليه، أي ليس فيه فضل لغيره، لما هو فيه من الأمر الّذي قد اكتنفه، فصار كالغني عن الشيء[2].

١. قارن ١٠: ٢٧٧.

٢. قارن ١٠: ٢٧٨.

سورة التكوير

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ [وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ]﴾ الآيات: ١ – ١٤.

يقول الله تعالى مخبراً عن وقت حضور القيامة وحصول شدائدها: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ثم انفطرت، واللفظ وإن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال، لأنه إذا أخبر الله تعالى بشيء فلابدّ من كونه فكأنّه واقع، والفعل الماضي يكون بمعنى المستقبل في الشرط والجزاء، وفي أفعال الله تعالى وفي الدعاء إذا تكرّر، كقولك: حفظك الله وأطال بقاك[1].

ومعنى ﴿كُوِّرَتْ﴾ في قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة والضحاك: ذهب نورها[2].

والتكوير تلفيف على جهة الاستدارة، ومنه كور العمامة ومنه الكارة ويقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً[3].

---

١. قارن ١٠: ٢٨٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ فالانكدار انقلاب الشيء حتى يصير الأعلى الأسفل بما لو كان ماء لتكدر، وقيل: أصل الانكدار الانصباب، قال العجاج:

أبصر خربان فضاء فانكدر[١]

وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ فالعشار جمع عشراء، وهي الناقة التي قد أتي عليها عشرة أشهر من حملها، وهو مأخوذ من العشرة، والناقة إذا وضعت لتمام فهي مسنة[٢].

وقال الفراء: العشار لقح الإبل عطّلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم[٣].

وقال الجبائي: معناه أنّ السحاب يعطل ممّا يكون فيها من المياه التي ينزلها الله على عباده في الدنيا[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ معناه: ملئت ناراً كما يسجر التنور، وأصل السجر الملء[٥]، قال لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوز قُلاّمها[٦]

أي: مملوءة، ومنه ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[٧].

---

١. قارن ١٠: ٢٨١، والرجز للعجاج كما في ديوانه: ٢٩ رواية الأصمعي تحالدكتور عزة حسن .

٢. قارن ١٠: ٢٨١ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ١٠: ٢٨٢ .

٦. قارن ١٠: ٢٨٢، والبيت في ديوان لبيد: ٣٠٧ ط الكويت .

٧. قارن ١٠: ٢٨٢،والآية في سورة الطور: ٦ .

وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ﴾ فالموؤدة المقتولة بدفنها حية، فكانت العرب تئد البنات خوف الإملاق، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾[١] وقيل: موؤدة للثقل الّذي عليها من التراب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾[٢] أي لا يثقله، قال الفرزدق:

ومنّا الّذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوؤد[٣]

وإنّما تسأل الموؤدة على جهة التوبيخ لقاتلها، وهو أبلغ من سؤاله، لأنّ هذا ممّا لا يصلح إلاّ بذنب، وأيّ ذنب كان لك، فإذا ظهر أنّه لا ذنب لها جاءت الطامة الكبرى على قاتلها[٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ فالكشط القلع عن شدّة التزاق، والكشط والقشط واحد[٥].

قوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قربت من أهلها يوم القيامة، فالازلاف ادناء ما يجب، ومنه الزلفة القربة، ومنه المزدلفة لأنّها قريبة من مكة[٦].

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۞ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ [ذِى قُوَّةٍ عِندَ

---

١. قارن ١٠: ٢٨٢، والآية في سورة الأنعام: ١٥١.

٢. البقرة: ٢٥٥.

٣. ديوان الفرزدق / ت١ / ٢٠٣ ط الصاوي.

٤. قارن ١٠: ٢٨٣.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٨٤.

ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الآيات: ١٥ – ٢٩.

الخنّس جمع خانس، وهو الغائب عن طلوع، خنست الوحشية في الكناس إذا غابت فيه بعد طلوع[١].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الخنس النجوم لأنّها تخنس بالنهار وتبدو بالليل[٢].

وقيل: تخنس في مغيبها بعد طلوعها، وبه قال الحسن ومجاهد، وقال ابن مسعود وإبراهيم: هم بقر الوحش[٣].

والجارية النجوم السيارة، والجارية السفن في البحر، والجارية المرأة الشابة[٤].

وقوله: ﴿الْكُنَّسِ﴾ نعت للجوار، وهو جمع كانس، وهي الغُيّب في مثل الكناس، وهو كناس الوحشية بيت تتخذه من الشجر تختفي فيه، قال طرفة:

كـأنّ كناسـي ضـالةٍ يكنفانهـا وأطرقسي تحت صلب مؤيد[٥]

---

١. قارن ١٠: ٢٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٨٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٨٥، والبيت في ديوان طرفة: ٧٥ ط برطرند سنة ١٩٠٠.

ومعنى ﴿عَسْعَسَ﴾ أدبر بظلامه، في قول أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد[١]. قال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا[٢]

والأفق ناحية من السماء، وفلان ينظر في آفاق السماء، وقال الحسن وقتادة: الأفق المبين حيث تطلع الشمس[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وابراهيم والضحاك: معناه ليس على وحي الله وما يخبر من الأخبار بمتهم، أي ليس ممن ينبغي أن يظن به الريبة، لأنّ أحواله ناطقة بالصدق والأمانة، ومن قرأ بالضاد معناه ليس ببخيل على الغيب[٤].

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال[٥]:

أحدها: وما تشاؤون من الاستقامة إلاّ وقد شاءها الله، لأنّه قد جرى ذكرها، فرجعت الكناية إليها، ولا يجوز أن يشاء العبد الاستقامة إلاّ وقد شاءها الله، لأنّه أمرَ بها، ورغّب فيها أتم الترغيب، ومن ترغيبه فيه إرادته له[٦].

---

١. قارن ١٠: ٢٨٥.

٢. قارن ١٠: ٢٨٥، والرجز لعلقمة بن قرط كما في تفاسير الطبري والقرطبي وابن عطية والطبرسي وأبي حيان.

٣. قارن ١٠: ٢٨٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٨٨.

٦. نفس المصدر.

والثاني: وما تشاؤون شيئاً إلاّ أن يشاء الله يمكنكم منه، لأنّ الكلام يقتضي الاقتدار على تمكينهم إذا شاء ومنعهم إذا شاء[١].

والثالث: وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله أن يلطف لكم في الاستقامة، لما في الكلام من معنى النعمة[٢].

وروي عن النبيّ عليه السلام أنّه قال: شيبتني هود وأخواتها الواقعة وإذا الشمس كورت، وهو جميع ما وعظ الله به عباده[٣].

فإن قيل: أليس أنس لما سئل هل اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما شانه الشيب، فقال: أو شين هو يا أبا حمزة ؟ فقال: كلكم يكرهه[٤].

قيل عنه جوابان:

أحدهما: أنّه روي أنّ علياً عليه السلام لما غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله وجد في لحيته شعرات بيضاء، وما لا يظهر إلاّ بعد التفتيش لا يكون شيباً[٥].

والثاني: أنّه أراد لو كان أمر يشيب منه إنسان لشبت من قراءة ما في هذه السور وما فيها من الوعيد[٦].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. أخرجه الطبراني في مجمع الزوائد ٧: ٣٧ .

٤. والخبر في مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٢٧٣ ولم أقف عليه في غيره .

٥. قارن ١٠: ٢٨٩ .

٦. قارن ١٠: ٢٨٩ .

سورة الإنفطار

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ [ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ * كِرَامًا كَـٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ]﴾ الآيات: ١ – ١٢.

قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي خرق بعض مواضع الماء إلى بعض، يقال: فجّر الأنهار يفجّرها تفجيراً، ومنه الفجر لانفجاره بالضياء، ومنه الفجور لانحراف صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب[١].

وقال قتادة: معنى فجّرت أي تفجّر عذبها في مالحها، ومالحها في عذبها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ معناه بحثرت[٣].

---

١. قارن ١٠: ٢٩٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

ومعنى: ﴿مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ما أخذت وتركت ممّا يستحق به الجزاء[١].

وقيل: معناه كلّ ما يستحق به الجزاء، ممّا كان في أول عمره أو آخره[٢].

وقيل: معناه ما قدّمت من عملها وما أخّرت من سنّة سنّتها يعمل بها، ذكره القرظي[٣].

وقال ابن عباس وقتادة: معناه ما قدّمت من طاعة أو تركت[٤].

وقيل: ما قدّمت وأخّرت من إحسان أو إساءة إذا قرأ كتابه وجوزي بعمله.

والغرور: ظهور أمر يتوهم به جهل الأمان من المحذور[٥].

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فالصورة البنية التي تميل ((إلى مماثلة الحكاية))[٦] بالتأليف.

وقال مجاهد: معناه في أيّ صورة ما شاء ركّبك من شبه أب أو أم أو خال أو عم[٧].

وقال قوم: معناه في أيّ صورة ما شاء ركّبك من ذكر أو أنثى، وجسيم أو نحيف، وطويل أو قصير، ومستحسن أو مستقبح[٨].

---

١. قارن ١٠: ٢٩١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٩١، وما بين القوسين من المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

ومن قال: الإنسان غير هذه الجملة استدلّ بقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قالوا: لأنّه بيّن أنّه يركب القابل في أيّ صورة شاء، فدلّ على أنّه غير الصورة[١].

وقد بيّنا القول في تأويل ذلك، على أنّ عندهم أنّ ذلك الحي لا يصحّ عليه التركيب، والله تعالى بيّن أنّه يركّبه كيف شاء وفي أيّ صورة شاء[٢]، وذلك خلاف مذهبهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي لا يخفى عليهم شيء من الّذي يعملونه، فيثبتون ذلك كلّه[٣].

وقيل: انّ الملائكة تعلم ما يفعله العبد اما باضطرار، كما تعلم أنّه يقصد إلى خطابنا وأمرنا ونهينا[٤].

وأمّا باستدلال إذا رآه وقد ظهر منه الأمور التي لا يكون إلاّ عن علم وقصد، من نحو التحري في الوزن والكيل، ورد الوديعة، وقضاء الدين[٥].

وقال الحسن: يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن[٦]، وقيل: بل هو على ظاهر العموم، لأنّ الله تعالى يعلمهم إياه[٧].

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. نفس المصدر .

٧. نفس المصدر .

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ الآيات: ١٣ – ١٩.

أخبر تعالى بأنّ الفجّار وهم الذين خرجوا عن طاعة الله إلى معصيته، والمراد به ها هنا الكفّار لفي جحيم، جزاءاً على كفرهم ومعاصيهم[١].

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ يعني لا يكونون غائبين عن الجحيم بل يكونون مؤبدين فيها[٢]، وليس يدلّ ذلك على أنّ فسّاق أهل الملّة لا يخرجون من النار، لأنّا بيّنا أنّ الآية مخصوصة بالكفّار من حيث بيّنا في غير موضع أنّ معهم ثواباً دائماً على إيمانهم لم ينحبط لبطلان القول بالإحباط، فاذن لابدّ من إخراجهم من النار ليوفّوا ثوابهم[٣].

١. قارن ١٠: ٢٩٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة المطفّفين

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الآيات: ١-٦.

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة موضوعة للوعيد والتهديد، ويقال ذلك لمن وقع في هلاك وعقاب[١].

وقيل: إنّ ويلاً واد في جهنم قعره سبعون سنة[٢].

والمطفف المقلل حقّ صاحبه بنقصانه عن الحقّ في كيل أو وزن، والطفيف النزر القليل، وهو مأخوذ من طف الشيء، وهو جانبه، والتطفيف التنقيص على وجه الخيانة في الكيل أو الوزن[٣].

فصل

قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ [ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ *

---

١. قارن ١٠: ٢٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ الآيات: ٧ – ١٧.

قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ يعني كتابهم الّذي فيه ثبت أعمالهم من المعاصي والفجور ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني في الأرض السابعة السفلى، وهو قول الضحاك[١].

وقال مجاهد: تحت صخرة في الأرض السابعة السفلى[٢].

وروي في الخبر ((أنّ سجّين جب في جهنم))[٣]، وقال أبو عبيدة: سجين شديد وأنشد:

ضرباً تواصى به الأبطال سجينا[٤]

يعني شديداً فكأنّه كشدة السجن.

وقوله: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ فواحد الأساطير أسطورة، مثل أحدوثة وأحاديث.

---

١. قارن ١٠: ٢٩٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٩٨، والخبر في تفسير الطبري والرازي وابن عطية وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً قال: سجّين جبّ في جهنم.

٤. قارن ١٠: ٢٩٨ والشعر عجز بيت لتميم بن مقبل وصدره ((ورجلة يضربون البيض ضاحية)) راجع صحيح البخاري ٥: ٢١٣ ط دار الفكر، وورد في تفسير الطبري ١٢: ١٢٣ ط دار الفكر بلفظ ضربا نواصي به الأبطال سجّيلا، والبيت في قصيدة نونية.

وقيل: معناه أباطيل الأولين، وقيل: معناه هذا ما سطره الأولون أي كتبوه ولا أصل له[١].

ثم قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ومعناه ليس الأمر على ما قالوه، بل غلب على قلوبهم، يقال منه رانت الخمر على عقله، ترين رِيناً إذا سكر فغلبت، فالرين غلبة السكر على القلب[٢]، قال أبو زبيد الطائي:

ثم لما رآه رانت به الخمر وأن لا يرينه باتقاء[٣]

يرينه أي مخافة أن يسكر فهي لا تبقيه.

فصل

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ [يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ]﴾ الآيات: ١٨ – ٢٨.

قوله: ﴿عِلِّيِّينَ﴾ أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة، وجمعت بالواو والنون تشبيهاً بما يعقل في الفضل وعظم الشأن[٤].

---

١. قارن ١٠: ٢٩٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٩٩، والشعر في اللسان (ران) وهو من الشواهد في تفاسير الطبري والقرطبي وابن عطية وأبي حيان وغيرهم وفي شعراء إسلاميون، شعر أبي زبيد: ٥٨٢.

٤. قارن ١٠: ٣٠١.

وقال ابن عباس: العليّون الجنة[١].

وقال كعب وقتادة ومجاهد والضحاك: أرواح المؤمنين في السماء السابعة[٢].

وقال الضحاك: ـ في رواية ـ علّيون سدرة المنتهى، وهي التي ينتهي إليها كلّ شيء من أمر الله تعالى[٣].

وقيل: علّيون علواً على علو مضاعف، ولهذا جمع بالواو والنون تفخيماً لشأنه[٤]، قال الشاعر:

وأصبحت المذاهب قد أذاعت بـه الأعصـار بعـد الوابلينـا[٥]

يريد مطراً بعد مطر غير محدود العدد، وكذلك تفخيم شأن العدد الّذي ليس على الواحد، نحو ثلاثين إلى تسعين، وجرت العشرون عليه[٦].

﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ قال ابن عباس: الأرائك الأسرة[٧].

وقال مجاهد: هي من اللؤلؤ والياقوت[٨] واحدها أريكة، وهو سرير في حجلة، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الملك والكرامة، والحجلة كالقبة على الأسرة[٩].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٠٢، والبيت لم أعرف قائله، وهو من شواهد مجمع البيان للطبرسي.

٦. قارن ١٠: ٣٠٢.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

والرحيق: الخمر الصافية الخالصة من كلّ غش[١].

قال الخليل: هي أفضل الخمر وأجودها[٢]، قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم بـرداً يصفّق بالرحيق السلسل[٣]

وقوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قيل في معناه قولان[٤]:

أحدهما: أنّ مقطعه مسك بأن يوجد ريح المسك عند خاتمة شربه، ذكره ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك[٥].

الثاني: أنّه ختم اناؤه بالمسك بدل الطين الّذي يختم بمثله الشراب في الدنيا ذكره مجاهد وابن زيد[٦].

قوله: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ فالمزاج خلط المائع بالمائع، والتسنيم عين ماء يجري من علو إلى أسفل، يتسنم عليهم من الغرف، واشتقاقه من السنام[٧].

قال ابن عباس: التسنيم أشرف شراب في الجنة[٨].

وقال عكرمة: من تشريف[٩]، ويقال: سنام البعير لعلوه من بدنه[١٠].

---

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٠٣.

٣. قارن ١٠: ٣٠٣، والبيت في ديوان حسان: ٢٠٩ جمع البرقوقي ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٠٣.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

١٠. نفس المصدر.

قوله: ﴿انقَلَبُوا فَاكِهِينَ﴾ أي لاهين، ومن قرأ ﴿فَكِهِينَ﴾ أراد مرحين معجبين بجمالهم[١].

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ يعني الكفّار إذا رأوا المؤمنين في دار الدنيا ﴿قَالُوا﴾ يعني بعضهم لبعض ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾ وأشاروا به إلى المؤمنين ﴿لَضَالُّونَ﴾ عن طريق الحقّ وعادلون عن الاستقامة[٢].

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي لم يرسل هؤلاء الكفّار حافظين على المؤمنين، فيحفظون ما هم عليه، والمراد بذلك الذم لهم بعيب المؤمنين بالضلال من غير أن كلّفوا منعهم من المراد[٣].

قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: هل جوزي الكفّار إذا فعل بهم هذا الّذي ذكر بما كانوا يفعلون، الثاني: ينظرون هل جوزي الكفّار، فيكون موضعه نصباً بـ ﴿يَنظُرُونَ﴾[٤].

١. قارن ١٠: ٣٠٤.

٢. قارن ١٠: ٣٠٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٣٠٦.

سورة الانشقاق

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا]﴾ الآيات: ١ – ٩.

قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة معناه: سمعت وأطاعت، أي كأنها سمعت باذن، وأطاعت بانقياد لتدبير الله تعالى[1]، تقول العرب: أذن لك هذا الأمر اذناً، بمعنى أستمع لك، قال عدي بن زيد:

أيهـــا القلـــب تعلـــل بـــددن ان همـــي فـــي ســـماع وأذن[2]

وقال آخر:

صم إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به وان ذُكرتُ بسوء عندهم أذن[3]

---

١. قارن ١٠: ٣٠٨.

٢. قارن ١٠: ٣٠٨، والبيت في ديوان عدي بن زيد: ١٧٢ جمع المعيبد وهو من الشواهد في اللسان (ززا) وأمالي المرتضى ١: ٣٣، وتصحيفات المحدثين ١: ٣٥٦، وغريب الحديث لابن سلام ٢: ١٣٩.

٣. قارن ١٠: ٣٠٨، والبيت في اللسان والتاج (أذن) وقائله ابن أم صاحب الغطفاني كما في شرح درة الغواص: ١٣٠.

أي: سمعوا. وقال عدي بن زيد:

فـي سـماع يـأذن الشـيخ لـه وحـديث مثـل مـا ذيّ مشـار[١]

وقيل: انّ معنى ﴿وَحُقَّتْ﴾ حقّ لها أن تأذن بالانقياد لأمر ربها، يقال: حقّ له أن يكون على هذا الأمر، بمعنى جعل ذلك حقاً[٢].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ الكدح السعي الشديد في الأمر، يقال: كدح الانسان في أمره يكدح كدحاً، وفيه كدوح وخدوش، أي آثار من شدّة السعي في الأمر[٣].

ومعنى ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أيها الإنسان، إنّك ساعٍ في أمرك بشدّة ومشقة، إلى أن تلقى جزاء عملك من ربّك، فأنت لا تخلو في الدنيا من مشقة، فلا تعمل لها، واعمل لغيرها فيما تصير به إلى الراحة من الكدح[٤].

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ الآيات: ١٠ – ١٥.

---

١. قارن ١٠: ٣٠٨.

٢. قارن ١٠: ٣٠٨، والبيت في ديوان عدي بن زيد: ٩٥ جمع المعيبد، وهو من الشواهد اللغوية في التفاسير وكتب اللغة والأدب، راجع أمالي المرتضى ٢: ١١ ، والفائق للزمخشري ١: ٢٨، ومفردات الراغب الاصبهاني: ٢٧٠ وغيرها.

٣. قارن ١٠: ٣٠٩.

٤. نفس المصدر.

لما ذكر الله تعالى حُكم مَن يُعطى كتابه بيمينه من المؤمنين وأهل الطاعات، وما أعدّه لهم من أنواع النعيم، وانقلابه إلى أهله مسروراً، ذكر حكم الكفّار الذين يُعطون كتاب أعمالهم وراء ظهورهم[١].

وروي أنّه يخرج شماله من ظهره ويعطى كتابه منه.

والوجه في ذلك ما قدّمناه من كون ذلك إمارة للملائكة والخلائق أنّه من أهل النار، كما أنّ إعطاء الكتاب ((باليمين علامة)) على أنّه من أهل الجنة[٢].

ثم حكى ما يحل به فقال: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ فالثبور الهلاك أن يقول: واهلاكاه، والمثبور الهالك[٣].

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۞ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۞ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ [بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۞ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ]﴾ الآيات: ١٦ – ٢٥.

---

١. قارن ١٠: ٣١٠.

٢. قارن ١٠: ٣١٠، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣١٠.

قيل: معنى ﴿وَسَقَ﴾ جمع إلى مسكنه ما كان منتشراً بالنهار في متصرفه، يقال: وسقته أسقه وسقاً إذا جمعته، وطعام موسوق أي مجموع في الغرائر والأوعية، والوسق الطعام المجتمع، وقدره ستون صاعاً[١].

وقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ معناه منزلة عن منزلة، وطبقة عن طبقة، وذلك أنّ من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه، ومن كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه، لأنّ كلّ شيء يحنّ إلى شكله[٢].

وقيل: معنى ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ جزاء عن عمل، وقيل: معناه شدّة عن شدّة[٣].

١. قارن ١٠: ٣١٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة البروج

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۞ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ [وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۞ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فالشاهد هو النبيّ، والمشهود يوم القيامة، في قول الحسن بن عليّ عليهما السلام، وتلا قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1] وقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[2] وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب[3].

---

١. النساء: ٤١.

٢. هود: ١٠٣.

٣. قارن ١٠: ٣١٦.

وقال قتادة: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وروي ذلك في أخبارنا[١].

وقال الجبائي: الشاهد هم الذين يشهدون على الخلائق، والمشهود هم الذين يشهدون عليه [٢].

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ [فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ]﴾ الآيات: ١١– ٢٢.

البطش: الأخذ بالعنف، بطش به يبطش بطشاً[٣].

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي كريم، فالمجيد الكريم العظيم الكريم بما يعطي من الخير، فلما كان القرآن يعطي المعاني الجليلة، والدلائل

---

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ١٠: ٣٢٠ .

النفيسة، كان كريماً مجيداً بما يعطي من ذلك[١].

ويقال: مجدت الابل، تمجد مجوداً، إذا رعيتها فرعت وشبعت ولا فعل لك، وأمجدتها أمجاداً إذا أشبعتها من العلف وملأت بطونها ولا فعل لها في ذلك[٢].

وفي المثل ((في كلّ شجر نار واستمجد المرخ والعفار)) ومعناه كثر ناره لأنّه ليس في الشجر أكثر ناراً من العفار[٣].

١. قارن ١٠: ٣٢١.

٢. قارن ١٠: ٣٢٠.

٣. نفس المصدر.

سورة الطارق

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۞ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۞ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ [إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۞ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

الثاقب المضيئ المنير، وثقوبه توقده تنوّره، تقول العرب: أثقب نارك أي أشعلها حتى تضيئ[١].

قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ فالصلب هو الظهر، والترائب جمع تريبة، وهو موضع القلادة من صدر المرأة، في قول ابن عباس، وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب[٢].

قال المثقب:

ومن ذهب يشن على تريب ... كلون العاج ليس بذي غصون[٣]

وقال آخر:

والزعفران على ترائبها ... شرقا به اللبات والصدر[٤]

---

١. قارن ١٠: ٣٢٣.

٢. قارن ١٠: ٣٢٤.

٣. قارن ١٠: ٣٢٤، والبيت في ديوان المثقب العبدي: ٣٢ ط المعارف بغداد.

٤. قارن ١٠: ٣٢٤، والبيت للمخبل السعدي كما في تفسير القرطبي ٢٠: ٥.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ * وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ * إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ الآيات: ١١ – ١٧.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: ذات الرجع ذات المطر[١]، وقال ابن زيد: يعني شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع[٢]، وقيل: رجع السماء اعطاؤها الخير الّذي يكون من جهتها حالاً بعد حال[٣]، وقيل: الرجع الماء لكثرة تردّده بالرياح[٤]، قال المنخل في صفة السيف:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ في محتفل يختلي[٥]

وقوله: ﴿ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ بالنبات: يصدع الأرض انشقاقها بالنبات لضروب الزروع[٦].

قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أجازيهم على كيدهم، وسمّي الجزاء على الكيد باسمه لازدواج الكلام[٧].

---

١. قارن ١٠: ٣٢٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٢٦، والبيت للمتنخل اليشكري يصف سيفاً له كما في صحاح الجوهري (ثوخ) فتح القدير للشوكاني ٥: ٤٢٠.

٦. قارن ١٠: ٣٢٦.

٧. نفس المصدر.

سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۞ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ [إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۞ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۞ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

الغثاء: ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات، والأحوى الأسود، والحوة السوداء[١]، قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب[٢]

وقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ معناه: سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك، والنسيان ذهاب المعنى عن النفس بعد أن كان حاضراً لها، ونقيضه الذكر ومثله السهو، يقال: نسي ينسى نسياناً[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣٢٩.

٢. قارن ١٠: ٣٢٩، والبيت في ديوان ذي الرمة ج١: ٣٢ ط مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣. قارن ١٠: ٣٣٠.

وقيل: ﴿فَلا تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه برفع حكمه وتلاوته، في قول الحسن وقتادة[١].

وقيل: معنى ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي ما شاء نسيانه ممّا لا يكلّف القيام بأدائه، لأنّ التكليف مضمّن بالذكر[٢].

وقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ معناه: سيتعظ وينتفع بدعائك وذكرك من يخاف الله ويخشى عقابه، لأنّه من لا يخافه لا ينتفع بها[٣].

فصل

قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا [وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ * إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ]﴾ الآيات: ١١ – ١٩.

قال الحسن: النار الكبرى نار جهنم، والنار الصغرى نار الدنيا[٤].

وقال الفراء: النار الكبرى التي في الطبقة السفلى من جهنم[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٣١.

٤. قارن ١٠: ٣٣٢.

٥. نفس المصدر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾ معناه: انّ هذا الشقي لا يموت في النار، فيتخلص من العذاب، ولا يحيى حياة له فيها لذة، بل هو في ألوان العذاب وفنون العقاب[١].

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ معناه: قد فاز من تزكى، يعني صار زاكياً بأن عمل الطاعات، في قول ابن عباس والحسن، وذكر اسم الله على كلّ حال، وصلّى على ما أمره الله به[٢].

((ثم قال: بل هؤلاء الكفّار يؤثرون، أي يختارون الحياة الدنيا على الآخرة، بأن يعملوا للدنيا ولا يعملوا للآخرة))[٣].

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٣٣.

٣. قارن ١٠: ٣٣٣، وما بين القوسين من المصدر.

سورة الغاشية

فصل

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۞ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ خَٰشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۞ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۞ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۞ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ [وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۞ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

معنى ﴿هَلۡ أَتَاكَ﴾ قد أتاك يا محمّد ﴿حَدِيثُ الۡغَاشِيَةِ﴾[١].

قال ابن عباس وقتادة والحسن: الغاشية القيامة تغشى الناس بالأهوال[٢]، وقال سعيد بن جبير: الغاشية النار تغشى وجوه الكفّار بالعذاب[٣].

وقوله: ﴿عَامِلَةٞ نَاصِبَةٞ﴾ قال الحسن: معناه لم تعمل لله في الدنيا فأعملها في النار.

---

١. قارن ١٠: ٣٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقال قوم: معناه عاملة ناصبة في الدنيا بما يؤدّيها إلى النار، وهو ممّا اتصلت صفتهم في الدنيا بصفتهم في الآخرة، ومعنى الناصبة والنَصِبة التعبة، وهي التي أتعبها الانتصاب للعمل، يقال: نصب الرجل ينصب نصباً إذا تعب في العمل[١].

والضريع نبات تأكله الإبل يضرّ ولا ينفع كما وصفه الله، وقيل: الضريع الشبرق[٢].

فصل

قوله تعالى: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ [أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ]﴾ الآيات: ١١ – ٢٠.

الأكواب كالأباريق لا عرى لها ولا خراطيم، وهي آنية تتخذ للشراب، والنمارق الوسائد واحدها نمرقة، والزرابي البسط الفاخرة واحدها زربية[٣].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٣٦.

ثم نبّه على الأدلّة التي يستدلّ بها على توحيده ووجوب اخلاص العبادة له، فقال: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾ أي أفلا يتفكرون بنظرهم ﴿إِلَى الإِبِلِ﴾ ويعتبرون ما خلقه الله عليه من عجيب الخلق، ومع عظمه وقوته ذلّله للصبي الصغير، فينقاد له بتسخير الله له، ويبركه ويحمل عليه ثم يقوم، وليس ذلك في شيء من الحيوان[1].

١. قارن ١٠: ٣٣٧.

سورة الفجر

قوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ [وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ * فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ]﴾ الآيات: ١ – ١٤.

الفجر: شق عمود الصبح، فجّره الله لعباده يفجره فجراً إذا أظهره في أفق المشرق، بإدبار الليل المظلم وإقبال النهار المضيئ[١].

والفجر فجران: أحدهما الفجر المستطيل، وهو الّذي يصعد طولاً كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع، والآخر: هو المستطير ينتشر في أفق السماء، وهو الّذي يحرم عنده الأكل والشرب ويوجب الصوم في شهر رمضان، وهو ابتداء اليوم[٢].

---

١. قارن ١٠: ٣٤١.

٢. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال ابن عباس والحسن وعبد الله بن الزبير ومجاهد ومسروق والضحاك وابن زيد: هي العشر الأوّل من ذي الحجة شرّفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير[١].

وقال قوم: هي العشر من أول المحرم، والأوّل هو المعتمد[٢].

وقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قال ابن عباس وكثير من أهل العلم: الشفع الخلق بما له من الشكل والمثل، والوتر الخالق الفرد الّذي لا مثل له[٣].

وقوله: ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ أي لذي عقل، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن[٤].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قيل: عاد الأولى عاد ابن ارم، وقيل: انّ ارم بلد منه الاسكندرية في قول القرظي[٥].

وقال المعري: هو دمشق[٦]، وقال مجاهد: هم أمة من الأمم[٧].

وقوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه ذات الطول[٨].

وقيل: ذات عمد للأبيات ينتقلون من مكان إلى مكان للانتجاع، وقيل: إنّ ارم هو سام بن نوح[٩].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٣٤٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

وقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ يعني: في عظم أجسامهم وشدّة قواهم[١]، وقوله: ﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ معناه: قطعوا الصخر من الجبال لشدّة قوتهم[٢]، قال النابغة:

أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاة عميم

قال مجاهد: قطعوا الجبال بيوتاً، كما قال: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[٣].

وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس: معناه ذي الجنود الذين كانوا يشيدون أمره[٤]، وقال مجاهد: كان يوتد الأوتاد في أيدي الناس[٥].

وقيل: انّ فرعون كان إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت[٦].

وقوله: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي قسط عذاب، كالعذاب بالسوط الّذي يعرف، إلاّ أنّه أعظم[٧].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ معناه: انّ ربّك يا محمّد لا يفوته شيء من أعمال العباد، كما لا يفوت مَن بالمرصاد، والمرصاد مِفعال، من رصده يرصده رصداً فهو راصد إذا راعى ما يكون منه ليقابل بما يقتضيه[٨].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٤٣، والآية في سورة الشعراء: ١٤٩.

٤. قارن ١٠: ٣٤٣.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ [وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ * يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى]﴾ الآيات: ١٥ – ٣٠.

قوله: ﴿كَلَّآ﴾ معناه: ليس الأمر على ما ظن هذا الإنسان الكافر الّذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ذكره قتادة[١].

وقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي جمعاً، يقال: لممت ما على الخوان ألمه لماً إذا أكلته أجمع، والتراث الميراث[٢].

وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ معناه: وجاء أمر الله أو عذاب الله[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٤٧.

وقيل: معناه وجاء جلائل آياته، فجعل مجيئ جلائل الآيات مجيئاً لها تفخيماً لشأنها[١]. وقال الحسن: معناه وجاء قضاء الله كما يقول القائل: جاءتنا الروم أي سيرتهم[٢].

وقال بعضهم: معنى جاء ظهر بضرورة المعرفة كما توصف الآية إذا وقعت ضرورة المعرفة، لأنّها تقوم مقام الرؤية[٣].

ثم قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ معناه في قراءة من كسر الذال اخبار من الله تعالى أنّه لا يعذِّب عذاب الله أحد في ذلك اليوم[٤].

ومن فتح الذال قال: معناه لا يعذّب عذاب الجاني الكافر الّذي لم يقدم لحياته أحد من الناس، لأنّا علمنا أنّ ابليس أشدّ عذاباً من غيره بحسب إجرامه، وإذا أطلق الكلام لقيام الدلالة على ذلك قيل: معناه لا يؤاخذ بذنب غيره، لأنّه المستحق للعذاب، ولا يؤاخذ الله أحداً بجرم غيره[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٤٨.

سورة البلد

فصل

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۞ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۞ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۞ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ [يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۞ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۞ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۞ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد: يعني بالبلد مكة[١].

وقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ معناه في قول ابن عباس أنّه حلال لك، به قتل مَن رأيت حين أمر بالقتال، فقتل ابن حنظل صبراً وهو آخذ بأستار الكعبة ولم يحل لأحد من بعده[٢]، وبه قال مجاهد وقتادة وعطاء وابن زيد والضحاك، وقال عطاء: لم يحل إلاّ لنبيكم ساعة من النهار[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣٥٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٥٠، وابن خطل هنا هو عبدالله وهو الّذي كانت تسمّيه قريش ذا القلبين فأنزل الله تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فقدّمه أبو برزة سعيد بن حرب الأسلمي فضرب ـ بأمره ﷺ ـ ←

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال ابن عباس والحسن: في شدّة[١]، قال لبيد:

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد[٢]

أي: في شدّة نصب، فالكبد في اللغة شدّة الأمر.

وقوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾ قال الحسن: معناه يقول أهلكت مالاً كثيراً فمن يحاسبني عليه[٣]، واللبد: الكثير الّذي قد تراكب بعضه على بعض، ومنه تلبّد القطن والصوف إذا تراكب بعضه على بعض، وكذلك الشَعر.

ومعنى قوله: ﴿هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال ابن عباس: معناه نجد الخير والشر، وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة، وفي رواية عن ابن عباس أنّهما الثديان[٤]، وشبه طريق الخير والشر بالطريقين العاليين لظهوره فيهما، وأصل النجد العلو[٥].

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ [ثُمَّ

← عنقه وهو متعلّق بأستار الكعبة، وكان قد أظهر الإسلام وكتب لرسول الله ﷺ شيئاً من الوحي فارتدّ وشنّع على رسول الله ﷺ بأنّ ما يمليه من القرآن منه لا من الله تعالى، وقيس بن صبابة، وقتل غيرهما أيضاً كما هو مذكور في كتب السير. راجع الكشاف ٣: ٣٣٨، روح المعاني للآلوسي ٣٠: ١٣٤ ط المنيرية الثانية، والدر المنثور ٦: ٣٥١.

١. قارن ١٠: ٣٥٠.

٢. قارن ١٠: ٣٥٠، والبيت في ديوان لبيد: ١٩.

٣. قارن ١٠: ٣٥١.

٤. قارن ١٠: ٣٥٢.

٥. نفس المصدر.

كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ * أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ الآيات: ١١ – ٢٠.

تلخيصه: هلا اقتحم العقبة، ولا يجوز الصراط إلاّ من كان بهذه الصفة بفك رقبة، أو يطعم يتيماً في يوم ذي مجاعة، فلا اقتحم بمعنى ((لم)) كما قال تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ ومعناه لم يصدّق ولم يصلّ[١].

ومعنى: ﴿مُوصَدَةٌ﴾ الوصيد الباب من أوصدته فهو مؤصد[٢].

قال الحسن: عقبة والله شديدة، مجاهدة الإنسان نفسه، وهواه، وعدوّه، والشيطان[٣].

وحكي عن ابن عباس أنّه قال: تقديره افلا أقتحم وحذف الاستفهام والاقتحام الدخول على الشدة[٤].

وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ فالمسغبة المجاعة[٥]، قال جرير:

تعلـل وهـي سـاغبة بنيهـا بأنفـاس مـن الشـبم القـراح[٦]

---

١. القيامة: ٣١.

٢. قارن ١٠: ٣٥٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٥٤.

٦. ديوان جرير: ٩٧ ط الأولى بمصر والشبم البارد.

واليتيم الصبي الّذي قد مات أبوه أو أمه، والأغلب في اليتيم من الأب في الناس[١].

وقوله: ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ معناه: ذا قرابة، ولا يقال فلان قرابتي وإنّما يقال: ذو قرابتي لأنّه مصدر، كما قال الشاعر:

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور[٢]

وقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ معناه: ذا حاجة شديدة من قولهم ترب الرجل إذا افتقر[٣].

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُوصَدَةٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: معناه مطبقة[٤].

١. قارن ١٠: ٣٥٤.

٢. قارن ١٠: ٣٥٤، والبيت لعشير بن لبيد العذري في جملة أبيات رواها عبيد بن شريّة لمعاوية في حديث بينهما رواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته عبيد، ومثله ابن حجر في الإصابة وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٢٠٤.

٣. قارن ١٠: ٣٥٤.

٤. قارن ١٠: ٣٥٥.

سورة الشمس

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

قوله: ﴿وَضُحَاهَا﴾ يعني: ضحى الشمس، وهو صدر وقت طلوعها ومجيئ النهار.

قال ابن زيد: القمر إذا اتبع الشمس في النصف الأوّل من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، وفي آخر الشهر يتلوها في الغروب[١].

وقال الحسن ﴿إِذَا تَلاهَا﴾ معناه: ليلة الهلال[٢].

قوله: ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ معنى طحاها بسطها حتى أمكن التصرّف عليها[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣٥٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٥٨.

وقال الحسن ومجاهد: طحاها ودحاها واحد بمعنى بسطها[١]، قال علقمة:

طحا بك قلب في الحسان طروب[٢]

قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وسفيان: معناه عرّفها طريقة الفجور والتقوى، ورغّبها في التقوى، وزهّدها في الفجور، وقال قوم: خذلها حتى اختارت الفجور وألهمها تقواها بأن وفّقها لها[٣].

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ معناه: قد خاب أي خسر من دنّس نفسه في معاصي الله، منهمكاً في القبائح التي نهاه الله عنها[٤].

فصل

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا﴾ الآيات: ١١ – ١٦.

قوله: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أي كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود، وقيل: اسمه قدار بن سالف، وقال قوم: عقر الناقة هو تكذيبهم[٥].

---

١. نفس المصدر.

٢. الشعر لعلقمة بن عبدة الفحل كما في ديوانه: ٣ ط المكتبة الأهلية بيروت، وهو أول قصيدة في ديوانه.

٣. قارن ١٠: ٣٥٨.

٤. قارن ١٠: ٣٥٩.

٥. قارن ١٠: ٣٦٠.

وقوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ معناه: أهلكهم الله عقوبة على ذنبهم[١].

وقيل: معنى دمدم عليهم دمر عليهم، وقيل: معناه أطبق عليهم بالعذاب، وقيل: دمدم عليهم أي غضب عليهم، فالدمدمة ترديد الحال المتكرهة[٢].

وقوله: ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ معناه: لا يخاف الله تبعة الدمدمة[٣].

١. قارن ١٠: ٣٦١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة الليل

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ * إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ [فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ * وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ * إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ]﴾ الآيات: ١ – ١٣.

التيسير لليسرى يكون بأن يصيّرهم إلى الجنة، والتيسير إلى العسرى بأن يصيّرهم إلى النار، ويجوز أن يراد بالتمكين من سلوك طريق الجنة، والتمكين من سلوك طريق النار[١].

ومعناه: أنّا لسنا نمنع المكلّفين من سلوك أحد الطريقين ولا نضطرهم إليه، وإنّما نمكّنهم بالاقرار عليهما ورفع المنع، والترغيب في أحدهما، والتزهيد في الآخر، فإن أحسن الاختيار اختار ما يؤدّيه إلى الجنة، وإن أساء فاختار ما يؤدّيه إلى النار، فمن قبل نفسه أتى[٢].

---

١. قارن ١٠: ٣٦٣.

٢. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ معناه: أيّ شيء يغني عن هذا الرجل الّذي بخل بماله، ولم يخرج حقّ الله منه، إذا تردّى في نار جهنم، في قول قتادة وأبي صالح، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام[١].

وقيل في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ دلالة على وجوب هدى المكلّفين إلى الدين، وأنّه لا يجوز إضلالهم عنه[٢].

وقوله: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ معناه: ليس ذلك ليد سلفت تكافئ عليها، ولا ليد يتخذها عند أحد من العباد[٣].

وقوله: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ معناه: بل إنّما فعل ذلك طلب رضوان الله، وذكر الوجه طلباً لشرف الذكر، والمعنى إلاّ لله[٤].

---

١. قارن ١٠: ٣٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٦٦.

٤. نفس المصدر.

سورة الضحى

قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ * وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ * أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ [فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ * وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ]﴾ الآيات: ١ – ١١.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ قال الحسن: معنى ﴿سَجَى﴾ غشى بظلامه[١].

وقال قتادة: معنى ﴿سَجَى﴾ سكن، وهذا من قولهم بحرساج أي ساكن، وبه قال الضحاك[٢]، قال الأعشى[٣]:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ قيل: انّه لما تأخّر الوحي عنه خمس عشرة ليلة قال قوم من المشركين: ودّع الله محمّداً وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه السورة تكذيباً لهم[٤].

---

١. قارن ١٠: ٣٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٦٨، والشعر للأعشى الكبير كما في ديوانه: ١٥١ ط النموذجية بمصر.

٤. قارن ١٠: ٣٦٨.

ثم عدّد تعالى نعمه في دار الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ومعناه تقريره على نعم الله حين مات أبوه وبقي يتيماً فآواه، بأن سخّر له عبد المطلب أولاً، ولما مات عبد المطلب آواه إلى أبي طالب وسخّره للاشفاق عليه والحنين إلى حفظه ومراعاته[١].

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: وجدك لا تعرف الحقّ فهداك إليه، بأن نصب لك الأدلّة، وأرشدك إليها، حتى عرفت الحقّ، وذلك من نعم الله.

وثانيها: وجدك ضالاً عمّا أنت عليه الآن من النبوة والشريعة فهداك اليهما.

وثالثها: وجدك في قوم ضُلّال، أي فكأنّك واحد منهم.

ورابعها: ووجدك مضلولاً عنك فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتك والاعتراف بصدقك، فجعل ضالاً بمعنى مضلول، كما قيل: ماء دافق بمعنى مدفوق وسر كاتم بمعنى مكتوم.

وخامسها: أنّه لما هاجر إلى المدينة ضلّ في الطريق وضلّ دليله، فأرشدهم الله إلى الطريق الواضح حتى وصلوا[٢].

فإذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: انّ المراد بذلك الاستقبال والإعلام له أنّه يكون هذا على وجه البشارة له به، ولم يكن ضلالة معصية، لأنّه ليس ذهاباً عمّا كلّف[٣].

---

١. قارن ١٠: ٣٦٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ فالعائل الفقير وهو ذو العيلة[١]، قال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل[٢]

أي: متى يفتقر.

فإن قيل: في هذا ونظائره ممّا عدده الله على خلقه من النعمة وامتنانه عليهم، كيف يمنن الله تعالى على خلقه بالنعم، وذلك من فعل البخلاء، لأنّ الواحد منّا لو منّ على غيره بما يسدى إليه كان مقبحاً ؟

قيل: إنّما يقبح الامتنان إذا كان الغرض الإزراء بالمنعم عليه والتقصير به، فأما إذا كان الغرض تعريف النعمة وتعديدها، وإعلامه وجوهها ليقابلها بالشكر، فيستحق به الثواب والمدح فإنّه نعمة أخرى، وتفضّل آخر يستحق به الشكر، فبطل ما قالوه[٣].

١. نفس المصدر .

٢. قارن ١٠: ٣٦٩، والبيت لاحيحة بن الجلاح الأوسي من أبيات له ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٩: ١٧٩ وهي من قصيدة قالها في حرب بين قومه الأوس وبين الخزرج، والبيت من شواهد معاني القرآن للفراء ١: ٢٥٥، واللسان (عيل) وغيرهما .

٣. قارن ١٠: ٣٧٠ .

سورة الانشراح

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ الآيات: ١ – ٨.

روى أصحابنا أنّ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ مع ﴿الضُّحَى﴾ سورة واحدة، لتعلّق بعضها ببعض ولم يفصلوا بينهما بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وأوجبوا قراءتهما في الفرائض في ركعة وألاّ يفصل بينهما، ومثله قالوا في سورة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ و ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾ وفي المصحف هما سورتان فصل بينهما ببسم الله[1].

قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ قال الحسن: يعني بالوزر الّذي كان عليه في الجاهلية قبل النبوة[2].

وقال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد: يعني ذنبك، قالوا: وإنّما وصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع أنّها صغار مكفَّرة، لشدّة اغتمامهم بها وتحسّرهم على وقوعها مع ندمهم عليها[3].

وهذان التأويلان لا يصحّان على مذهبنا، لأنّ الأنبياء عليهم السلام لا يفعلون شيئاً من القبائح، لا قبل النبوة ولا بعدها، لا صغيرة ولا كبيرة، فإذا ثبت هذا

---

١. قارن ١٠: ٣٧١.

٢. قارن ١٠: ٣٧٢.

٣. نفس المصدر.

فمعنى الآية هو: أن الله تعالى لما بعث نبيه، وأوحى إليه، وانتشر أمره، وظهر حكمه كان يلقى من كفّار قومه، وتتبعهم لأصحابه بأذاهم له، وتعرّضهم إياهم، ما كان يغمّه ويسوءه، ويضيق به صدره، ويثقل عليه، فأزال الله ذلك بأن أعلى كلمته، وأظهر دعوته، وقهر عدوه[١].

فإن قيل: السورة مكية وكان ما ذكرتموه بعد الهجرة[٢].

قيل: ليس يمتنع أن يكون الله أخبره، بأنّ ذلك سيكون فيما بعد، ليبشّره به، ويسلّيه عمّا هو عليه، فجاء بلفظ الماضي وأراد الاستقبال، كما قال: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾[٣] وكما قال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٤] والوزر الثقل في اللغة[٥].

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال ابن عباس: معناه فإذا فرغت من فرضك فانصب إلى ما رغّبك الله فيه من العمل[٦].

وقال قتادة: معناه فإذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء[٧]، وقال مجاهد: معناه فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب إلى عبادة ربّك[٨]، ومعنى ﴿فَانصَبْ﴾ فاتعب، يقال: ناله هم ناصب أي ذو نصب[٩].

---

١. نفس المصدر.
٢. نفس المصدر.
٣. الأعراف: ٤٤.
٤. الزخرف: ٧٧.
٥. قارن ١٠: ٣٧٣.
٦. نفس المصدر.
٧. نفس المصدر.
٨. نفس المصدر.
٩. نفس المصدر.

سورة التين

قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ [إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ * أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ]﴾ الآيات: ١ – ٨.

قال الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة: هو التين الّذي يؤكل، والزيتون الّذي يعصر[١].

وقال ابن زيد: التين مسجد دمشق، والزيتون بيت المقدس[٢]. والطور جبل، وسينين معناه مبارك، فكأنّه قيل: جبل فيه الخير الكثير، لأنّه اضافة تعريف[٣].

وقال الحسن: طور سينين هو الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام[٤] وقيل: سينين بمعنى حسن، لأنّه كثير النبات والشجر، في قول عكرمة[٥].

---

١. قارن ١٠: ٣٧٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٧٦.

وقوله: ﴿الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: البلد الأمين مكة، والأمين بمعنى آمن[١].

قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال ابن عباس وإبراهيم وقتادة: معناه إلى أرذل العمر[٢].

وقال الحسن ومجاهد وابن زيد: ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة[٣].

١.نفس المصدر .

٢.نفس المصدر .

٣.نفس المصدر .

سورة العلق

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ]﴾ الآيات: ١ – ١٠.

النطفة تستحيل في الرحم علقة، ثم مضغة، ويسمّى ضرب من الدود الأسود العلق، لأنّه يعلق على الشفتين لداء يصيبهما فيمتص الدم، وفي خلق الإنسان من علق دليل على ما يصحّ أن ينقلب إليه الجوهر[1].

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ تقرير للنبيّ ﷺ وإعلام له ما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة[2].

وقيل: انّ الآية نزلت في أبي جهل، والمراد بالآية النبيّ ﷺ بأنّ أبا جهل كان ينهى النبيّ عن الصلاة، وكان النبيّ لما قال له أبو جهل: ألم أنهك عن الصلاة، انتهره وأغلظ له، فقال له أبو جهل: أنا أكثر أهل هذا الوادي نادياً، ذكره

---

١. قارن ١٠: ٣٧٩.

٢. قارن ١٠: ٣٨١.

ابن عباس وقتادة، والمعنى: أرأيت يا محمّد من فعل ما ذكرناه من منع الصلاة وينهى المصلّين عنها، ماذا يكون جزاؤه ؟ وما يكون حاله عند الله؟[١].

فصل

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۞ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ [فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۞ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب]﴾ الآيات: ١١ – ١٩.

قوله: ﴿لَنَسْفَعَن بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي لنغيّرن بها إلى حال تشويه، يقال: سفعته النار والشمس إذا غيّرت وجهه إلى حال تشويه[٢].

وقيل: هو أن يجر بناصيته إلى النار، والناصية شعر مقدّم الرأس، وهو من ناصى يناصي مناصاة إذا واصل[٣]، قال الراجز:

قـــيّ يناصـــيها بـــلاد قـــيّ[٤]

فالناصية متصلة بشعر الرأس.

وقوله: ﴿وَاسْجُدْ﴾ فالسجود فرض وهو من العزائم، وهي أربع مواضع:

---

١. نفس المصدر .

٢. قارن ١٠: ٣٨٢ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر وقد تقدّم الشاهد مكرراً .

آلم تنزيل، حم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك، وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف[١].

وقوله: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ معناه من ثوابه، وقيل: معناه تقرّب إليه بطاعته دون الرياء والسمعة[٢].

١. قارن ١٠: ٣٨٣.

٢. قارن ١٠: ٣٨٣، وراجع الخلاف ١: ٤٢٧ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

سورة القدر

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ الآيات: ١ – ٥.

قيل: سمّيت ليلة القدر لعظم شأنها وجلال وقعها من قولهم ((فلان له قدر))[١] وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف، وهي ليلة الافراد بلا خلاف[٢].

وقال أصحابنا: هي إحدى الليلتين: إما ليلة احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين[٣].

وجوّز قوم أن يكون سائر ليالي الإفراد: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وإنّما لم يعيّن هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل في سائر الليالي، والقدر كون الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان، ففي ليلة القدر تجدّد الأمور على مقاديرها[٤].

---

١. قارن ١٠: ٣٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ والمعنى أنّ الثواب على الطاعة فيها يفضل على ثواب كلّ طاعة تفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر[١].

وقيل: انّ الله تعالى يتفضّل على خلقه في هذه الليلة وينعم عليهم، بما لا يفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر[٢].

وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ الّذي هو جبرئيل بكل أمر في ليلة القدر إلى سماء الدنيا [٣].

وقوله: ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ هو سلام الملائكة بعضهم على بعض إلى طلوع الفجر[٤]، ((وقيل: انّ الملائكة تنزل بالسلامة والخير والبركة إلى طلوع الفجر))[٥]، وقيل: معناه سلام هي من الشر حتى مطلع الفجر[٦].

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ١٠: ٣٨٦ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر، وما بين القوسين من ابن إدريس .

٦. قارن ١٠: ٣٨٦ .

سورة البينة

قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۞ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ [وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ] ﴾ الآيات: ١ – ٨.

يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ قال الحسن وقتادة: معناه لم يكونوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة[1].

---

١. قارن ١٠: ٣٨٨.

وقوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ القيّمة المستمرة في جهة الصواب، فهو على وزن (فعيلة) من قام بالأمر يقوم به إذا أجراه في جهة الاستقامة[١].

وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ إخبار من الله تعالى أنّ هؤلاء الكفّار لم يختلفوا في نبوة النبيّ ﷺ، لأنّهم كانوا مجتمعين على نبوته بما وجدوه في كتبهم من صفاته، فلما أتاهم بالبيّنة الظاهرة والمعجزة القاهرة، تفرقوا واختلفوا، فآمن بعضهم وكفر بعضهم[٢].

وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إنّ الكفّار خلقوا كفّاراً في بطون أمهاتهم، لأنّه تعالى بيّن أنّهم لم يختلفوا في ذلك قبل مجيئ معجزاته وأدلّته، ولا يلزم على ذلك أن يكون مجيئ الآيات مفسدة من حيث وقع الفساد عندها، لأنّه ليس حدّ المفسدة ما يقع عنده الفساد، بل حدّه ما يقع عنده الفساد ولولاه لم يقع، من غير أن يكون تمكيناً، وها هنا المعجزات تمكين فلم تكن مفسدة[٣].

وقوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ جمع حنيف، وهو المائل إلى الحقّ، والحنفية الشريعة المائلة إلى الحقّ[٤].

قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ دليل على فساد مذهب المجبّرة في أنّ الله تعالى خلق الكفّار ليكفروا به، لأنّه صرّح ها هنا أنّه خلقهم ليعبدوه[٥].

---

١. قارن ١٠: ٣٨٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٩٠.

وليس في الآية دلالة على أنّ أفعال الجوارح من الإيمان ولا من الدين، لأنّه يجوز أن يكون المراد ((وذلك)) إشارة إلى التديّن، وتقديره: التديّن بذلك فهو دين القيّمة، لأنّ من لا يعتقد جميع ذلك ويؤمن بجميع ما يجب عليه فليس بمسلم، وقد تقدّم قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ﴾[1].

ثم قال: ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني وذلك الدين ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ وليس يلزم أن يكون راجعاً إلى جميع ما تقدّم، كما لا يلزم على مذهبهم في قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أن يكون راجعاً إلى الشرك وقتل النفس والزنا، بل عندهم إلى كلّ واحد من ذلك فكذلك ها هنا[2].

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٩٠، والآية في سورة الفرقان: ٦٨.

سورة الزلزلة

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الآيات: ١ – ٨.

قوله: ﴿أَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه أخرجت موتاها، وأثقال الأرض ما فيها مدفون من الموتى وغيرها، فإنّ الأرض تلفظ بكلّ ما فيها عند انقضاء أمر الدنيا[١].

وقوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي مختلفين ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي ليجازوا على أعمالهم أو ليريهم الله جزاء أعمالهم[٢].

وقيل: معنى رؤية الأعمال المعرفة بها عند تلك الحال وهي رؤية القلب[٣]، ويجوز أن يكون التأويل على رؤية العين، بمعنى ليروا صحائف أعمالهم يقرؤون فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة[٤].

---

١. قارن ١٠: ٣٩٣.

٢. قارن ١٠: ٣٩٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ثم قال على وجه الوعيد: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه﴾ قال أبو عبيدة: مثقال ذرة زنة ذرة، وتقديره: من يعمل قدر ذرة من الخير يرى ثوابه وجزاه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ أي يرى ما يستحق من العقاب.

ويمكن أن يستدلّ بذلك على بطلان الإحباط، لأنّ عموم الآية يدلّ على أنّه لا يفعل شيئاً من طاعة أو معصية إلاّ ويجازى عليها، وعلى مذهب القائلين بالاحباط بخلاف ذلك، فإنّ ما يقع محبطاً لا يجازى عليها[1].

***

تم التعليق من الجزء التاسع من كتاب التبيان في تفسير القرآن، وبتمامه تم كتاب المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، والله المستعان وعليه التكلان.

قد ذكرنا هذا الكتاب جملة وجيزة من كلّ سورة بأخصر ما قدرنا عليه وبلغ وسعنا إليه، ولو شرعنا في شرح ذلك وذكر الأقاويل لخرجنا عن المقصود والمغزى المطلوب، وفيما لخّصناه واختصرناه كفاية لمن ضبط هذا الفن، ويغنيه بذلك على ما عداه.

والله تعالى نسأل توفيقاً وعصمة، ويجعله خالصاً لوجهه ومقرباً من رضاه بمنّه وكرمه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته على سيدنا محمّد وآله الطاهرين.

وافق الفراغ من استخراجه أواخر شهر ذي الحجة من شهور سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وكتب محمّد بن إدريس حامداً مصلياً.

---

١. نفس المصدر.

فهرس المصادر

١- أبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبد الله الخنيزي.

٢- أبو هريرة شيخ المضيرة للشيخ المغفور له محمود أبو رية ط مصر.

٣- أبو هريرة للإمام شرف الدين ط النجف و ط بيروت.

٤- اتحاف السادة المتقين للزبيدي ط دار الكتب العلمية بيروت.

٥- اتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة.

٦- أحكام القرآن لابن العربي ط مصر بتحقيق البجاوي.

٧- أحكام القرآن للجصاص ط مصر و ط افست دار الكتاب العربي بيروت.

٨- أدب المجالسة لابن عبدالبر ط طنطا دار الصحابة للتراث سنة ١٤٠٩ هـ.

٩- أسباب النزول للواحدي ط مصر سنة ١٣١٥ بمطبعة هندية في غيط النوبي.

١٠- أُسد الغابة لابن الأثير الجزري ط أفست الإسلامية.

١١- أشعار الشعراء الستة الجاهليين .

١٢- إصلاح المنطق لابن السكيت ط مصر .

١٣- أصول السرخسي ط مصر.

١٤- أضواء البيان للشنقيطي ط بيروت.

١٥- إعانة الطالبين .

١٦- الأثر في الدر المنثور .

١٧- الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي ط حيدر آباد.

١٨- الاستذكار لابن عبد البر ط دار الكتب العلمية بيروت.

١٩- الاستيعاب لابن عبد البر ط حيدر آباد و ط بهامش الإصابة ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٨ هـ و ط محققة .

٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط مصطفى محمّد بمصر سنة ١٣٥٨هـ و ط تحـ البجاوي و ط الأولى بنفقة عبد الحفيظ في ترجمة جندب بن عمرو بن حممة.

٢١- الأصمعيات.

٢٢- الأعلام للزركلي ط مصر الثالثة سنة ٢٣٠ هـ.

٢٣- الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ط الساسي و ط تراثنا دار الكتب المصرية وط بولاق.

٢٤- الانصاف لابن الابتارين في معجم شعراء العربية.

٢٥- الإنصاف لابن الأنباري ط مصر الطبعة / ٤ سنة ١٣٨٠ هـ.

٢٦- الايجاز للشيخ أبي جعفر رحمه الله ط النجف.

٢٧- أمالي الشريف المرتضى ط مصر سنة ١٣٧٣ هـ تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٢٨- أمالي الشريف المرتضى ط مصر.

٢٩- أمالي القالي ط دار الكتب سنة ١٣٤٤ هـ.

٣٠- أمالي القالي ط دار الكتب.

٣١- أمالي ابن الشجري ط حيدر اباد.

٣٢- أنساب الأشراف للبلاذري ط بيروت سنة ١٤١٧ هـ و ط بولس آبل سنة ١٨٨٤ م و ط أفست المثنى ببغداد و تحـ المحمودي و تحـ احسان عباس و (نسخة مخطوطة بقلمي) و ط دار المعارف بتحقيق الدكتور محمّد حميد الله.

٣٣- البحر الرائق لابن نجيم الحنفي المصري ط مصر .

٣٤- البحر المحيط لأبي حيان ط دارالفكر .

٣٥- البداية والنهاية للحافظ أبن كثير الشامي ط السعادة بمصر.

٣٦- البيان والتبيين للجاحظ ط مصر تحقيق محمد عبد السلام هارون.

٣٧- البيان والتبيين للجاحظ ط مصر تحقيق محمّد عبد السلام هارون.

٣٨- بحار الأنوار ط دار الكتب الإسلامية و الطبعة الحجرية (كمپاني) و ط دار الوفاء بيروت.

٣٩- بدائع الصنائع للكاساني ط مصر.

٤٠- بداية المجتهد لابن رشد ط مصر.

٤١- بغية الوعاة للسيوطي ط مصر .

٤٢- التبيان لتفسير القرآن للشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله ط النجف تحـ أحمد القصير.

٤٣- التبيان للشيخ طاهر الجزائري ط المنار سنة ١٣٣٤ هـ.

٤٤- التسهيل لابن جزي ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ.

٤٥- التكملة .

٤٦- التمهيد لابن عبد البر ط بيروت.

٤٧- تاج العروس للزبيدي ط افست بيروت.

٤٨- تاريخ الطبري ط دار المعارف سنة ١٩٧٠ م الطبعة الثالثة، ط الأستقامة بمصر و ط افست ليدن و ط الحسينية بمصر و ط دار المعارف.

٤٩- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط السعادة بمصر.

٥٠- تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الإمام) تحـ المحمودي.

٥١- تحبير المقال للآلوسي.

٥٢- تذكرة الحفاظ ط حيدر اباد.

٥٣- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي ط حجرية سنة ١٢٨٥ هـ و ط منشورات الشريف الرضي بقم.

٥٤- تصحيفات المحدثين.

٥٥- تفسير أبي حيان البحر والنهر والجمل .

٥٦- تفسير البرهان ط ايران.

٥٧- تفسير البغوي ط مصر .

٥٨- تفسير البيضاوي ط مصر و ط بيروت.

٥٩- تفسير الثعلبي ط بيروت دار الكتب العلمية.

٦٠- تفسير الخازن ط الميمنية سنة ١٣١٧ هـ.

٦١- تفسير الدر المنثور للسيوطي ط أفست الإسلامية.

٦٢- تفسير الرازي ط مصر و ط الاستانة و ط العامرة .

٦٣- تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني .

٦٤- تفسير السمرقندي .

٦٥- تفسير السمعاني.

٦٦- تفسير الشربيني ط الخيرية سنة ١٣١١ هـ.

٦٧- تفسير الشوكاني.

٦٨- تفسير الصافي للفيض الكاشاني .

٦٩- تفسير الطبري ط مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ هـ ط دار المعارف المصرية الثانية تحـ محمود محمد شاكر وأخيه أحمد.

٧٠- تفسير العياشي ط ايران.

٧١- تفسير الماوردي ط بيروت.

٧٢- تفسير النسفي ط دار احياء الكتب العربية بمصر، وعنها ط دار الفكر بيروت. وكذا ط بهامش تفسير الخازن ط اليمنية بمصر سنة ١٣١٧ هـ.

٧٣- تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ط الأولى بمصر.

٧٤- تفسير الآصفي.

٧٥- تفسير ابن كثير ط دار الفكر بيروت و ط الاستقامة.

٧٦- تفسير روح المعاني لأبي الثناء الآلوسي ط المنيرية (الثانية).

٧٧- تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني نشر مكتبة ابن تيمية.

٧٨- تلخيص الشافي للشيخ الطوسي ط ملحقاً بكتاب الشافي (حجرية) و ط الآداب النجف.

٧٩- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ط دار الكتب الإسلامية النجف الأشرف تحالحجة السيد حسن الموسوي الخرسان مدّ ظله.

٨٠- تهذيب الأسماء واللغات للنووي ط المنيرية بمصر.

٨١- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط حيدر اباد (أفست).

٨٢- تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ط الشام و ط افست دار المسيرة.

٨٣- الجامع الصغير للسيوطي ط بولاق و ط دار الفكر.

٨٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط دار إحياء التراث العربي بيروت و ط دار الشعب بالقاهرة.

٨٥- جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ط دار الكتب العلمية بيروت و ط مصر.

٨٦- جمع الجوامع للسيوطي.

٨٧- جمهرة أشعار العرب ط دار نهضة مصر للطبع والنشر بمصر.

٨٨- جمهرة اللغة لابن دريد ط افست حيدر اباد و ط الهند.

٨٩- جنى الجنتين للمحبي ط الشرقي بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ.

٩٠- الحاوي في الفتاوي للسيوطي ط مصر.

٩١- الحجة على الذاهب للسيّد فخار بن معد ط النجف .

٩٢- الحماسة للبحتري ط الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٩ م.

٩٣- الحيوان للجاحظ ط مصر تحـ محمّد عبد السلام هارون.

٩٤- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للقفال الشاشي ط مكتبة الرسالة الحديثة في عمّان بالأردن سنة ١٩٨٨ م.

٩٥- حماسة المرزوقي.

٩٦- حماسة ابن الشجري .

٩٧- حياة الحيوان للدميري ط بولاق مصر.

٩٨- الخصائص لابن جني ط مصر.

٩٩- الخلاف للشيخ الطوسي رحمه الله ط الثانية مطبعة رنكين في طهران سنة ١٣٧٧ هـ و ط حجرية و ط مؤسسة النشر الإسلامي بقم.

١٠٠- خزانة الأدب للبغدادي ط السلفية بمصر سنة ١٣٤٧ هـ و ط افست دار صادر.

١٠١- الدر المختار للحصكفي ط مصر .

١٠٢- الدلائل للبيهقي ط بيروت.

١٠٣- ديوان أبي الأسود الدؤلي تحـ عبد الكريم الدجيلي سنة ١٣٧٣ هـ و تحـ الشيخ محمد حسن آل يس سنة ١٣٨٤ هـ.

١٠٤- ديوان الأخطل جمع إيليا سليم الحاوي ط دار الثقافة بيروت.

١٠٥- ديوان الأعشى الكبير شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين ط النموذجية بمصر.

١٠٦- ديوان الأعشيين.

١٠٧- ديوان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠٨- ديوان الحارث بن وعلة الشيباني.

١٠٩- ديوان الحطيئة بشرح السكري ط التقدم و تحـ نعمان أمين طه ط الأولى بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.

١١٠- ديوان الطرماح بن حكيم الطائي تحـ عزة حسن ط دمشق سنة ١٣٨٨هـ.

١١١- ديوان العجاج بن رؤبة تحـ الدكتور عزة حسن ط دار الشروق بيروت .

١١٢- ديوان الفرزدق ط الصاوي و ط صادر و ط المكتبة الأهلية في بيروت.

١١٣- ديوان القطامي .

١١٤- ديوان المتلمس.

١١٥- ديوان المثقب العبدي تحـ الشيخ محمّد حسن آل يس ط المعارف بغداد.

١١٦- ديوان المرقش الأصغر .

١١٧- ديوان المنخل اليشكري.

١١٨- ديوان النابغة الجعدي .

١١٩- ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت تحـ د. شكري فيصل ط دار الفكر و ط بشرح البطليوسي ط المكتبة الأهلية بيروت.

١٢٠- ديوان الهذليين ط مصورة عن ط دار الكتب بمصر سنة ١٣٨٤ هـ.

١٢١- ديوان امرئ القيس الكندي ط الاستقامة جمع حسن السندوبي ط مصر سنة ١٣٨٨هـ.

١٢٢- ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت ط بيروت سنة ١٣٥٢ هـ.

١٢٣- ديوان أوس بن حجر تحـ الدكتور محمد يوسف نجم ط داري صادر وبيروت .

١٢٤- ديوان بشر بن أبي خازم تحـ الدكتور عزة حسن ط دمشق سنة ١٣٧٩هـ.

١٢٥- ديوان جرير جمع و تحـ الصاوي ط الأولى بمصر.

١٢٦- ديوان جميل ط بيروت المكتبة الأهلية.

١٢٧- ديوان حسان بن ثابت جمع وشرح البرقوقي ط مصر.

١٢٨- ديوان ذي الرمة ط (أوفست) كمبريج سنة ١٩١٩م و ط مجمع اللغة العربية بدمشق تحـ الدكتور عبد القدوس أبو صالح .

١٢٩- ديوان رؤبة بن العجاج ط افست مكتبة المثنى ببغداد و ط ليسيك جمع وليم بن الورد البروسيّ سنة ١٩٠٣ م أفست المثنى.

١٣٠- ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ هـ.

١٣١- ديوان زيد الخيل صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي مط النعمان.

١٣٢- ديوان طرفة ط برطرند سنة ١٩٠٠ م.

١٣٣- ديوان عبد الباقي العمري الفاروقي ط النعمان سنة ١٣٨٢ هـ.

١٣٤- ديوان عبد الله بن قيس الرقيات .

١٣٥- ديوان عبيد بن الأبرص تحـ دكتور حسين نصّار المصري ط سنة ١٣٧٧هـ بمصر .

١٣٦- ديوان عدي بن زيد جمع محمد جبار المعيبد ط وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد سنة ١٣٨٥ هـ.

١٣٧- ديوان علقمة بن عبدة الفحل ط المكتبة الأهلية بيروت.

١٣٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة ط محمد محي الدين عبد الحميد.

١٣٩- ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي جمع مطاع الطرابيشي ـ دمشق.

١٤٠- ديوان عنترة ط المكتب الإسلامي .

١٤١- ديوان قيس بن الخطيم تحـ ناصر الأسد ط١ سنة ١٩٨١.

١٤٢- ديوان كثيّر عزّة جمع الدكتور إحسان عباس.

١٤٣- ديوان كعب بن زهير صنعة السكري ط دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ.

١٤٤- ديوان لبيد بن ربيعة ط الكويت.

١٤٥- ذخائر العقبى للمحب الطبري ط مصر و ط القدسي سنة ٢٣٧ هـ.

١٤٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ط الغري.

١٤٧- الذريعة للسيد المرتضى ط تحـ أبو القاسم كرجي ط دانشگاه طهران.

١٤٨- ربيع الأبرار للزمخشري ط أوقاف بغداد.

١٤٩- الرياض النضرة للمحب الطبري ط بدر الدين النعساني بمصر سنة ١٣٢٧ هـ.

١٥٠- زاد المسير لابن الجوزي ط دار الكتب العلمية.

١٥١- زاد المعاد لابن قيم الجوزية.

١٥٢- زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد لعبد المتعال الصعيدي.

١٥٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين +الباني ط مكتبة المعارف الرياض و الطبعة الرابعة نشر المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ.

١٥٤- سمط اللئالي للبكري تحـ الميمني ط مصر سنة ١٣٥٤ هـ.

١٥٥- سنن ابن ماجة ط الأولى بولاق بمصر سنة ١٣١٣ هـ تحـ محمد فؤاد عبد الباقي الأولى.

١٥٦- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني ط دار الفكر مصر تحـ محمد محي الدين عبد الحميد و ط دار الحديث حمص و ط هندية.

١٥٧- سنن الترمذي تحـ عطوة ط مصر و ط هندية وأخرى مصرية بشرح تحفة الأحوذي.

١٥٨- السنن الكبرى للبيهقي ط دار الفكر افست بيروت سنة ١٤١١ هـ عن ط حيدر آباد و ط دار الباز بمكة المكرمة.

١٥٩- السنن الكبرى للنسائي ط مصر و ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١١هـ.

١٦٠- سيرة ابن هشام ط تراث الإسلام بتحقيق مصطفى السقا ورفيقيه.

١٦١- شذور الذهب.

١٦٢- شرح أشعار الهذليين صنعة السكري ط مصر.

١٦٣- شرح البطليوسي ط المكتبة الأهلية في بيروت.

١٦٤- شرح الحماسة للمرزوقي.

١٦٥- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ط دار المعارف.

١٦٦- الشرح الكبير.

١٦٧- شرح المفضليات.

١٦٨- شرح المواهب اللدنية للزرقاني.

١٦٩- شرح درة الخواص.

١٧٠- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة لمحمد محي الدين عبد الحميد.

١٧١- شرح ديوان لبيد ط الكويت سنة ١٩٦٢ م.

١٧٢- شرح شواهد الكشاف ط البابي الحلبي و ط مصر.

١٧٣- شرح شواهد المغني للسيوطي ط دار مكتبة الحياة بيروت و ط مصر.

١٧٤- شرح صحيح مسلم للنووي ط مصر سنة ١٣٤٩ هـ و ط الهند.

١٧٥- شرح معاني الآثار للطحاوي ـ وهو من الأحناف ـ تحقيق محمد زهري النجار ط دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩ هـ بيروت.

١٧٦- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ط دار الكتب العربية مصر (الأولى) والطبعة الحديثة بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

١٧٧- شعر الكميت جمع د. داود سلوم ط النعمان سنة ١٩٦٩.

١٧٨- الشعر والشعراء لابن قتيبة ط مصر و ط (أفست) عن ط ليدن سنة ١٩٠٢ م.

١٧٩- الشعراء الجاهليون للخفاجي الطبعة الأولى .

١٨٠- شعر المثقب العبدي تح الشيخ محمّد حسن آل يس .

١٨١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ط بيروت.

١٨٢- شواهد العيني بهامش حاشية الصبّان على شرح الأشموني ط عيسى البابي الحلبي بمص.

١٨٣- الصبح المنير .

١٨٤- الصحاح للجوهري تح أحمد عبد الغفور عطار ط دار الكتاب العربي بمصر و ط دار الحضارة العربية، بيروت .

١٨٥- صحيح ابن حبان ط بيروت.

١٨٦- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ط مصر بولاق سنة ١٣١٢هـ و ط مصر بولاق سنة ١٣١٤هـ و ط مصر بولاق سنة ١٣١٣ هـ.

١٨٧- صحيح الترمذي تح إبراهيم عطوه عوض .

١٨٨- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري ط محمد علي صبيح بمصر و ط بولاق و ط حجرية سنة ١٢٧٢هـ.

١٨٩- صلاة الخوف ط مؤسسة الشر الإسلامي.

١٩٠- الصواعق المحرقة لأبن حجر المكي الهيتمي ط الميمنية سنة ١٣١٢ هـ بمصر (الأولى) و ط تح عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٩١- طبقات الشعراء للجمحي ط مصر .

١٩٢- الطبقات الكبير لابن سعد ط افست ليدن و ط لجنة الثقافة القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ و ط الطائف سنة ١٤١٤ هـ تحـ د محمد بن صامل السُلمي و ط الخانجي بمصر.

١٩٣- طبقات خليفة بن خياط.

١٩٤- طبقات فحول الشعراء.

١٩٥- العدة للشيخ الطوسي ط حجرية و ط بمبئ سنة ١٣١٨ هـ .

١٩٦- علل الشرائع للشيخ الصدوق ابن بابويه المتوفى سنة ٣٨١ هـ ط النجف، الحيدرية ومقدمة الكتاب طبع ايران(قم) و ط منشورات مكتبة الشريف الرضي بقم .

١٩٧- علي إمام البررة للسيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان ط دارالهادي بيروت.

١٩٨- العمدة لابن رشيق القيرواني ط مصر.

١٩٩- العين تحقيق المخزومي وإبراهيم السامرائي ط وزارة الثقافة والأعلام العراقية .

٢٠٠- عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ط الحيدرية .

٢٠١- غريب الحديث لابن سلام ط مصر.

٢٠٢- الفائق للزمخشري ط حيدر اباد و ط تحـ الطناحي بمصر.

٢٠٣- الفاخر للمفضل بن سلمة ط سلسلة تراثنا مصر بتحقيق عبدالعليم الطحاوي.

٢٠٤- فتح الباري لابن حجر ط مصطفى محمد البابي الحلبي وأولاده سنة ١٣٧٨هـ بمصر و ط دار المعرفة بيروت تحـ محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب.

٢٠٥- فتح العزيز للرافعي ط مصر.

٢٠٦- فتح القدير للشوكاني ط البابي الحلبي سنة ١٣٥ هـ.

٢٠٧- الفتوحات الإلهية للجمل ط عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٢٠٨- الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية لابن الطقطقي ط مصر الأولى و ط دار صادر بيروت.

٢٠٩- فرائد السمطين للحموييني نقلاً عن تفسير مطلع المعاني للإمام حسام الدين محمّد بن عثمان بن محمّد العلي آبادي.

٢١٠- الفرج بعد الشدة للتنوخي منشورات الشريف الرضي بقم.

٢١١- فردوس الأخبار للديلمي ط بيروت.

٢١٢- فقه القرآن للراوندي.

٢١٣- فيض القدير للشوكاني ط دار الكتب العلمية و ط الإستقامة بمصر.

٢١٤- القاموس المحيط للفيروز ابادي ط مصر.

٢١٥- القول المليح في تعيين الذبيح لابن تيمية.

٢١٦- الكافي للكليني ط حجرية ١٣١٢ هـ و ط دار الكتب الإسلامية طهران.

٢١٧- الكامل لابن عدي ط الثالثة دار الفكر.

٢١٨- الكامل للمبرد ط دار نهضة مصر تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم.

٢١٩- الكتاب لسيبويه ط بولاق.

٢٢٠- الكشاف للزمخشري ط مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٧ هـ.

٢٢١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ط القدسي بمصر.

٢٢٢- كفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي ط الحيدرية (الثانية) في النجف سنة ١٣٩٠ هـ.

٢٢٣- كنز العمال للمتقي الهندي ط حيدر آباد الأولى و الثانية و ط مؤسسة الرسالة بحلب ومنتخبه بهامش مسند أحمد ط مصر الأولى.

٢٢٤- كنز العمال ومنتخبه بهامش مسند أحمد ط مصر الأولى.

٢٢٥- الكنز اللغوي لابن السكيت.

٢٢٦- كنوز الحقائق للمناوي ط مصر سنة ١٣٠٥ هـ.

٢٢٧- الالئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ط الأدبية سنة ١٣١٧هـ الأولى بمصر.

٢٢٨- لسان العرب لابن منظور ط اوفست بولاق و ط دار صادر بيروت.

٢٢٩- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط افست حيدر اباد.

٢٣٠- لطائف الإشارات للقشيري الطبعة الثانية مركز تحقيق التراث / مصر سنة ١٩٨١ م.

٢٣١- المؤتلف والمختلف للآمدي بتحقيق عبد الستار أحمد فراج.

٢٣٢- المبسوط للسرخسي ط بيروت افست عن مصر.

٢٣٣- المبسوط للشيخ الطوسي رحمه الله ط المكتبة المرتضوية إيران.

٢٣٤- متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار تحـ زرزور ط دار التراث بمصر.

٢٣٥- المثالب للكلبي (مخطوطة السماوي).

٢٣٦- مجاز القرآن لأبي عبيدة ط١ بتحقيق محمد فؤاد سزكّين ط مصر.

٢٣٧- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ط الأولى بتحقيق محمّد فؤاد سزكّين مصر تفسير عبد الرزاق ط دار الكتب العلمية.

٢٣٨- مجمع الامثال للميداني ط دار الفكر مصر.

٢٣٩- مجمع البيان للطبرسي ط صيدا.

٢٤٠- مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي ط القدسي سنة ١٣٥٣ هـ بمصر.

٢٤١- المجموع للنووي .

٢٤٢- المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ط العلمية بيروت سنة ١٤١٣ هـ.

٢٤٣- المحسن السبط مولود أم سقط لمحمد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان ط قم سنة ١٣٢٧هـ.

٢٤٤- المحلى لابن حزم ط افست دار الفكر بيروت.

٢٤٥- مختارات ابن الشجري .

٢٤٦- المدهش لابن الجوزي ط بغداد.

٢٤٧- مستدرك الوسائل للمحدث النوري ط حجرية كتابفروشي إسلامية و ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

٢٤٨- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ط دمج افست بحلب افست عن حيدر آباد و ط دار الكتب العلمية تحـ مصطفى عبد القادر.

٢٤٩- مسند أحمد بن حنبل ط مصر الأولى و ط تحـ أحمد محمد شاكر .

٢٥٠- مسند الحافظ أبي يعلى الموصلي ط دار الكتب العلمية بيروت و ط دار المأمون بدمشق سنة ١٤٠٤هـ.

٢٥١- المصون لأبي أحمد العسكري ط الكويت.

٢٥٢- المعارف لابن قتيبة تحـ ثروت عكاشة ط مصر الأولى و ط ليدن سنة ١٩٦٠م.

٢٥٣- معاني الأخبار للصدوق ط الحيدرية بتقديمي في النجف الأشرف سنة ١٣٩١هـ.

٢٥٤- معاني القرآن للفراء .

٢٥٥- معاني القرآن للنحاس.

٢٥٦- معجم الأدباء لياقوت الحموي ط دار المأمون بمصر.

٢٥٧- معجم الشعراء للمرزباني تحـ عبد الستار أحمد فراج.

٢٥٨- المعجم الكبير للحافظ الطبراني ط الثانية بمطبعة الزهراء بالموصل تحـ السلفي و ط الأولى بمطبعة الوطن العربي.

٢٥٩- معجم رجال الحديث للإمام الخوئي قدس سره ط الأولى الآداب في النجف الأشرف.

٢٦٠- معجم شواهد العربية لعبد السلام محمد هارون ط الأولى سنة ١٣٩٢ هـ نشر الخانجي مصر .

٢٦١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ط مصر تحقيق هارون .

٢٦٢- معرفة السنن والآثار للبيهقي .

٢٦٣- معرفة الصحابة لأبي نعيم.

٢٦٤- المعلقات العشر وأخبار شعرائها للشنقيطي ط الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٣ هـ.

٢٦٥- المغني لابن قدامة المقدسي ط٣ / دار الثامر سنة ١٣٦٧ هـ.

٢٦٦- المغني لابن هشام ط مصر.

٢٦٧- مفردات الراغب الاصبهاني ط الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.

٢٦٨- المقاصد الحسنة للسخاوي ط مصر.

٢٦٩- الملل والنحل للشهرستاني ط مصر و ط الأزهر الحديثة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ و ط بيروت.

٢٧٠- من لا يحضره الفقيه للصدوق تحـ المرحوم السيد حسن الموسوي الخرسان قدس سره ط دار الكتب الإسلامية في النجف الأشرف سنة ١٣٧٧- ١٣٧٨هـ.

٢٧١- المناقب لابن المغازلي المالكي ط الإسلامية إيران.

٢٧٢- المناقب للخوارزمي الحنفي ط حجرية.

٢٧٣- موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ط السلفية بتحقيق محمّد عبد الرزاق حمزة.

٢٧٤- المواهب للقسطلاني بشرح الزرقاني ط الأزهرية سنة ١٣٢٥ هـ.

٢٧٥- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ط عالم التراث بيروت.

٢٧٦- الموشح للمرزباني ط مصر.

٢٧٨- الموطأ لمالك بشرح تنوير الحوالك للسيوطي ط مصطفى محمّد بمصر.

٢٧٩- ميزان الاعتدال للذهبي تحـ البجاوي ط مصر الأولى و ط محققة.

٢٨٠- النكت والعيون للماوردي ط دار الكتب العلمية .

٢٨١- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير تحـ الزاوي و محمود محمّد الطناحي ط مصر و ط بمط الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ الأولى.

٢٨٢- النهاية للشيخ أبي جعفر رحمه الله ط الثانية دار الكتاب العربي بيروت.

٢٨٣- نصب الراية لأحاديث الهداية لجمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي ط المجلس العلمي سنة ١٣٥٧هـ مصر .

٢٨٤- نقائض جرير والأخطل .

٢٨٥- نقائض جرير والفرزدق .

٢٨٦- نوادر أبي زيد .

٢٨٧- نور الأبصار للشبلنجي ط مصر الأولى.

٢٨٨- نور الثقلين مطبعة الحكمة بقم.

٢٨٩- الوافي بالوفيات للصفدي ط بيروت.

٢٩٠- الوسائل ط كتابفروشي إسلامية و ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٢٩١- وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري تحـ عبد السلام محمّد هارون ط عيسى البابي الحلبي وشركاه الأولى بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ و ط حجرية ط الثانية بمصر ١٣٨٢ هـ.

٢٩٢- هاشميات الكميت الأسدي للرياشي ط ليدن و ط مصر الثانية تأليف محمد محمود الهاشمي و ط أوربا.

٢٩٣- الهداية في تخريج أحاديث نصب الراية لابن حجر.

٢٩٤- ينابيع المودة للقندوزي ط اسلامبول سنة ١٣٠٢ هـ و ط الحيدرية بتقديمي.

فهرس الكتاب

سورة السجدة

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٦

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ ٨

المراد من العذاب الأدنى والأكبر ٩

المراد من الأرض الجرز ١٠

سورة الأحزاب

أحكام الظهار ١٢

دلالة الآية على أولوية النبيّ بالمؤمنين منهم بأنفسهم ١٣

قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ ١٥

جواز الاقتداء بجميع أفعال النبيّ عليه السلام ١٧

معنى النحب والصياصي ..... ١٩ – ٢١

المراد من الجاهلية الأولى ٢٢

تفسير آية التطهير ٢٢

دلالة الآية على فساد مذهب المجبرة في القضاء والقدر ٢٦

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ ٢٨

تفسير آية: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ٣٠

معنى الارجاء في الآية الشريفة ٣٢
علة عدم جواز تزويج نساء النبيّ من بعده ٣٤
معنى الجلابيب والارجاف ٣٦
المراد من عرض الأمانة على السماوات والأرض ٣٧

سورة سبأ

كلام حول الحمد لله تعالى ٣٩
معنى العرم في الآية الشريفة ٤١
معنى الاكل والاثل ٤٢

سورة الملائكة (فاطر)

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ٤٥
معنى الاصطفاء ٤٧

سورة يس

معنى المقمح في الآية الكريمة ٤٩
المراد من النفخ في الصور ٥١
دلالة الآية على بطلان مذهب المجبرة في الإرادة ٥٣
قدرة الله تعالى على إعادة الموتى ٥٤

سورة الصافات

المراد من الزاجرات زجراً ٥٥
معنى الغول في الآية الشريفة ٥٧
كلام حول قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ ٥٩

معنى النزل والزقوم ٦٠
معنى النجاة والكرب والشيعة ٦٢
معنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ٦٣
كلام حول الخبر النبوي (ما كذب أبي إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات) ٦٤
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٦
المراد من بلوغ إسماعيل مع أبيه في السعي ٦٨
الاستدلال بالآية على جواز النسخ قبل وقت فعله ٧١
الشبهة الواردة في الفداء والجواب عنها ٧٢
معنى الفداء والبعل والابق ..... ٧٢ – ٧٣
قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ﴾ ٧٤

سورة ص

معنى الشقاق والمناص والجند ٧٧
معنى الخصم والتسور والمحراب ٧٩
الحكم الّذي صدر عن داود عليه السلام هل كان خطأ ؟ ٨١
قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ ٨٣
معنى الحميم والغساق والشكل ٨٤
المراد من اليوم الوقت المعلوم ٨٦

سورة الزمر

دلالة الآية على بطلان قول المجبرة في تعذيب أطفال الكفّار ٨٨
المراد من الاضلال والهداية ٨٩
دلالة الآية على جواز الغفران بدون التوبة ٩١

الفرق بين النفس والروح ٩٢
معنى المقاليد ٩٤
قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ ٩٦

سورة غافر

المراد من القاء الروح ٩٩
المراد من يوم التناد ١٠١
معنى التباب والسجر ١٠٢

سورة فصلت

قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ١٠٥
المراد من تقدير الأقوات في أربعة أيّام ١٠٦
المراد من الاستواء على العرش ١٠٨
معنى الوزع والنطق ١٠٩
قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ١١٣
وجه ذكر الظلام على وجه المبالغة مع أنّه لا يفعل شيئاً ١١٣

سورة الشورى

معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ١١٥
المراد من الحجة الداحضة ١١٧
الاستدلال بالآية على جواز التقاص ١١٩
معنى كلام الله لعباده ١٢٠

سورة الزخرف

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَثَلاً﴾ ١٢٢
إبطال مذهب المجبرة في ارادة الله القبيح ١٢٣
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ ١٢٥
مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ ١٢٧
معنى الحبور والابلاس ١٢٨
علة منع الولد لله تعالى ١٢٩

سورة الدخان

معنى النعمة والويل والوراء ١٣٢

سورة الجاثية

معنى الاجتراح ١٣٤

سورة الأحقاف

معنى الايزاع ١٣٧
أولو العزم من الرسل ١٣٨

سورة محمّد

حكم الأسير ١٤٠
جواز تفسير ظاهر الآية بالخبر والسمع ١٤٣

سورة الفتح

قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ١٤٥
المراد من يد الله فوق أيديهم ١٤٧

الاستدلال بالآية على إمامة أبي بكر والجواب عنه ١٤٩
آية بيعة الرضوان والكلام حولها ١٥٥

سورة الحجرات

المراد من رفع الصوت فوق صوت النبيّ ﷺ ١٥٩
الاستدلال بآية النبأ على حجية خبر الواحد والكلام حولها ١٦٠
معنى اللمز والنبز ١٦٤
المراد من الظن القبيح والمحمود ١٦٥
معنى المن والمرج ١٦٦

سورة ق

معنى الرزق والايكة والعي والوريد ١٦٨
قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ١٧٠
معنى الازلاف ١٧٣
معنى المحيص واللغوب ١٧٣

سورة الذاريات

معنى الخرص في الآية الشريفة ١٧٧
معنى السائل والمحروم ١٨٠
المراد من نزول الرزق من السماء ١٨١
معنى العقيم والمسومة ١٨٣

سورة الطور

المراد من البيت المعمور ١٨٧
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ١٨٨

الفرق بين الغنى بالشيء والغنى عنه ١٩٠

سورة النجم

المراد من النجم في الآية الشريفة ١٩١
العزّى واللات ومناة ١٩٣
عدم غنى الظن عن العلم شيئاً ١٩٥
الفواحش والمراد من الذنوب الكبار والصغار واللمم ١٩٦
قوله تعالى: ﴿وأن لَيْسَ لِلإنسَانِ إلا مَا سَعَى﴾ ١٩٨
معنى الإقتناء والإئتفاك والسامد ٢٠٠

سورة القمر

المراد من السحر المستمر ٢٠١
معنى الفتنة والشرب والهشيم والحسبان ٢٠٣

سورة الرحمن

معنى الصلصال والمارج ٢٠٧
معنى البرزخ والمرجان ٢٠٧
تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢٠٩
معنى الشواظ والنحاس والدهان ٢١١
معنى السيماء والناصية ٢١٣
معنى الاستبرق والقاصر والنضخ ٢١٤
معنى الرفرف والعبقري والهباء ٢١٦

سورة الواقعة

المراد من: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون﴾ ٢١٨

معنى الطلح والعرب والاتراب والزقوم والمغرم ٢٢٠
معنى الاجاج والزند ٢٢٢
قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إلاّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ ٢٢٤
معنى المدهن ٢٢٥

سورة الحديد

المراد من أنّه تعالى هو الأوّل والآخر ٢٢٨
معنى أخذ الميثاق ٢٢٩
المراد من الجنة عرضها كعرض السماء والأرض ٢٣٤

سورة المجادلة

آية الظهار والكلام حولها ٢٣٨
كيفية كفارة الظهار ٢٤٠
نزول آية النجوى في المنافقين والكفار ٢٤٢
معنى استحواذ الشيطان عليهم ٢٤٦

سورة الحشر

الاستدلال بالآية على صحّة القياس والجواب عنه ٢٤٨
آية الخمس والكلام حولها ٢٥٠
مستحقين الخمس والزكاة ٢٥٢
قوله تعالى: ﴿ لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ﴾ ٢٥٣
معنى القدوس والسلام والمهيمن ٢٥٤

سورة الممتحنة

كيفية امتحان النبيّ ﷺ النساء المؤمنات ٢٥٦

دلالة الآية على عدم جواز العقد على الكافرة ٢٥٧

سورة الصف

معنى المرصوص في الآية الشريفة ٢٦١
معنى الزيغ ٢٦١

سورة الجمعة

تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ٢٦٥
لزوم صلاة الجمعة لجميع المكلفين ٢٦٦

سورة المنافقين

تفسير سورة المنافقين وشأن نزولها ٢٦٩

سورة التغابن

المراد من تسبيح ما في السماوات وما في الأرض ٢٧١
قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٢٧٣
كلّ ما يأمر الله به فلابدّ أن يكون مشروطاً بالاستطاعة ٢٧٥

سورة الطلاق

معنى الطلاق في الشرع وأحكامه ٢٧٨
أقسام عدة المرأة ٢٨٠
ما يجب على المرأة في العدة الرجعية ٢٨١
اشتراط الاشهاد في وقوع الطلاق ٢٨٣
عدة الحامل ٢٨٥
أحكام رضاع الولد ٢٨٧

سورة التحريم

سبب نزول سورة التحريم ٢٨٩
معنى تحلة اليمين والاسرار ٢٩١
المراد من صالح المؤمنين ٢٩٣
معنى القانتات والسايحات ٢٩٤

سورة الملك

معنى الفطور والخاسئ ٢٩٩

سورة النون

معنى التحريك والعجلة والتمطي ٣٠٥

سورة الإنسان

معنى الإنسان والحين ٣٠٧
معنى الأمشاج والكأس ٣٠٨
دلالة الآية على أنّه تعالى قد هدى جميع المكلفين ٣٠٩
معنى القمطرير والزنجبيل ٣١٠
معنى السندس والاستبرق ٣١٤

سورة المرسلات

قوله تعالى: ﴿وَا لْمُرْسَلَتِ عُرْفًا...﴾ ٣١٧

سورة النبأ

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ ا لْعَظِيمِ...﴾ ٣٢٢
معنى الالفاف ٣٢٤

سورة النازعات

قوله تعالى: ﴿وَالنَّزِعَتِ غَرْقًا...﴾ ٣٢٩

سورة عبس

شأن نزول سورة عبس ٣٣٣

سورة التكوير

المراد من الموءودة في الآية الشريفة ٣٣٨
معنى الخنس والجارية والكنس ٣٤١

سورة الإنفطار

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ...﴾ ٣٤٤

سورة المطفّفين

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ...﴾ ٣٤٨
معنى العليون والأرائك ٣٥١
المراد من التسنيم ٣٥٢

سورة الانشقاق

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّماءُ انشَقَّتْ...﴾ ٣٥٤
معنى الكدح ٣٥٥
معنى الوسق والطبق ٣٥٧

سورة البروج

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ...﴾ ٣٥٨

المراد من الشاهد والمشهود ٣٥٨

سورة الطارق

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ...﴾ ٣٦١
معنى الثاقب والترائب ٣٦١

سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعلَى...﴾ ٣٦٣
معنى الغثاء ٣٦٣
المراد من النار الكبرى والصغرى ٣٦٤

سورة الغاشية

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْغَشِيَةِ...﴾ ٣٦٦
معنى الغاشية والضريع ..... ٣٦٦ – ٣٦٧

سورة الفجر

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ...﴾ ٣٦٩
معنى الفجر وأقسامه ٣٦٩

سورة البلد

قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ...﴾ ٣٧٤
المراد من النجدين ٣٧٥

سورة الشمس

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَضُحَهَا...﴾ ٣٧٨

معنى الدمدم ٣٨٠

سورة الليل

قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَى...﴾ ٣٨١

سورة الضحى

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى...﴾ ٣٨٣
معنى السجى ٣٨٣
قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾ ٣٨٤

سورة الانشراح

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...﴾ ٣٨٦
المراد من وضع الوزر عن النبيّ ﷺ ٣٨٦

سورة التين

قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ...﴾ ٣٨٨
معنى الطور ٣٨٨

سورة العلق

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ ٣٩٠

سورة القدر

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...﴾ ٣٩٣
لم سميت ليلة القدر ؟ ٣٩٣

سورة البيّنة

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ...﴾ ٣٩٥
بطلان قول من قال الكفّار خلقوا كفاراً في بطون أمهاتهم ٣٩٦

سورة الزلزلة

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا...﴾ ٣٦٩
الاستدلال بالآية على بطلان الاحباط ٣٩٩
فهرس المصادر ٤٠١
فهرس الكتاب ٤١٩